موسوعة الدر الثمين
من شعر الحكمة في
عصر الشعراء المخضرمين

عبدالقادر زينو



دار أمجد للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

موسوعة الدر الثمين

من شعر الحكمة في عصر الشعراء المخضرمين

موسوعة الدر الثمين

من شعر الحكمة في عصر الشعراء المخضرمين

تأليف

عبد القادر زينو

كاتب حلبي

الطبعة الأولى

2022م



دار امجد للنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2021//)

412
زينو ، عبد القادر
موسوعة الدر الثمين من شعر الحكمة في عصر الشعراء المخضرمين / عبد القادر زينو، كاتب حلبي.- عمان، دار كفاءة المعرفة للنشر والتوزيع،2021.
( ) ص
ر.إ: / /2021
الواصفات:/

ردمك : ISBN:978-9923- - -





kafaat.almaerifa kafaat.almaerifa@gmail.com
+962796803670 +962799291702 +962796914632

الإهداء

إلى المرابطين على الثغور الثقافية للأُمة المسلمة، وإلى هذه الأُمة، أُمَّةِ التوحيد والإيمان، وإلى من لهم حقٌّ عليَّ، إلى والدي العزيز الفاضل يوسف، وإلى أُمِّي العزيزة الفاضلة ضحى، اللذان ما كنتُ لأكتب هذا الكتاب بغير دعمهما الجزيل، وإلى إخوتي الأكارم محمد، وزهراء، وشيماء، أُهدي هذا العمل.

المقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم، وأُصلِّي وأبارك على سيد الأولين والآخرين، نبيِّ الثَّقَلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

إنَّ الله حثَّ على النَّهل من معين الحكمة أنَّى وُجِدَت، ولو كانت من الكافرين، وما حديثُ الرسول صلى الله عليه وسلم الضعيفُ الذي يروى: "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الكَلِمَةُ الحِكْمَةُ ضَالَّةُ[1] المُؤْمِنِ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا". [2]

وما فعله بقَبول فكرة إنشاءِ الخندق -وهي فكرة فارسية- إلا دليلان على حُب الله والرسول للحكمة، فمن أسماء الله الحُسنى الحكيم، ومعناه: هو الذي يضَعُ الأشياءَ في مواضِعها، وقد وردت كلمة الحكمة -بأل التعريف وبدونها- عشرين مرَّةً في القرآن، منها قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [3] وافترق المفسرون على عدِّة معانٍ للحكمة فقالوا هي:

1- الإصابة في القول والعمل. [4]

2- أو هي العِلم.

3- أو هي النبوة.

4- أو هي الخشية.

5- أو هي الفهم.

---

(1) الضالَّةُ: هي الشيء المفقود.

(2) الجامع الكبير - سنن الترمذي، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 م، رقم الحديث: 2687، ج4، ص348.

(3) (269:البقرة).

(4) وهذا هو المعنى الذي نقصده في هذا الكتاب.

6- أو هي القرآنُ والفقه به.

وقد وردت الحكمة في السُّنَّة المُطهَّرةِ فقد قال الرّسول صلَّى الله عليه وسلم: "إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا، وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكَمًا" وقال ابن الأثير مفسِّرًا هذا الحديث: أي إنَّ من الشِّعر كلامًا نافعًا يمنع من الجَهْل والسَّفَه.

أمَّا معاني مادةِ (حُكْم) فهي وَفقًا لقاموس الصِّحاح للجوهريِّ كما يلي:

"الحُكْمُ: مصدر قولك حَكَمَ بينهم يَحْكُمُ أي قضىٰ، وحَكَمَ له وحَكَمَ عليه، والحُكْمُ أيضًا: الحِكمَة من العلم، والحَكيمُ: العالِم، وصاحبُ الحكمة، والحَكيم: المتقِن للأمور.

وقد حَكُم بضم الكاف، أي صار حكيمًا، قال النَّمْر بن تولب من المتقارب:

وأَبْغِضْ بَغيضَكَ بُغْضًا رويدًا   إذا أنتَ حاولت أن تَحْكُما

قال الأصمعي: أي إذا حاولتَ أن تكون حكيمًا... وأحكمتُ الشيء فاسْتَحْكَمَ، أي صار مُحْكَمًا، والحَكَمُ، بالتحريك: الحَاكِمُ، وفي المثل: (في بيته يؤتىٰ الحكم)..... وحَكَمَة الشاةِ: ذقنُها، وحكمة اللجام: ما أحاط بالحَنَك، تقول منه: حَكَمْتُ الدابّة حُكمًا وأحكمتها أيضًا..... ويقال أيضًا: حَكَمْتُ السفيه وأَحْكَمْتُهُ، إذا أخذتَ علىٰ يده، قال جرير من الكامل:

أَبَني حَنيفةَ أَحْكِمُوا سفهاَءكم   إنِّي أخاف عليكم أن أغضبا

وحكمت الرجل تحكيمًا، إذا منعته مما أراد ". [1]

أما عن المنهج في تأليف هذه الموسوعة فهو يعتمد علىٰ الاستقصاء والشُّمول والإحاطَة، إذ قرأت دواوين الشعراء المخضرمين كاملةً، وأزعمُ أنَّني لم أُنقِص من أبيات الحكمة في

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة، 1407 هـ - 1987 م، ص1901-1902.

هذا العصر شيئًا، واعتمدت على بعض الدلائلِ والمؤشرِّاتِ التي تشي وتُخبرُ أنَّ هذا البيت الفلاني يتناول غرض الحكمةِ فأحفظه لديَّ -مع أنَّ هذه المؤشرات لا تغني عن القراءة الكاملة للدواوين- حتى اكتملت هذه الموسوعة، أما هذه الدلائلُ والمؤشرِّاتُ فهي:

1- اختيار الأبيات التي تحتوي على (مَن) الشَّرطية، فمَن يدرُس ينجح، فيقترن هذا الأسلوب الشرطي بدروس الحياة، وبحِكمَةٍ مِن حِكَمِها.

2- اختيار الأبيات التي تحتوي على كلمة (امرؤٌ) و(فتىً) و(الدهر).

3- اختيار الأبيات الخبرية التي تحتمل الصدق والكذب، إذ لا يمكن للأبيات الإنشائية الحديثَ عن الحكمة البتَّة.

4- اختيار الأبيات التي تحتوي على الوصايا، وغالبًا ما تكون هذه الوصايا من المعمَّرين لأبنائهم.

5- اختيار الأبيات التي تحتوي على كلمات مثَل: (أرى) و(أظنُّ) فمثل هذه الكلمات تنبئ عن تجرِبة حياتية وخبرة بالحياة وأحوالها وتقلُّباتها.

وقد بدا لي فارقٌ من جهة العدد والكم بين "موسوعة اللآلي من شعر الحكمة في العصر الجاهلي" التي صدرت عن دار الكتب العلمية في بيروت عام 2020م، إذ كان عدد أبيات تلك الموسوعة (453) بيتًا، بينما وصلت أعداد "موسوعة الدرِّ الثمين" إلى ما يقارب 700 بيتٍ، وهذه الزيادة وهذا الفارق يدلُّ على أثر الإسلام في الشعراء المخضرمين مؤمنهم وكافرهم.

ولقد ألَّفت هذه الموسوعة وجمعت هذه الدُّرر في ثلاث سنوات، فإذا وجدتم نقصًا [1] أو عيبًا فهو من نفسي ومن الشيطان، وما كان من توفيق فمن الله سبحانه وتعالى والله أسأل لي السدَّاد وللأمة المسلمة السَّدادَ والرَّشَد والنفع، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه. [2]

(1) أرحِّب بمن يرسل إلي ما يراه نقصًا في موسوعة شعر الحكمة في عصر المخضرمين إلى البريد التالي: abedulkader@hotmail.com.

(2) ملحوظة: ما هو أكثر من ستة أبيات كتبته مرة ثانية وتحت كل بيت شرحه.

السيفُ والحقُّ

وقال ابن برّاقة الهمداني من الطويـل:

متى تملك القلبَ الذكيَّ وصارمًا وأنفًا حميًّا تجتنبك المَظالِمُ[1]

متى ما ملكت قلبًا قائمًا على أشدّه، وسيفًا قاطعًا بتّارًا، ونفسًا عزيزةً، فإنَّ ظُلم النَّاس إياك سيجتنبك؛ لذلك قالوا إنَّ الاستعداد للحرب يمنع الحرب، وقالت العرب القتل أنفى للقتل وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [2]

****

وصايا أبٍ قبل الموت

قال عبدُ قيسٍ بن خُفاف البُرجمي من الكامل:

1	أَجُبَيـــلُ إنَّ أَبـــاكَ كـــارِبُ يومِـــهِ	فَـإِذا دُعيـتَ إِلى العَظـائِمِ فَاعجَـلِ
2	أوصـيكَ إيصـاءَ امـرِئٍ لَـكَ ناصِـحٍ	طَـبِنٍ بِرَيـبِ الـدَّهرِ غَـيرِ مُغَفَّــلِ
3	اللهَ فَاتَّقِـــــــهِ وَأَوفِ بِنَـــــــذرِهِ	وَإِذا حَلَفـــتَ مُمارِيًـــا فَتَحَلَّـــلِ
4	وَالضَـــيفَ أَكرِمـــهُ فَـــإِنَّ مَبيتَـــهُ	حَـــقٌّ وَلا تَـــكُ لُعنَـــةً لِلنُـــزَّلِ
5	وَاعلَــم بَــأَنَّ الضَــيفَ مُخـبِرُ أَهلِـهِ	بِمَبيـــتِ لَيلَتِـــهِ وَإِن لَم يُســـأَلِ
6	وَدَعِ القَـــوارِصَ لِلصَـــديقِ وَغَـــيرِهِ	كَـي لا يَـرَوكَ مِـنَ اللِّئـامِ العُـزَّلِ
7	وَصِـلِ المُواصِـلَ مـا صَـفا لَـكَ وُدُّهُ	وَاحـذَر حِبـالَ الخـائِنِ المُتَبَـدِّلِ
8	وَاتـرُك مَحَـلَّ السُّـوءِ لا تَحلُـل بِـهِ	وَإِذا نَبـا بِــكَ مَنـزِلٌ فَتَحَـوَّلِ
9	دارُ الهَـــوانِ لِمَـــن رَآهـــا دارَهُ	أَفَراحِــلٌ عَنهــا كَمَــن لَم يَرحَــلِ

(1) العقد الفريد، ابن عبد ربّه الأندلسي، تح: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1983م، ج1، ص107.

(2) البقرة، الآية: 179.

10	وَإِذا هَمَمـــــتَ بِــــأَمرِ شَرٍّ فَاتَّئِـــد	وَإِذا هَمَمــتَ بِــأَمرِ خَـيرٍ فَافعَــلِ
11	وَإِذا أَتَتــكَ مِــنَ العَــدُوِّ قَــوارِصٌ	فَـاقرُص كَـذاكَ وَلا تَقُـل لَم أَفعَـلِ
12	وَإِذا اِفتَقَــرتَ فَــلا تَكُــن مُتَخَشِّـعًا	تَرجو الفَواضِلَ عِنـدَ غَـيرِ المُفضِـلِ
13	وَإِذا لَقيــتَ القَــومَ فَـاِضرِب فـيهِمُ	حَتّى يَـرَوكَ طِـلاءَ أَجـرَبَ مُهمَـلِ
14	وَاِسـتَغنِ مــا أَغنـاكَ رَبُّــكَ بِـالغِنى	وَإِذا تُصِـبكَ خَصاصَــةٌ فَتَجَمَّــلِ
15	وَاِسـتَأنِ حِلمَــكَ في أَمــورِكَ كُلِّهــا	وَإِذا عَزَمـتَ عَـلى الهَـوى فَتَوَكَّـلِ
16	وَإِذا تَشــــاجَرَ في فُـــؤادِكَ مَـــرَّةً	أَمــرانِ فَاِعمِـد لِلأَعَـفِّ الأَجمَــلِ
17	وَإِذا لَقيـــتَ الباهِشــينَ إِلى النَّــدى	غُــبرًا أَكُفُّهُــمُ بِقـــاعٍ مُمحِــلِ
18	فَــأَعِنهُمُ وَأَيســـِر بِــما يَســَروا بِــهِ	وَإِذا هُــمُ نَزَلــوا بِضَـنكٍ فَـانزِلِ [1]

يقول الشاعر:

1- أَجُبَيلُ إِنَّ أَباكَ كارِبُ يَومِهِ فَإِذا دُعيتَ إِلى العَظائِمِ فَاعجَلِ

يا جُبيل إنَّ يومَ وفاة أبيك قد اقترب، لذلك أوصيك عند اقتراب أجلي أنَّك إذا دُعيت إلى الأمور العظيمة الجليلة فاعجل ولا تتردد.

2- أُوصيكَ إيصاءَ اِمرِئٍ لَكَ ناصِحٍ طَبِنٍ بِرَيبِ الدَهرِ غَيرِ مُغَفَّلِ

أوصيك وصيةَ رجلٍ ناصحٍ لك، فطنٍ بحَدَثان الدهر ومصائبه الجِسام غيرِ غافلٍ عنها.

3- اللهَ فَاِتَّقِهِ وَأَوفِ بِنَذرِهِ وَإِذا حَلَفتَ مُمارِيًا فَتَحَلَّلِ

(1) المُفضلّيات، المفضّل الضبيّ، تح: أحمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، ص384-385.

اتق الله، وأوف بالنَّذر الذي أوجبته على نفسك به، وإذا حلفت مجادلًا أو كاذبًا فتحلّل من هذه الأيمان الكاذبة بدفع الكفارة، ولا ندري إن كان الشاعر قد أسلم أو لا، لأن كفارة اليمين مشروعة في الإسلام بالتفصيل.

4- وَالضَّيفَ أَكرِمهُ فَإِنَّ مَبيتَهُ حَقٌّ وَلا تَكُ لُعنَةً لِلنُزَّلِ

إنَّ إكرام الضَّيف حقٌّ له وواجبٌ على المضيف في الجاهليّة والإسلام، ولا تكن ممن يُكثِرُ النَّاسُ لعنَه لبخله.

5- وَاعلَم بَأَنَّ الضَّيفَ مُخبِرُ أَهلِهِ بِمَبيتِ لَيلَتِهِ وَإِن لَم يُسأَلِ

اعلم بأنَّ الضَّيفَ سيخبر أهلَه عن مبيت ليلته عندك وعن مقدار إكرامكَ له وإن لم يُسأل عن ذلك.

6- وَدَعِ القَوارِصَ لِلصَّديقِ وَغَيرِهِ كَي لا يَروكَ مِنَ اللِّئامِ العُزَّلِ

واترك الكلام القبيح مع الأصدقاء وغيرهم من النَّاس كي لا يروك من اللِّئام فيعتزلوك ويتجنبوك.

7- وَصِلِ المُواصِلَ ما صَفا لَكَ وُدُّهُ وَاحذَر حِبالَ الخائِنِ المُتَبَدِّلِ

صِل الصديق ما كان حبُّه ظاهرًا لك، واحذر وصال الخائن المتقلِّبِ الأحوال.

8- وَاترُك مَحَلَّ السُّوءِ لا تَحلُل بِهِ وَإِذا نَبا بِكَ مَنزِلٌ فَتَحَوَّلِ

واترك مكان السُّوء لا تنزل به، وإن جفاك أهلُ منزلٍ نزلتَ فيه، فانتقل إلى غيره، وعن الهجرة يقول ابن صارة الأندلسي بلهجة فيها استنكار واضح للذل من مخلع البسيط:

مُقامُ حرٍّ بأرضِ هونٍ عجزٌ لعمري مِنَ المُقيمِ

سافِر فإنْ لم تجدْ كريمًا   فمِن لئيمٍ إلى لئيمِ! [1]

أي إنَّ الإقامة والمكث في أرض الذل ذلٌ، وقلة حيلة من الذي يقيم فيها؛ لذلك سافر أيُّها المرء طلبًا للعز والثراء عند أصحاب الكرم، فإن لم تجدهم فسافر من لئيم حقودٍ إلى لئيمٍ حقودٍ.

9- دارُ الهَوانِ لِمَن رَآها دارَهُ   أَفَراحِلٌ عَنها كَمَن لَم يَرحَلِ

إنَّ دارَ الذُّلَّ والخضوع لا يستوي الحرُّ الراحلُ عنها والذليلُ الذي يبقى فيها.

10- وَإِذا هَمَمتَ بِأَمرِ شَرٍّ فَاِتَّئِد   وَإِذا هَمَمتَ بِأَمرِ خَيرٍ فَاِفعَلِ

إذا أردت أن تفعل أمرًا شريرًا فتمهَّل، وإذا أردت أن تفعل أمرًا خيرًا فأقبل بلا تردد.

11- وَإِذا أَتَتكَ مِنَ العَدُوِّ قَوارِصٌ   فَاقرُص كَذاكَ وَلا تَقُل لَم أَفعَلِ

وإذا شتمك العدو فاشتمه، ولا تكن مثاليًّا.

12- وَإِذا اِفتَقَرتَ فَلا تَكُن مُتَخَشِّعًا   تَرجو الفَواضِلَ عِندَ غَيرِ المُفضِلِ

إذا صرت فقيرًا فلا تكن ذليلًا مستكينًا، ترجو العطايا والهبات عند من لا يعطيها.

13- وَإِذا لَقيتَ القَومَ فَاِضرِب فيهِمُ   حَتّى يَروكَ طِلاءَ أَجرَبَ مُهمَلِ

وإذا لقيت العدوَّ في الحرب فاضرب بسيفك بشجاعةٍ وإقدام حتَّى يتحامَوا لقاءك كالأجرب المريض الذي يتحامى الناس مسَّه.

14- وَاِستَغنِ ما أَغناكَ رَبُّكَ بِالغِنى   وَإِذا تُصِبكَ خَصاصَةٌ فَتَجَمَّلِ

كن ذا نفسٍ عزيزةٍ مستغنيةٍ عن النَّاس بالله تعالى، وإذا أصبحت فقيرًا فاصبر لهذا الأمر.

---

(1) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ابن المقرّي التلمساني، تح: إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، 1968م، ج4، ص91.

15- وَاستَأنِ حِلمَكَ في أَمورِكَ كُلِّها   وَإِذا عَزَمتَ عَلىٰ الهَوىٰ فَتَوَكَّلِ

تأنَّ واحلُم في أمورك كلِّها، وإذا عزمت علىٰ فعل أمرٍ فتوكّل علىٰ الله وفي هذا تناصٌّ مع الآية الكريمة: "فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ" (1) فنرجح أنَّ الشاعر قد أسلم لهذا السبب.

16- وَإِذا تَشاجَرَ في فُؤادِكَ مَرَّةً   أَمرانِ فَاعمِد لِلأَعَفِّ الأَجمَلِ

وإذا ترددت بين أمرين تريد فعلَ أحدهما، فاقصد الأمر ذا العفَّةِ والجمال والخير.

17- وَإِذا لَقيتَ الباهِشينَ إِلىٰ النَدىٰ   غُبراً أَكُفُّهُمُ بِقـــاعٍ مُمحِلِ

18- فَأَعِنهُـــمُ وَأَيسِر بِما يَسَـروا بِـهِ   وَإِذا هُمُ نَزَلوا بِضَنكٍ فَانزِلِ

[نورد هنا شرح البيتين معًا لترابطهما] وإذا تقابلت بالأرض الواسعة القاحلة التي لا شجر فيها ولا حجر مع الذين يريدون عطاءك ويفرحون به، وهم مغبرِّي الأكفِّ، فأعنهم وأعطهم من جزيل مالِكَ، وإذا أصابهم ضيقٌ فَواسِهم وكن معهم.

****

وَبَعضُ القَولِ

قال قيس بن الخَطيم من الوافر:

1. وَبَعـضُ القَـولِ لَـيسَ لَـهُ عِيـاجٌ   كَمَخـضِ المـاءِ لَـيسَ لَـهُ إِتـاءُ
2. يَصـوغُ لَـكَ اللِّسـانُ عَـلىٰ هَـواهُ   وَيَفضَـحُ أَكثَـرَ القيـلِ الـبَلاءُ
3. وَمـا بَعـضُ الإِقامَـةِ في دِيـارٍ   يَكـونُ بِهـا الفَتـىٰ إِلّا عَنـاءُ
4. وَلَمَ أَرَ كَـامِرِئٍ يَـدنو لِخَسـفٍ   لَـهُ في الأَرضِ سَـيرٌ وَانتِـواءُ

---

(1) آل عمران، الآية:159.

5. وَبَعــــضُ خَلائِـــقِ الأَقـــوامِ داءٌ كَــداءِ الكَشــحِ لَــيسَ لَــهُ شِــفاءُ

6. يُحِـــبُّ المَـــرءُ أَن يَلقــىٰ مُنــاهُ وَيَـــأبىٰ اللهُ إِلّا مـــا يَشـــاءُ [1]

يقول:

1- وَبَعضُ القَولِ لَيسَ لَهُ عِياجٌ كَمَخضِ الماءِ لَيسَ لَهُ إِتاءُ

إنَّ بعضَ الأقوال ليس لها معنىً وجدوىً، كالماء مهمَا مخضَته وخضضته لا يخرج منه الزَّبَد.

2- يَصوغُ لَكَ اللِّسانُ عَلىٰ هَواهُ وَيَفضَحُ أَكثَرَ القيلِ البَلاءُ

إذا أطلقت للسان عنانَه فإنَّه سيتكلم علىٰ هواه، ويُفصِحُ الاختبارُ والامتحان عن الأقوال جيِّدِها ورديئها.

3- وَما بَعضُ الإِقامَةِ في دِيارٍ يَكونُ بِها الفَتىٰ إِلّا عَناءُ

إنَّ بعض الإقامة في الأماكن تجلبُ المشقَّة إلىٰ المقيم فيها.

4- وَلَم أَرَ كَامرِئٍ يَدنو لِخَسفٍ لَهُ في الأَرضِ سَيرٌ وَانتِواءُ

لم أرَ أذَلَّ من المرء الذي يقيم في ديار الذُّل والهوان، ويستطيع الهجرةَ والابتعاد عن هذه الأرض، وفي هذا قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [2]

5- وَبَعضُ خَلائِقِ الأَقوامِ داءٌ كَداءِ الكَشحِ لَيسَ لَهُ شِفاءُ

(1) ديوان قيس بن الخَطيم، تح: د. ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ص151 حتى 155.

(2) النساء، الآية:97.

وبعض أخلاق النَّاس مرضٌ، كالمرض الذي يصيب الإنسان بين الضلع والخاصرة، وهذا المرض لا شفاءَ له.

6- يُحِبُّ المَرءُ أَن يَلقى مُناهُ   وَيَأبى اللهُ إِلّا ما يَشاءُ

يودُّ المرءُ أن ينالَ أمنياته وما يرجوه، ويأبى الله إلا أن يعطي عبده ما يشاؤه هو.

****

الشماتة

قال نهشل بن حَرِّي بن ضَمْرَة الدارمي من الطويل:

فَقُل لِلَّذي يُبدي الشَّماتَةَ جاهِدًا   سَيَأتيكَ كأسٌ أَنتَ لا بُدَّ شارِبُه [1]

قل للذي يحاول إبداء الشماتة بكلّ جهده، ستدور الأيام، وستصاب بالذي أُصبتُ به، وستشرب من نفس الكأس الذي شربتُ منه وتجرَّعتُه.

****

(1) الدرّ الفريد وبيت القصيد، محمد بن أيدمر المستعصمي، تح: د. كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، 2015م، ج:8، ص:26.

فَمَن يَعمَل

قال نهشل بن حرِّي بن ضَمْرَة الدارمي من الوافر:

1- فَمَن يَعمَل إِلَينا قَرضَ صِدقٍ عَلىٰ حينِ التَكُشُّفِ وَالشِّيــــاحِ

2- يجِدهُ حينَ يَكشِفُ عَـن ثَـراهُ كَذُخرِ السَّمنِ في الأَدَمِ الصَّحاحِ

3- وَمَن يَعمَل بِغِشٍّ لا يَضِـــرنا وَتَأخُذهُ الدَوائِرُ بِالجُنــــــاحِ [1]

يقول الشاعر في البيت الأول والثاني: فمن يؤدي إلينا مقدارًا من العطاء، حين الانكشاف والجلاء والوضوح يجده حين يعطينا مِن نداه وقتَ ما نحتاجه كالسمن المُدَّخر لوقت الحاجة، ويقول في البيت الثالث: ومن يغشّنا بمعاملته فإنَّه لا يضرُّ إلا نفسَه، وستأخذه المصائب جزاءَ إثمه.

****

المجد الموروث

وقال نهشل بن حرِّي بن ضَمْرَة الدارمي من الطويل:

1. أَرىٰ كُلَّ عــودٍ نابِتًا في أَرومَــةٍ أَبىٰ نَسَبُ العيــدانِ أَن يَتَغَيَّرا

2. بَنو الصالِحينَ الصالِحونَ وَمَن يَكُن لِوالِدِ سوءٍ يَلقَهُ حَيثُ سَيَّرا [2]

- أرىٰ كلَّ نبتٍ ينبتُ في أصلٍ ومكانٍ مُعَدٍّ له، رفض نسب العيدان وقرابتها أن يتغيَّرا.
- إنَّ أبناء الصالحين هم الصالحون، وكذلك إنَّ أبناء الفاسدين هم الفاسدون، لكن هذه

(1) منتهى الطلب من أشعار العرب، محمد بن المبارك، تح: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1999م، ج8، ص24-25.

(2) أمالي المرتضى، الشريف المرتضى، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1954م، ج1، ص568.

الحكمة ليست صحيحة بالضرورة، لأنَّه وُجد زوجتان لنبيَّين كانتا من الكفار، وفي هذا يقول تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[1]

****

الحرب

وقال نهشل بن حرِّي بن ضَمْرَة الدارمي من الطويل:

1- وَمَن عَدَّ مَسعاةً فَلا يَكذِبَنَّها وَلا يَكُ كَالأَعمى يَقولُ وَلا يَدري

2- صَبَرْنَا لَــــه حَتَّى يريحَ وَإِنَّمَا تــفرَّجُ أَيَّـــامُ الكَرِيْهَـــةِ بالْصَّبْرِ[2]

- ومن افتخر بمآثره ومآثر قومه فلا يكن أقلَّ مما قال، ولا يكن كالأعمى الذي يقول الكلام دون أن يدرك الحقيقة كاملةً.

- صبرنا للحرب حتّى تخمد وللفارس الشجاع حتى يفتُر، لأنَّ الحرب تفرَّج بالصبر.

****

اليأس الإيجابي!

وقال نهشل بن حرِّي بن ضَمْرَة الدارميُّ من الطويل:

1- وَمَولىً رَفَدتُ النُصحَ حَتّى يَرُدَّهُ عَلَيَّ وَحَتّى يَعذِرَ الــرَأيَ عاذِرُه

(1) التحريم، الآية:10.

(2) عشرة شعراء مُقلّون، د. حاتم صالح الضامن، كلية الآداب، بغداد، 1990م، ص117-118.

2- إذا كانَ لا يَرضى بِرَأيِكَ صَدرُهُ وَلا أَنتَ إِن لَمَ يَرضَ رَأيَكَ قاسِرُه

3- فَصَبرٌ جَميلٌ إِنَّ في اليَأسِ راحَةً إِذا الغَيثُ لَمَ يُمطِر بِلادَكَ مـــاطِرُه [1]

– رُبَّ قريبٍ وصديقٍ بذلت له النُّصح حتى يرفضه، وحتّى أُعذِرَه.

– هذا مثل قول النَّاس، إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون [قال الشاعر]:

إنْ لمْ يكنْ ما يريدُ النَّاسُ من سببٍ فواجبٌ أن يريدَ المرءُ ما كانا [2]

– فاصبر صبرًا جميلًا فإنَّك عندما تيأس من هطول الغيث فإنَّك ترتاح من الهمِّ.

****

العفة

وقال نهشل بن حرِّي بن ضَمْرَة الدارمي الطويل:

تَقــولُ ارتَحِــل إِنَّ المَكاسِــبَ جَمَّــةٌ فَقُلــتُ لَهــا إِنّي اِمــرُؤٌ أَتَعَفَّــفُ

وَأَرجـو عَطـاءَ اللهِ مِـن كُـلِّ جانِـبٍ وَيَنفَعُنــي المــالُ الـذَي أَتَسـخَّفُ

وَأُبغِـــضُ إِرقاصًـــا إِلى رَبِّ دارِهِ لَئـيمٌ لَـهُ كتَّانَتــانِ وَمِطــرَفُ [3]

– تقول زوجتُه له سافر وهاجر ففي الأسفار فوائدُ كثيرةٌ، فقال لها إني امرؤ عفيف أترفَّع عن سؤال النَّاس.

– أرجو عطاء الله دون سفر، وينفعني المال القليل الحقير.

---

(1) عشرة شعراء مُقلّون، د. حاتم صالح الضامن، ص119.

(2) جمهرة الأمثال، أبو الهلال العسكري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، دار الجيل ودار الفكر، بيروت، 1988م، ج1، ص305.

(3) عشرة شعراء مُقلّون، د. حاتم صالح الضامن، ص121.

- وأكره السيرَ إلىٰ اللئيم الغنيّ لابس الكَتَّان والحرير، طلبًا لعطائه لأنَّني عفيفٌ كريمُ النفس.

الموت أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد

وقال نهشل بن حرِّي بن ضَمْرَة الدارميُّ من الوافر:

1- أَرىٰ الدُنيا وَنَحنُ نَعيثُ فيها مُوَلِّيَـــةً تَهَيَّأُ لِانطِـــــــلاقِ

2- أَعـــاذِلَ قَد بَقيتُ بَقاءَ قيـسٍ وَمــــا حَيٌّ عَلىٰ الدُنيا بِباقِ

3- كَأَنَّ الشَيبَ وَالأَحداثَ تَجري إِلىٰ نَفسِ الفَتىٰ فَرَسا سِبــاقِ

4- فَإِمّـــا الشَيبُ يُدرِكُهُ وَإِمّـــا يُـــــلاقي حَتفَهُ فيــما يُلاقي [1]

يقول في البيت الأول: أرىٰ الدنيا ونحن نُفسدُ فيها، قاصدةً للسير تتهيأ للانطلاق والذهاب، ولاحظ جمال الأسلوب بحذف حرف التاء من الفعل (تتهيأ).

ويقول في البيت الثاني: يا عاذلي قد عُمِّرت طويلًا، ولكنَّك فانٍ ولن تبقىٰ وفي هذا قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [2]

ويقول في البيت الثالث: كأنَّ الشيبَ ومرَّ السنين يجريان إلىٰ الفتىٰ كفرسَي سباقٍ.

ويقول في البيت الرابع: فإمَّا أن يدركَه الشيبُ، وإمَّا أن يلاقيَه الموت.

وعن حتميّة النهاية قال متمم اليربوعي من الطويل:

وكل امرئ يومًا إذا عاش حقبةً إلىٰ غايةٍ يجري إليها ومنتهىٰ [3]

---

(1) أمالي المرتضى، الشريف المرتضى، ج2، ص227.

(2) سورة الرحمن، الآية: 26-27.

(3) مالك ومتمّم ابنا نويرة اليربوعي، تح: ابتسام الصفّار، مكتبة الإرشاد، بغداد، 1968م، ص85.

وكل امرئ إذا عاش حينًا من الدهر، فإنَّه سيصل إلى الغاية التي عندها ينتهي أجله، وهذا يذكرنا بقول كعب بن زهير:

كُلُ اِبنِ أُنثىٰ وَإِن طالَت سَلامَتُهُ　　　يَوماً عَلىٰ آلَةٍ حَدباءَ مَحمولُ [1]

فكل امرئٍ وإن طالَ عمره سيُحمل يومًا على النعش والموت أدنىٰ مِن الخَيالِ

وفي هذا قال عمرو بن أحمر الباهليُّ رحمه الله من الوافر:

وَإِنَّ المَوتَ أَدنىٰ مِن خَيالٍ　　　وَدونَ العَيشِ تَهوادًا ذَنينا [2]

إنَّ الموتَ أقرب من الظِّل، وأمام العيش صعوباتٍ كأْدَاء والتَّهواد ضربٌ من المشي بطيءٌ، وذنين الذي يمشي بضعفٍ.

****

نوازل الدهر

وقال عمرو بن أحمر الباهليُّ رضي الله عنه من الكامل:

أَو هَل تَرَينَ الدَهرَ عَرّىٰ مَسَّهُ [3]　　　إِلّا عَلىٰ لَمٍ [4] يَروحُ وَيَغتَدي [5]

ألا ترينَ أنَّ الدهر يُصيب بنوازله، فإن لم يقضِ على المرء فإنَّه ينتقص منه.

****

(1) ديوان كعب بن زهير، تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص65.

(2) شعر عمرو بن أحمر الباهليّ، تح: د. حسين عطوان، مجمع اللغة العربية، دمشق، ص53، ص165.

(3) المس: الجنون ويريد به مصائب الدهر.

(4) لَمَم: طائف من الجنّ.

(5) شعر عمرو بن أحمر الباهليّ، ص53.

متى يصير السَّفَه محمودًا

وقال نهشل بن حرِّي بن ضَمْرَة الدارمي الوافر:

وَمَن يَحلُم وَلَيسَ لَهُ سَفِيهٌ   يُلاقي المُنكَراتِ مِنَ الرِّجالِ [1]

إنَّ الذي يَحلُم كثيرًا دون أن يكونَ له سَفَهٌ علىٰ من يظلمه، فإنَّه سيلاقي الظلم الكبير والشرَّ المستطير من النَّاس.

****

الجُبن

وقال نهشل بن حرِّي بن ضَمْرَة الدارمي من الطويل:

فَلَو كانَ لي نَفْسَانِ كُنتُ مُقاتِلًا   بِإِحداهُما حَتّىٰ تَموتَ وَأَسلَما [2]

وفي هذا جبنٌ كبيرٌ وحضٌ عليه، ولقد حارب الإسلام الجُبْنَ، فقال الرسول صلىٰ الله عليه وسلم: "اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من العجزِ والكسلِ، والجُبنِ والبُخلِ" [3] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: (شرُّ ما في رجلٍ شحٌّ هالعٌ، وجبنٌ خالعٌ) [4]

---

(1) مجمع الحكم والأمثال، أحمد قبش، الطبعة الثالثة، 1985م، دار الرشيد، ص125.

(2) عيون الأخبار، ابن قُتيبة الدينوريّ، تح: منذر أبو شعر، المكتب الإسلامي، بيروت، عمّان، الطبعة الأولى، 2008م، ج2، ص215.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، تح: شعَيب الأرنؤوط، محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 2009م، ج2، ص642.

(4) صحيح سنن أبي داود، ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1998م، رقم الحديث 2511، ج2، ص99.

وكما حث نهشل بن حرِّي بن ضَمْرَة الدارمي على **الجُبْن** كذلك حث مُتمِّم بن نويرة اليربوعي على **الشجاعة** من الطويل:

فلا تَفرحَن يومًا بنفسك إنَّني أرى الموتَ وقَّاعًا على من تَشَجّعا [1]

لا تفرح إن نجوت بنفسك أيها الجبان، إنَّني أرى الموت كثيرَ الوقوع على الشجاع المغوار، وفي هذا قال المتنبي من البسيط:

لَولا المَشَقَّةُ سادَ الناسُ كُلُّهُمُ الجودُ يُفقِرُ وَالإِقدامُ قَتّالُ [2]

أي لولا التعب والجهد لنال السيادة والرياسة جميع الناس، لذلك إنَّ بذل الوُسع والجهد هو المقياس والمعيار فالكرم يُفقر الإنسان والشجاعة تقتله.

****

متى يُبدأ بالحرب؟

وقال مالك الأشتر من البسيط:

لاَ تَطلُبُوا الحَربَ مَا دُمتُم عَلَىٰ طَرَفٍ مِنَ السَّلاَمَةِ واخشَوا صَولَةَ الحِقَبِ [3]

لا تطلبوا الحربَ إن كنتم في سلامةٍ، وخافوا هجمةَ الدهر والمصائب عليكم.

****

(1) المفضليات، المفضَّل الضَّبِّيّ، تح: عمر فاروق الطبَّاع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1998م، ص259.

(2) ديوان المتنبي، دار بيروت، بيروت، 1983م، ص490.

(3) الحماسة، ابن البحتري، تح: د. محمَّد إبراهيم حُوَّر، أحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، 2007م، ص307.

الإباء

وقال مالك الأشتر من الخفيف:

لَستُ مِمَّن بَاعَ الهُدَىٰ بِهَواهُ ... إنَّ مَن بَـاعَ دِينَهُ مَغبُونُ

إنَّمَا يَطلُـبُ المَتَاعَ مِنَ النَّا ... سِ سَفِيهٌ في رَأيِهِ مَفتُونُ [1]

يقول في البيت الأول: لست ممن بدَّل دينه بالهوىٰ، إنَّ من فعل ذلك لخاسرٌ الخسران الأكبر في الدنيا والآخرة.

ويقول في البيت الثاني: إنَّ الذي يطلبُ العطاءَ من النَّاسِ، خفيف العقل، بل مجنونه، ويؤدي الطلب من النَّاس إلىٰ خفَّة الدين والافتتان بما يريده من الدنيا.

****

الالتزام من البداية

قال عمرو بن أحمر الباهليُّ رحمه الله من الوافر:

إِذا ضَيَّعتَ أَوَّلَ كُلِّ أَمرٍ.. أَبَت أَعجازُهُ إِلّا التِواءَ [2]

فمن لم تكن له بدايةٌ محرقة لم تكن له نهايةٌ مشرقة لذلك يجب تحقيق البدايات القوية وعدم مضيعة الوقت.

****

(1) كتاب الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي، تح: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، 1411هـ، جـ ٣، ص177.

(2) شعر عمرو بن أحمر الباهليّ، ص39.

مؤثرات إسلامية في شعر الحكمة عند عمرو الباهليّ

وقال عمرو بن أحمر الباهليُّ رحمه الله من السريع:

1	وَإِنَّـــــما العَـــــيشُ بِرُبَّانِـــــهِ	وَأَنـــتَ مِـــن أَفنانِـــهِ مُقتَفِـــر
2	إِنَّ الفَتـــىٰ يُقـــتِرُ بَعـــدَ الغِنـــىٰ	وَيَغتَنـــي مِـــن بَعـــدِ مـــا يَفتَقِـــر
3	وَالحَـــيُّ كَالمَيـــتِ وَيَبقـــىٰ التُقـــىٰ	وَالعَـــيشُ فَنّـــانِ فَحُلـــوٌ وَمُـــر
4	إِمَّـــا عَـــلىٰ نَفـــسي وَإِمَّـــا لَهـــا	فَعـــايِشِ الـــنَّفسَ وَفيهـــا وَتَـــر
5	هَـــل يُهلِكَنِّـــي بَســـطُ مـــا في يَـــدي	أَو يُخلِـــدَنِّي مَنـــعُ مـــا أَدَّخِـــر
6	أَو يَنسَـــأَن يَـــومي إِلىٰ غَـــيرِهِ	أَنِّي حَـــــوالِيٌّ وَأَنِّي حَـــــذِر
7	وَلَـــن تَـــرىٰ مِـــثلِيَ ذا شَـــيبَةٍ	أَعلَـــمَ مـــا يَنفَـــعُ مِمَّـــا يَضـــُر

يقول:

1- وَإِنَّما العَيشُ بِرُبّانِهِ وَأَنتَ مِن أَفنانِهِ مُقتَفِر

ما العيشُ إلا بِجدَّته، وأنت تُدرِك منه ما يأتيك منه.

2- إِنَّ الفَتىٰ يُقتِرُ بَعدَ الغِنىٰ وَيَغتَني مِن بَعدِ ما يَفتَقِر [1]

إنَّ المرءَ يفتقر بعد الغنىٰ، ويغتني بعد الفقر.

3- وَالحَيُّ كَالمَيتِ وَيَبقىٰ التُّقىٰ وَالعَيشُ فَنّانِ فَحُلوٌ وَمُر

فالحيُّ كالميِّت بالنسبة إلىٰ ما سيكون، فالحيُّ أيضًا سيموت، ويبقىٰ تقواهما لله عزَّ وجل، والعيش ضربان ولونان ونوعان ففيه اللحظات المُسِّرة وفيه لحظات الأسف والحسرة.

(1) شعر عمرو بن أحمر الباهليّ، ص61.

4- إِمّا عَلىٰ نَفسي وَإِمّا لَهَا   فَعايِشِ النَّفسَ وَفيها وَتَر

اعمل ما شئت فالنتيجة إمَّا حسناتٌ وإما سيئاتٌ، فاستفد من حياتك طالما لديك رمقٌ منها.

5- هَل يُهلِكَنّي بَسطُ ما في يَدي   أَو يُخلِدَنِّي مَنعُ ما أَدَّخِر

لا يقتلني الكرم، ولا يخلدنِّي البخل والشُّحُّ.

6- أَو يَنسَأَن يَومي إِلىٰ غَيرِهِ   أَنِّي حَواليٌّ وَأَنِّي حَذِر

هل تتأخر ساعة موتي لكوني ذا حيلةٍ وذا حذَر؟! الإجابة لا تتأخر، استمد الشاعر هذا المعنىٰ من القرآن الكريم قال تعالىٰ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [1]

7- وَلَن تَرىٰ مِثلِيَ ذا شَيبَةٍ   أَعلَمَ ما يَنفَعُ مِمَّا يَضُر [2]

لن ترىٰ عجوزًا مثلي لديه هذا الكم من الحِكَم، فأنا رجلٌ قد خضدته السنون وحنَّكته التجارِب.

****

الفطنة والرصانة

وقال عمرو بن أحمر الباهليُّ رحمه الله من الوافر:

وَلا يُنسينِيَ الحَدَثانُ عِرضي   وَلا أُلقي مِنَ الفَرَحِ الإِزارا [3]

(1) الأعراف، الآية:34 .

(2) شعر عمرو بن أحمر الباهليّ، ص64-65.

(3) المصدر السابق نفسه، ص77.

لا تنسيني المصائب شرفي ولا تشغلني عمَّا يجب الدفاعُ عنه، ولا أُبدي عورتي للناس إذا طربت.

****

إِذا أَنتَ راوَدتَ البَخيلَ

وقال عمرو بن أحمر الباهليُّ رحمه الله من الطويل:

1. إِذا أَنــتَ راوَدتَ البَخيلَ رَدَدتَهُ إِلى البُخلِ وَاِستَـمطَرتَ غَيرَ مَطيرِ
2. مَتى تَطلُبِ المَعروفَ في غَيرِ أَهلِهِ تَجِد مَطلَـبَ المَعــروفِ غَيرَ يَسيرِ
3. إِذا أَنــتَ لَم تَجعَل لِعِرضِكَ جُنَّةً مِنَ الذَمِّ ســـارَ الذَمُّ كُلَّ مَســيرِ [1]

يقول في البيت الأول: إذا أنت طلبت من البخيل عطاءً، فإنَّه يعمل حسبَ طبعه، وأنت بذلك تخالف القوانين الإلهية.

ويقول في البيت الثاني: إنَّك عندما تطلب المعروف مِن غيرِ مَن هو أهلٌ له، تجد أن عثورك على المعروف صعب المنال.

ويقول في البيت الثالث: إذا أنت لم تجعل أمام عِرضك وشرَفك شيئًا تقيهما به، فإنَّ ذمَّك سينتشر بين النَّاس.

****

(1) شعر عمرو بن أحمر الباهليّ، ص115-116.

لا يمنع حذر من قدر!

وقال عمرو بن أحمر الباهليُّ رحمه الله من الطويل:

1. شَرِبنا وَداوَينا وَما كانَ ضَرَّنا إِذا اللهُ حَمَّ القَدرَ أَلّا تُداوِيا [1]

شربنا وتداوينا أخذًا بالأسباب، ولكن إذا قدَّر الله أمرًا لن يضرّنا عدم التداوي.

****

لا أُقيمُ بِدارِ الهونِ

قال ساعدة بن جؤية الهذلي رحمه الله من البسيط:

1. وَلا أُقيمُ بِدارِ الهونِ، إِنَّ، وَلا آتي إِلىٰ الغَدرِ أَخشىٰ دونَهُ الخَمَجا [2]

لا أقيم بدار الذُّلّ، وهنا (إنَّ) بمعنىٰ نعم، ولا أغدرُ لأنَّني أخشىٰ عاقبة الغدر وهي سوء الثناء من الناس.

****

وَما يُغَني اِمرأً

وقال ساعدة بن جؤية الهذلي رحمه الله من الوافر:

1. وَما يُغَني اِمرأً وَلَدٌ أَجَمَّت مَنِيَّتُهُ وَلا مالٌ أَثيلُ [3]

---

(1) شعر عمرو بن أحمر الباهليّ، ص171.

(2) شعر ساعدة بن جؤية الهذلي، تح: ميساء قتلان، كلية الآداب، دمشق، 2003م، ص179.

(3) شعر ساعدة بن جؤية الهذلي، ص207-208.

لن ينفع أحدٌ إذا بلغت روحُه تراقيَه، ولدٌ ولا مالٌ وفيرٌ، ونلحظ هنا المعاظلة في الشطر الأول فالأصل أن تكون الجملة وما يغني امرأ أجمَّت منيته ولدٌ ولا مالٌ أثيل، ولكن عدل عن ذلك ليستقيم الوزن، وقبل ساعدة رحمه الله قال حاتم الطائي من الطويل:

1. أَماوِيُّ ما يُغني الثَّراءُ عَنِ الفَتى إِذا حَشرَجَت نَفسٌ وَضاقَ بِها الصَّدرُ [1]

****

أَلا مَنجى مِنَ الهَرَمِ

قال ساعدة بن جؤية الهذلي رحمه الله من البسيط:

1	يا لَيتَ شِعري أَلا مَنجى مِـنَ الهَـرَمِ	أَم هَل عَلى العَيش بَعدَ الشَّيبِ مِن نَدَمِ
2	أم هل ترى أصلاتِ العيشِ نافعـةً	أم في الخلـود ولا بـاللهِّ مـن عشـم
3	إنّ الشَّـبابَ رداءٌ مـن يـزِنْ تـرَه	يُكسـى الجـمالَ ويُفنِد غـيرَ محتشِـم
4	وَالشَـيبُ داءٌ نَجـيسٌ لا دَواءَ لَـهُ	لِلمَرءِ كانَ صَحيحًا صائِبَ القُحَمِ [2]

يقول في البيت الأول: يا ليتني أعلم هل هناك منجى من الهَرَم والكِبَر؟ أم هل ينفع الندم؟ لا، لا منجى، ولا ينفع الندم.

ويقول في البيت الثاني: أم هل ترى أن اتصال العيش نافعٌ؟ أم هل هناك أمل بالخلود، والأمل معقود لله.

ويقول في البيت الثالث: إنَّ الشَّباب لباسٌ من يلبسه تره قد كُسيَ الجمالَ لكنَّ هذا الشاب في الوقت ذاته يقول أقوالًا قبيحةً فيها تخليطٌ وبعيدةٌ عن حكمة الشيوخ.

---

(1) ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت،1981م، ص50.

(2) شعر ساعدة بن جؤية الهذلي، ص237-238.

ويقول في البيت الرابع: والشيبُ داءٌ لا يكاد يُبرأ منه، فلا شفاء له، فإذا تقحَّم في أمر أصابه ولم يخطئه.

وَإنْ أهلكْ

قال ورقة بن نوفل من الوافر:

وَإنْ أهلَكْ فكلُّ فَتًى سَيَلْقَى... من الأقدارِ مَتْلِفةً حَرُوجَا [1]

وإن أمت فكل امرئٍ سيلقى من الأقدار مُهلِكةً شديدةً.

****

وقد تدركُ الإنسانَ

وقال ورقة بن نوفل من الطويل:

وقد تدركُ الإنسانَ رحمةُ ربِّه ولو كان تحتَ الأرضِ سبعينَ واديا [2]

إنَّ الإنسان إذا أراد الله به خيرًا فسينال هذا الخير والرحمة ولو كان تحت الأرض عميقًا جدًا، وقريب منه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الرِّزقُ أشدُّ طلبًا للعبدِ من أجَلِه" [3]

****

حِكَمُ ورقةَ بن نوفل

وقال ورقة بن نوفل من البسيط:

---

(1) السيرة النبوية، ابن هشام، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص204.

(2) المصدر السابق نفسه، ص247.

(3) مسند الشهاب، أبو عبد الله حكمون القضاعي، تح: حمدي بن عبد المجيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1986م، ج1، ص168.

1. لَقـد نصـحتُ لأقـوامٍ وقلـتُ لهـم   أنـــا النَّـــذير فـــلا يغـــروكمُ أحـــدُ
2. لا تُعبُـــدَنَّ إلهًـــا غـــير خـــالقِكم   فـــإن دعَـــوكم فقولـــوا بيننَـــا حـــدَدُ[1]
3. سبحان ذي العرشِ سبحانًا يعادلـهُ   ربُّ البريَّـــة فـــردٌ واحـــدٌ صـــمدُ
4. سُـبحانَهُ ثـم سُـبحانًا يعـودُ لـهُ   وقبـــلُ ســـبَّحَه الجُـــوديُّ والجَمَـــدُ
5. مُسـخَّرٌ كـلُّ مـن تحـت السـماء لـهُ   لا ينبغـــي أن ينـــاوي مُلكَـــهُ أحـــدُ
6. لا شيءَ ممـا تـرى تبقـى بشاشـتُهُ   يَبقـى الإلـهُ ويفنـى المـالُ والولـدُ
7. لم تُغـن عـن هرمـز يومًـا خزائنـه   والخلـدَ قـد حاولـت عـادٌ فـما خلَـدوا
8. ولا سـليمانَ إذ دانَ الشـعوبُ لـهُ   الإنـسُ والجـنُّ تجـري بينهـا الـبُرُدُ
9. حوضٌ هنالك مـورودٌ بـلا كـذبٍ   لا بـدَّ مـن وردِه يومًـا كـما وردوا [2]

يقول:

1- لَقد نصحتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم   أنا النذير فلا يغروكم أحدُ

لقد حاولتُ تثبيت المسلمين على دينهم وقلتُ لهم أنا المنذر فلا يثنيكم أحدٌ عن دينكم.

2- لا تعبدنَّ إلهًا غير خالقكم   فإن دعَوكم فقولوا بيننَا حدَدُ[3]

لا تعبدنّ إلهًا إلا ربَّكم وخالقكم، فإن دعوكم إلى الشرك والكفر به فقولوا بينها وبينكم حدٌّ وحجابٌ يمنعنا من الكفر.

3- سبحان ذي العرشِ سبحاناً يعادلهُ   ربُّ البريَّة فرد واحدٌ صمدُ

أُسبِّحُ الله تسبيحًا كثيرًا يعادل عظمته، هو ربُّ النَّاس فردٌ واحدٌ يُحتاجُ إليه في الشدائد.

(1) الحدد: المنع، أي فإن دعاكم أحدٌ للكفر بالله، فامتنعوا عن إجابته.

(2) العُمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، ت: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ج1، ص36-37.

(3) الحدد: المنع، أي فإن دعاكم أحدٌ للكفر بالله، فامتنعوا عن إجابته.

4- سُبحانَهُ ثم سُبحاناً يعودُ لهُ وقبلُ سبَّحَه الجوديُّ والجَمَدُ

أسبّحه وأنزّهه عن كل ما لا يليق به، ومن قبلُ سبّحه جبل الجوديّ وسبّحته الأرض الصلبة.

5- مُسخَّرٌ كلُّ من تحت السماء لهُ لا ينبغي أن يناوي مُلكَهُ أحدُ

كُل من تحت السماء يعبد الله ويسبّحه، قال تعالى: (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) [1] لا ينبغي هنا بمعنى لا يمكن أن ينازعَه في ملكه أحد فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: الكبرياءُ ردائي، والعظمةُ إزاري، فمَن نازعَني واحدًا منهُما، قذفتُهُ في النَّارِ)

6- لا شيء مما ترى إلا بشاشتهُ يَبقى الالهُ ويفنى المالُ والولدُ

لا شيء على الدنيا بباقٍ وكل ما فوق التراب من المال والأولاد ترابٌ، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [2]

7- لم تُغن هرمز يومًا خزائنه والخلدَ قد حاولت عادٌ فما خلَدوا

لم تمنع كنوزُ الملِك الفارسيّ هرمزَ من الموت، وقد حاول قوم عاد الوصول إلى الخلود ببناء القصور المشيّدة، ولم يستطيعوا قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [3]

8- ولا سليمانَ إذ دانَ الشعوبُ لهُ الإنسُ والجنُّ تجري بينها البُرُدُ

---

(1) الإسراء، الآية:44.

(2) الرحمن، الآية:26-27.

(3) الشعراء، الآية: 128-129-130.

حتَّىٰ نبيُّ الله سليمان لقد مات، وقد كان له ما كان من المُلك العظيم حتىٰ أنَّه كانت له رُسُلٌ من الجِن والإنس والحيوانات تأتيه بالأخبار.

9- حوضٌ هنالك مورودٌ بلا كذبٍ لا بدَّ من وردِه يومًا كما وردوا

فالموت كحوض الماء لا بُدَّ من وروده والنَّهل منه.

****

يا للرجالِ

وقال ورقة بن نوفل من البسيط:

يا للرجالِ وصِرفِ الدَّهرِ والقَدرِ وما لشيءٍ قضاهُ اللهَ من غِيَرِ [1]

أتعجبُ من الرجال وأفعالهم والدهر ونوائبه والقدَر، حتىٰ أيقنت أنَّه ما لشي قضاه الله من مُغيِّر.

****

يريب علينا الدهر

قالت هند بنت عتبة رضي الله عنها من الطويل:

يريب علينا دهرنا فيسوؤنا ويأبىٰ فما نأتي بشيء يغالبه [2]

يعيِينا الدهر ويُعجزنا فيسوؤنا فعله، ويرفض فعلَ الذي نريده منه فلا نستطيع أن نصل -حتىٰ- إلىٰ شيء يوازي قوَّتَه وبأسه.

****

(1) شعر شعراء المسيحية في العصر الجاهلي، صباح إيليا القس، دار غيداء، عمّان، 2016م، ص78.

(2) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بشير يموت، المكتبة الأهلية، بيروت، الطبعة الأولى، 1934م، ص129.

وصايا عبدة بن الطبيب

قال عبدة بن الطبيب من الكامل:

1. أَبَنِـــيَّ إِنِّي قَـــد كَـــبِرتُ وَرابَنـــي بَصـــَري وَفِيَّ لِمُصـــلِحٍ مســـتَمْتَعُ
2. أوصـــيكُمُ بِتُقـــى الإِلَـــهِ فَإِنَّـــهُ يُعطـي الرَغائِـبَ مَـن يَشـاءُ وَيَمنَـعُ
3. وَبِـــبِرِّ والِـــدِكُم وَطاعَـــةِ أَمـــرِهِ إِنَّ الأَبَـــرَّ مِـــنَ البَنـــينَ الأَطـــوَعُ
4. إِنَّ الكَبـــيرَ إِذا عَصـــاهُ أَهلُـــهُ ضـــاقَت يَـــداهُ بِـــأَمرِهِ مـــا يَصـــنَعُ
5. وَدَعـوا الضَّـغينَةَ لا تَكُـن مِـن شَـأنِكُم إِنَّ الضَّـــغائِنَ لِلقَرابَـــةِ توضِـــعُ
6. وَاعصُـوا الَّـذي يُزجـي النَّمائِمَ بَيـنَكُم مُتَنَصِّـــحًا ذاكَ السِّـــمامُ المُنقَـــعُ
7. يُزجـــي عَقارِبَـــهُ لِيَبعَـــثَ بَيـــنَكُم حَربًـــا كَـــما بَعَـثَ العُـروقَ الأَخـدَعُ
8. حَـــرّانَ لا يَشـــفي غَليـــلَ فُـــؤادِهِ عَسَـــلٌ بِـــماءٍ فِي الإِنـــاءِ مُشَعشَـــعُ
9. لا تَـــأمَنوا قَومًـــا يَشِـــبُّ صَـــبِيُّهُم بَـــينَ القَوابِـــلِ بِالعَـــداوَةِ يُنشَـــعُ
10. إِنَّ الَّـــذينَ تَـــرَونَهُم إِخـــوانَكُم يَشـفي غَليـلَ صُـدورِهِم أَن تُصـرَعوا
11. وَلَقَـد عَلِمـتُ بِـأَنَّ قَصـري حُفـرَةٌ غَـــبراءُ يَحمِلُنـــي إِلَيهـــا شَرجَـــعُ
12. فَبَكـى بَنـاتي شَـجوَهُنَّ وَزَوجَتـي وَالأَقرَبـــونَ إِلَيَّ ثُـــمَّ تَصَـــدَّعوا
13. وَتُرِكـــتُ في غَـــبراءَ يُكـــرَهُ وِردُهـــا تَســـفي عَـــلَيَّ الـــريحُ حـــينَ أُوَدَّعُ
14. فَـــإِذا مَضَـــيتُ إِلى سَـــبيلي فَـــابعَثوا رَجُـــلًا لَـــهُ قَلـــبٌ حَديـــدٌ أَصـــمَعُ
15. إِنَّ الحَـــوادِثَ يَخـــتَرِمنَ وَإِنَّـــما عُمـــرُ الفَتـــى في أَهلِـــهِ مُســـتَودَعُ
16. يَســـعى وَيَجمَـــعُ جاهِـــدًا مُســـتَهتِرًا جِـــدًّا وَلَـــيسَ بِآكِـــلٍ مـــا يَجمَـــعُ
17. حَتّـــى إِذا وافى الحِـــمامُ لِوَقتِـــهِ وَلِكُـــلِّ جَنـــبٍ لا مَحالَـــةَ مَـــصرَعُ
18. نَبَـــذوا إِلَيـــهِ بِالسَّـــلامِ فَلَـــم يُجِـــب أَحَـدًا وَصَـمَّ عَـنِ الـدُعاءِ الأَسـمَعُ [1]

(1) شعر عبدة بن الطبيب، تح: د. يحيى الجبوري، دار التربية، بغداد، 1971م، ص43حتى51.

يقول:

1. أَبَنِيَّ إِنّي قَد كَبِرتُ وَرابَني بَصَري وَفِيَّ لِمُصلِحٍ مُستَمتِعُ

يا أولادي إنَّني قد كبرت وأعجزني بصري عن الرؤية، لكن فِيَّ رمقٌ لمن طلب نصيحتي ورأيي.

2. أوصيكُمُ بِتُقى الإِلَهِ فَإِنَّهُ يُعطي الرَّغائِبِ مَن يَشاءُ وَيَمنَعُ

أوصيكم بتقوىٰ الله، فاللهَّ عنده العطاء الكثير والنَّفيس.

3. وَبِبِرِّ والِدِكُم وَطاعَةِ أَمرِهِ إِنَّ الأَبَرَّ مِنَ البَنينَ الأَطوَعُ

التفت من ياء المتكلم إلىٰ الضمير هو فقال: (والِدِكم) يقصد نفسَه، فوصَّاهم ببرّه وطاعة أوامره، لأنَّ أكثر البنين طواعيةً هو الأكثر بِرًّا.

4. إِنَّ الكَبيرَ إِذا عَصاهُ أَهلُهُ ضاقَت يَداهُ بِأَمرِهِ ما يَصنَعُ

إنَّ الرَّجُلَ الكبير إذا عصاه أهلهُ لم يبقَ له حيلةٌ أو عملٌ ينجيه من الضِّيق الذي وقع فيه.

5. وَدَعوا الضَّغينَةَ لا تَكُن مِن شَأنِكُم إِنَّ الضَّغائِنَ لِلقَرابَةِ توضِعُ

واتركوا الحقد لا يكن من أخلاقكم، إنَّ الأحقاد تفسد القرابة.

6. وَاعصُوا الَّذي يُزجي النَّمائِمَ بَينَكُم مُتَنَصِّحًا ذاكَ السِّمامُ المُنقَعُ

واعصوا الذي يسوق وينمي النمائم بينكم، مدَّعيًا النّصيحة، لأنّه هو السمُّ الذعاف.

7. يُزجي عَقارِبَهُ لِيَبعَثَ بَينَكُم حَربًا كَما بَعثَ العُروقَ الأَخدَعُ

الأخدع هو عِرق في الرقبة إذا ضُربَ اضطربت لأجله بقيةُ العروق، يريد إنَّ هذا الذي ينمي النمائم بينكم يرسل عقاربه ليشعل حربًا متعدّيةً لا تُحمَد عقباها كما يتعدَّىٰ اضطرابُ العِرق الأخدع إلىٰ باقي العُروق.

8. حَرّانَ لا يَشفي غَليلَ فُؤادِهِ   عَسَلٌ بِماءٍ في الإِناءِ مُشَعشَعُ

إنَّ هذا الذي ينمي النَّمائم بينكم يتحرَّق من الغيظ ولا يشفي عطش فؤاده حتىٰ الماءُ الممزوجَ بالعسل.

9. لا تَأمَنوا قَومًا يَشِبُّ صَبِيُّهُم   بَينَ القَوابِلِ بِالعَداوَةِ يُنشَعُ

لا تأمنوا قومًا قد جُبلوا علىٰ العداوة وصبيُّهم منذ الولادة قد صاح فمه بها.

10. إِنَّ الَّذينَ تَرَونَهُم إِخوانَكُم   يَشفي غَليلَ صُدورِهِم أَن تُصرَعوا

إنَّ الذين تظنونهم إخوانكم يُذهب غيظَ قلوبهم وأحقادهم موتُكم.

11. وَلَقَد عَلِمتُ بِأَنَّ قَصري حُفرَةٌ   غَبراءُ يَحمِلُني إِلَيها شَرجَعُ

ولقد علمت أنَّ آخر عمري قبرٌ يحملني النَّعش إليه.

12. فَبَكىٰ بَناتي شَجوَهُنَّ وَزَوجَتي   وَالأَقرَبونَ إِلَيَّ ثُمَّ تَصَدَّعوا

فبكىٰ بناتي لحزنهنَّ عليَّ وزوجتي وأقاربي، ثمَّ تفرّقوا.

13. وَتُرِكتُ في غَبراءَ يُكرَهُ وِردُها   تَسفي عَلَيَّ الريحُ حينَ أُوَدَّعُ

وتُركت في أرض مغبرَّة يكره النَّاسُ القدوم إليها، ترمي عليَّ الريح بالغبار حين يتركني أهلي.

14. فَإِذا مَضَيتُ إِلىٰ سَبيلي فَابعَثوا   رَجُلًا لَهُ قَلبٌ حَديدٌ أَصمَعُ

فإذا مضيت إلى قبري فأرسلوا رجلًا قوي البأس لينظر أين صارت حالي.

15. إِنَّ الحَوادِثَ يَختَرِمنَ وَإِنَّما عُمرُ الفَتى في أَهلِهِ مُستَودَعُ

إنَّ الحوادث والمصائب يُهلكن المرءَ، وإنَّما عُمْرُ الفتى في أهله عاريةٌ مستردة.

16. يَسعى وَيَجمَعُ جاهِدًا مُستَهتِرًا جِدًّا وَلَيسَ بِآكِلٍ ما يَجمَعُ

إنَّ المرءَ يسعى ويجمع المال بكل جهده وطاقته، وهو مولعٌ بالمال جدًا، ولكنَّه لن ينتفع بكلِّ ما جمع.

17. حَتّى إِذا وافى الحِمامُ لِوَقتِهِ وَلِكُلِّ جَنبٍ لا مَحالَةَ مَصرَعُ

حتى إذا آن أوان الموت مات، وهنا جواب الشرط محذوف تقديره مات، ثم يقول في الشطر الآخر: ولكل إنسانٍ وقتٌ لحلول الأجل لا مهربَ من ذلك.

18. نَبَذوا إِلَيهِ بِالسَّلامِ فَلَم يُجِب أَحَدًا وَصَمَّ عَنِ الدُّعاءِ الأَسمَعُ

ألقى أهلهُ السلامَ عليه، لكنَّه لم يجب أحدًا، وصُمَّ عن دعائهم إياه، وقد كان سميعًا مرهف السمع.

****

إن الفتى يقتر بعد الغنى

وقال عبدة بن الطبيب من البسيط:

1 وَإِنَّما العَيشُ بِرُبّانِهِ وَأَنتَ مِن أَفنانِهِ مُقتَفِر

2 إِنَّ الفَتى يُقتِرُ بَعدَ الغِنى وَيَغتَني مِن بَعدِ ما يَفتَقِر

3 وَالحَيُّ كَالمَيتِ وَيَبقى التُقى وَالعَيشُ فَنّانِ فَحُلوٌ وَمُر[1]

(1) شعر عمرو بن أحمر الباهلي، ص61.

4 إِمَّـــا عَـــلىٰ نَفـــسي وَإِمَّـــا لَهَـــا فَعـــايِشِ الـــنَّفسَ وَفيهـــا وَتَـــر

5 هَـــل يُهلِكَنِّـــي بَســـطُ مـــا في يَـــدي أَو يُخلِـــدَنِّي مَنـــعُ مـــا أَدَّخِـــر

6 أَو يَنسَـــأَن يَـــومي إِلىٰ غَـــيرِهِ أَنِّي حَـــوالِيٌّ وَأَنِّي حَـــذِر

7 وَلَـــن تَـــرىٰ مِـــثلِيَ ذا شَـــيبَةٍ أَعلَـــمَ مـــا يَنفَـــعُ مِمَّـــا يَضُـــر

يقول:

1- وَإِنَّما العَيشُ بِرُبّانِهِ وَأَنتَ مِن أَفنانِهِ مُقتَفِر

ما العيشُ إلا بِجدَّته، وأنت تُدرِك منه ما يأتيك منه.

2- إِنَّ الفَتىٰ يُقتِرُ بَعدَ الغِنىٰ وَيَغتَني مِن بَعدِ ما يَفتَقِر

إنَّ المرءَ يفتقر بعد الغنىٰ، ويغتني بعد الفقر.

3- وَالحَيُّ كَالمَيتِ وَيَبقىٰ التُّقىٰ وَالعَيشُ فَنّانِ فَحُلوٌ وَمُر

فالحيُّ كالميِّت بالنسبة إلىٰ ما سيكون، فالحيُّ أيضًا سيموت، ويبقىٰ تقواهما لله عزَّ وجل، والعيش ضربان ولونان ونوعان ففيه اللحظات المُسِّرة وفيه لحظات الأسف والحسرة.

4- إِمّا عَلىٰ نَفسي وَإِمّا لَهَا فَعايِشِ النَّفسَ وَفيها وَتَر

اعمل ما شئت فالنتيجة إمَّا حسناتٌ وإما سيئاتٌ، فاستفد من حياتك طالما لديك رمقٌ منها.

5- هَل يُهلِكَنّي بَسطُ ما في يَدي أَو يُخلِدَنِّي مَنعُ ما أَدَّخِر

لا يقتلني الكرم، ولا يخلدنِّي البخل والشُّحُّ.

6- أَو يَنسَأَن يَومي إِلىٰ غَيرِهِ أَنِّي حَوالِيٌّ وَأَنِّي حَذِر

هل تتأخر ساعة موتي لكوني ذا حيلةٍ وذا حذَر؟! الإجابة لا تتأخر، استمد الشاعر هذا المعنىٰ من القرآن الكريم قال تعالىٰ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف:34)

7- وَلَن تَرىٰ مِثلِيَ ذا شَيبَةٍ أَعلَمَ ما يَنفَعُ مِمَّا يَضُر [1]

لن ترىٰ عجوزًا مثلي لديه هذا الكم من الحِكَم، فأنا رجلٌ قد خضدته السنون وحنَّكته التجارِب.

****

(1) شعر عمرو بن أحمر الباهليّ، ص64-65.

فَعَدِّ عَنها

وقال عبدة بن الطبيب من البسيط:

1	فَعَـدِّ عَنهـا وَلا تَشـغَلْكَ عَـن عَمَـلٍ	إِنَّ الصَّـبابَةَ بَعـدَ الشَّـيبِّ تَضـليلُ [1]
2	نَرجـو فَواضِـلَ رَبٍّ سَـيبُهُ حَسَـنٌ	وَكُـلُّ خَـيرٍ لَدَيـهِ فَهـوَ مَقبـولُ
3	رَبٌّ حَبانـا بِـأَموالٍ مُخَوَّلَـةٍ	وَكُـلُّ شَيءٍ حَبـاهُ اللهُ تَخويـلُ
4	وَالمَـرءُ سـاعٍ لِأَمـرٍ لَـيسَ يُدرِكُـهُ	وَالعَـيشُ شُـحٌّ وَإِشـفاقٌ وَتَأمِيـلُ [2]
5	ثُـمَّ اِصـطَبَحتُ كُمَيتًـا قَرقَفًـا أُنُفًـا	مِن طَيِّبِ الـراحِ وَاللَـذّاتُ تَعليـلُ [3]

يقول في البيت الأول: اترك العشق والشوق، كي لا يشغلانك عن عملٍ، فإنَّ العشق والهوىٰ بعد الشَّيب محضُ خُسرانٍ وبطلانٍ.

ويقول في البيت الثاني: نرجو نِعَم رَبٍّ عطاؤه حسنٌ، وكل خيرٍ عند الله مقبولٌ وقد قال الرسول صلىٰ الله عليه وسلم في الحديث: "إنَّ اللهَّ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلَّا طَيِّبًا" [4]

ويقول في البيت الثالث: ربٌّ أعطانا أموالًا مُمَلَّكةً، وكلُّ شيءٍ أعطانا الله تمليكٌ وتسخيرٌ وتخويل، وفي ذلك يقول تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [5]

ويقول في البيت الرابع: إنَّ المرء يسعىٰ لأمرٍ لا يستطيع تحقيقَه، فالطّموحات أكبر من الأعمار، والعيش بُخلٌ وخوفٌ وطولُ أملٍ.

---

(1) شعر عبدة بن الطبيب، ص59.

(2) شعر عبدة بن الطبيب، ص75.

(3) شعر عبدة بن الطبيب، ص82.

(4) شعب الإيمان، البيهقي، تح: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، 2003م، ج7، ص491.

(5) الأنعام، الآية:94.

ويقول في البيت الأخير: ثمَّ رافقتُ خمرًا تصيبُ الإنسان بالرِّعدة عندما يشربها، خمرًا لم يشربها أحدٌ وهي من أطيب أنواع الخمور، وكذلك اللّذات تشاغلٌ وتلَةٌ في الدنيا وعن الدنيا.

****

الأخُ الحقيقيّ

وقال عبدة بن الطَّبيب من الطويل:

وَلَيسَ أَخوكَ الدَّائِمُ العَهدِ بِالَّذي   يَذُمُّكَ إِن وَلَّى وَيُرضيكَ مُقبِلا

وَلَكِن أَخوكَ النَّاءِ ما كُنتَ آمِنًا   وَصاحِبُكَ الأَدنى إِذا الأَمرُ أَعضَلا [1]

ليس أخوك الذي يشتمك في غيابك، ويرضيك إذا حضر إليك، لكنَّ أخاك هو الذي يكون بعيدًا عنك عندما تكون أمورك على ما يرام، ويكون الأدنى منك عندما تقع في المصائب والمشكلات، وليس كما يحدث اليومَ إذ تكون صداقة أغلب الأصدقاء للمصلحة البحتة.

****

العقليّة الجاهليّة حول النساء

وقال عبدة بن الطبيب من الطويل:

فَلا تَقبَلَنَّ الدَّهرَ مِن ذي خَلاخِلٍ   حَديثًا وَلا تُؤمِن لَها بِأَمانِ [2]

(1) شعر عبدة بن الطبيب، ص85.

(2) المصدر السابق نفسه، ص89.

لا تقبلْ طول حياتك حديثًا ولا رأيًا ولا مشورةً من امرأة، ولا تأمن جانب النساء من الغدر، وقال زيد الخيل (الخير) الطائي رضي الله عنه يحط من شأن عقل المرأة أيضًا من الطويل:

قَد اِنبعَثَت عِرسي بِلَيلٍ تَلومُني وَأَقرِبْ بِأَحلامِ النِّساءِ مِنَ الرَّدىٰ [1]

لقد أتت زوجتي في الليل عند السمر تلومني، فما أقرب عقول النساء من الهلاك لمن يستمع لهنَّ.

الكرم والشُّح

قال معن بن أوس المزني رضي الله عنه من الطويل:

1. وَيَسعىٰ إِذا أَبني لِيَهـدِمَ صالِحِي وَلَيسَ الَّذي يَبني كَمَن شَأنُهُ الهَدمُ [2]
2. لِكَفٍّ مُفيدٍ يَكسَبُ الحَمدَ وَالنَّدىٰ وَيَعلَمُ أَنَّ البُخلَ يَعقِبُهُ الذَمُّ [3]

يقول في البيت الأول: إنَّ البعضَ يريدون هدم مآثري وأخلاقي ومفاخري، وشتَّان بين البنَّاء والهدَّام.

ويقول في البيت الآخر: إنَّ الكفَّ التي تُعطي تكسبُ ثناء النَّاس والعطاء، واليد الباخلة تُعقِب الذمَّ لسمعة صاحبها.

****

(1) شعر زيد الخيل الطائي، تح: د. أحمد مختار البزرة، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، 1988م، ص67.

(2) ديوان معن بن أوس المزني، تح: د. نور حمودي القيسي، حاتم صالح الضامن، دار الجاحظ، بغداد، 1977م، ص42.

(3) المصدر السابق نفسه، ص43.

اعلم ما تقول

وقال معن بن أوس المزني رضي الله عنه من الطويل:

فيا أَيُّها المَرءُ الَّذي لَيسَ صامِتًا وَلا ناطِقًا إِن قالَ فَصلًا وَلا عَدلا

إِذا قُلتَ فَاِعلَم ما تَقولُ ولا تَكُن كَحاطِبِ لَيلٍ يَجمَعُ الدِقَّ والجَزلا [1]

يا أيها المرء المتكلّم بالشَّر وغير المتكلِّم بفصل الكلام ولا معتدله، اعلم ما تقول ولا تكن كالمحتطب ليلًا يجمع صغيرَ الحطب ويابسَه.

****

أَرى ما لا تَرينَ

وقال معن بن أوس المُزني من الطويل:

1	فَـــإِنّي أَرىٰ مــــا لا تَــــرينَ وَإِنَّنــــي	رَأَيـــتُ المَنايـــا قَـــد أَصـــابَت مُحَمَّـــدا
2	وَإِنّي أَرىٰ كُـــلَّ اِبـــنِ أُنثـــىٰ مُـــؤَجَّلا	وَلَم تُضـــــرَبِ الآجـــالُ إِلّا لِتَنفَـــدا
3	فَـلا تَحسِــبينَ الشَـــرَّ ضَربَـــة لازِم	وَلا الخَــيرَ في الــدُّنيا عَـلىٰ المَـرءِ سَرمَـدا
4	وَلا خَيرَ في مَـولاكَ مـا دامَ نَصـرُهُ	عَلَيـــكَ وَلَم يَـــترُك لِنـــارِكَ مَوقِـــدا
5	دَعينـــي وَمـــالي إِنَّ مالَـــكِ وافِـــرٌ	وَكُـــلُّ اِمـــرِئٍ جـــارٍ عَـــلىٰ مـــا تَعَـــوَّدا
6	وَلا خَـــيرَ في حِلـــمٍ يَعـــودُ مَذَلَّـــةً	إِذا الجَهلُ لَم يَترُك لِـذي الحِلـمِ مَعقَـدا [2]

---

(1) ديوان معن بن أوس المزني ، ص61.

(2) المصدر السابق نفسه، ص80-81.

يقول:

1. فَإِنّي أَرىٰ ما لا تَرينَ وَإِنَّني رَأَيتُ المَنايا قَد أَصابَت مُحَمَّدا

يخاطب زوجتَه في الغالب فيقول: إنِّي أرىٰ ما لا ترين من حِكَم الحياة، وإنَّني رأيت الموتَ قد نال من محمدٍ ابنه علىٰ الأرجح.

2. وَإِنّي أَرىٰ كُلَّ اِبنِ أُنثىٰ مُؤَجَّلًا وَلَم تُضرَبِ الآجالُ إِلّا لِتَنفَدا

وإنّي أرىٰ كلَّ امرئ له موعدٌ مؤجَّلٌ ضُرِبَ فيه يموت، ولم تُضرب مواعيد الآجال إلا لتتحقق وليوصَل إليها.

3. فَلا تَحسِبينَ الشَرَّ ضَربَة لازِم وَلا الخَيرَ في الدُّنيا عَلىٰ المَرءِ سَرمَدا

فلا تظني أنَّ الشرَّ لازمُ الوقوع وحتمي الحصول، ولا تحسبي الخير بدائمٍ علىٰ أحدٍ في الدنيا.

4. وَلا خَيرَ في مَولاكَ ما دامَ نَصرُهُ عَلَيكَ وَلَم يَترُك لِنارِكَ مَوقِدا

ولا خير في صديقك ما دامت نُصرتُه عليك، ولم يترك لك مجالًا لتُظهرَ مفاخركَ وأخلاقك.

5. دَعيني وَمالي إِنَّ مالَكِ وافِرٌ وَكُلُّ اِمرِئٍ جارٍ عَلىٰ ما تَعَوَّدا

اتركي لي مالي كي أحفظَه، إنَّ لديكِ مالًا كثيرًا، وكل امرئٍ يعيش حياتَه كما تعوَّدا، وقد يكون منه أخذَ المتنبي البيتَ الذي يقول فيه من الطويل:

لِكُلِّ اِمرِئٍ مِن دَهرِهِ ما تَعَوَّدا وَعادَات سَيفِ الدَّولَةِ الطَّعنُ في العِدا [1].

6. وَلا خَيرَ في حِلمٍ يَعودُ مَذَلَّةً إِذا الجَهلُ لَم يَترُك لِذي الحِلمِ مَعقَدا

(1) ديوان المتنبي، ص370

لا خيرَ في الحلم الذي يؤدّي إلى المذلَّة، إذا الجَهل لم يترك لصاحب الحِلْم والرويّة فرصةً للمزيد من الحِلم.

****

خفاء موعد الموت

وقال معن بن أوس المزني رضي الله عنه من الطويل:

لَعَمرُكَ ما أَدري – وَإِنّي لأَوجَلُ – عَلى أَيِّنـــــــا تَغــدو المَنِيَةِ أَوَّلُ

وَفي النَّاسِ إِن رَثَّت حِبالُكَ واصِلٌ وَفي الأَرضِ عَن دارِ القِلى مُتَحَوَّلُ (1)

يقول في البيت الأول: أُقسم بعُمرِكَ أيُّها المخاطب، أنّني لا أعلم وإنَّني خائفٌ على من منَّا سيأتيه الموتُ أولًا.

ويقول في البيت الآخر: وفي النَّاس من يصلك ويتقرّب منك ويخطِبُ وُدَّكَ إذا ضَعُفَت أحوالك، وفي الأرض عن دار الجفاء والقطيعةِ مكان نتحوَّلُ إليه ونهاجر.

****

أُمِرُّ وأُحلي

وقال معن بن أوس المُزَني رضي الله عنه من الطويل:

أُمِرُّ وَأُحلي وَالحَياءُ خَليقَتي وَلا خَيرَ في مَن لا يُمِرُّ وَلا يُحلي (2)

---

(1) ديوان معن بن أوس المزني، تح: د. نور حمودي القيسي، حاتم صالح الضامن، دار الجاحظ، بغداد، 1977م، ص93-94.

(2)المصدر السابق نفسه، ص95.

أُحكم أقوالي وأفعالي وآتِي بالطيّبِ منها، وخُلقي الحياءُ، ولا خيرَ فيمن لا يُحكِم أفعاله وأقوالَه ولا يُحسّنُها.

****

الخيانة

وقال معن بن أوس رضي الله عنه من الوافر:

أُعَلِّمُه الـرمايَة كُلَّ يَومٍ فَلَمّا اشتدَّ ساعِدهُ رَماني

وَكَم علمتُه نظمَ القوافي فَلَمّا قالَ قافيةً هجاني [1]

يقول في البيت الأول: إنِّي أُعلم غلامي الرماية بالقوس كل يوم، وعندما قَويَ جسمه واشتدَّ عوده، رماني بالقوس الذي علمته كيف يرمي به.

ويقول في البيت الآخر: وكم علمته قولَ الشِّعر، فلما قال أولَ قصيدة له هجاني بها!

****

فقدان الإخوة

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الكامل:

1. إنَّ الرَّزِيَّةَ لا رَزِيَّةَ مِثلُها فِقدانُ كُلِّ أَخٍ كَضَوءِ الكَوكَبِ [2]

إنَّ المصيبةَ والكارثة التي لا مصيبةَ مثلُها فقدان كلِّ أخٍ ضوؤه كضوء النجوم.

****

(1) ديوان معن بن أوس المزني، تح: د. نور حمودي القيسي، ص72.

(2) المصدر السابق نفسه، ص35.

فقدان الحبيب

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الكامل:

1. لَزَجَــــرتُ قَلبًا لا يَريعُ لِزاجِرٍ إِنَّ الغَــــويَّ إِذا نُهي لَمْ يُعتِبِ

2. فَبَرىٰ عِظامي بَعدَ لَحمِيَ فَقدُهُم وَالدَّهرُ إِن عاتَبتُ لَيسَ بِمُعتِبِ [1]

يقول في البيت الأول: لو أطعت عواذلي لنهيت قلبي عن الحبِّ، ولكنَّ قلبي لا يتعظ لناهٍ، لأنَّ صاحبَ الهوىٰ والضالَّ إذا نُهي عن اتبَّاع هواهُ وقلبِه لم ينصرف إرضاءً للعواذل. يقول في البيت الآخر: لقد دقق عظامي ولحمي وأضعفهما فقدُ الحبيب، والدَّهرُ إن طلبتَ منه –معاتبًا– أن يرضيكَ فلن يفعل.

****

الثأروالغضب

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الوافر:

1. غَضِبنا لِلَّذي لاقَت نُفَيلٌ وَخَيرُ الطَّالِبي التِّرَةِ الغَضوبُ [2]

غضبنا للذي لاقت قبيلةُ نفيلٍ، وخير طالبي الثأر هم الناس كثيرو الغضب وشديدوه.

****

التقوى

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الوافر:

(1) المصدر السابق نفسه، ص36.

(2) ديوان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، ص40.

1. حَمِدتُ اللهَ وَاللهُ الحَميدُ وَللهِ المُؤَثَّلُ وَالعَديدُ

2. فَـــــإِنَّ اللهَ نافِلَةٌ تُقاهُ وَلا يَقتالُها إِلّا سَعيدُ [1]

يقول في البيت الأول: حمدت اللهَ، والله يحمده كل من في السماوات والأرض، ولله المجدُ والمآثر وكل ما نتفاخر به.

ويقول في البيت الآخر: فإنَّ تقوىٰ الله هبةٌ منه، ولا يحصل عليها إلا سعيدٌ.

****

حماية العرض

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الكامل:

1. أَكرَمتُ عِرضي أَن يُنالَ بِنَجوَةٍ إِنَّ البَرِيءَ مِنَ الهَناتِ سَعيدُ [2]

أكرمتُ حسبي وشرفي أن يُقصَدا بسوءٍ فارتفعت بهما عن ذلك، إنَّ الخَلِيَّ عن الأخطاء والزلَّات هو السعيدٌ.

****

الإقدام والإحجام

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من البسيط:

1. فَقاتَلَتْ في ظِلالِ الرَّوعِ وَاِعتَكَرَتْ إِنَّ المُحامِيَ بَعدَ الرَّوعِ يَعتَكِرُ [3]

(1) المصدر السابق نفسه، ص44.

(2) ديوان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، ص48.

(3) المصدر السابق نفسه، ص60.

يقول: فقاتَلَت النَّاقةُ وهي فَزِعةٌ وجلةٌ ثم عادت إلى القتال وهي مُقدِمةَ، لأنَّ الذي يحامي عن العِرض والشَّرف يرجع بعد الخوف.

****

الحرب أو العار

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الطويل:

1. لَشَتَّانَ حَربٌ أَو تبوؤوا بِخِزيَةٍ   وَقَد يَقبَلُ الضَّيمَ الذَّليلُ المُسَيَّرُ [1]

يقول هناك فارقٌ كبير بين أن تخوضوا الحرب بشرفٍ وعزّةٍ أو ترجعوا بالخزي والعار، وقد يقبلُ الضَّيمَ والظُّلمَ الذليلُ الذي يسيِّره النَّاس كيف شاؤوا.

****

ظلمُ الجيرة

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الطويل:

1. وَإِنَّ هَوانَ الجارِ لِلجارِ مُؤلِمٌ   وَفاقِرَةٌ تَأوي إِلَيها الفَواقِرُ [2]

إنَّ ظلم الجار لجاره وإذلالَه إياه، مؤلِم للنفس، بل داهية عظيمة ونازلةٌ جسيمة تحطم عظام الظهر وتجمع المصائب إلى المصائب، وقريب منه قول الشاعر الجاهليّ طرفة بن العبد من الطويل:

وَظُلمُ ذَوي القُربى أَشَدُّ مَضاضَةً   عَلى المَرءِ مِن وَقعِ الحُسامِ المُهَنَّدِ [3]

---

(1) ديوان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، ص61.

(2) المصدر السابق نفسه، ص65.

(3) ديوان طرفة بن العبد، ش: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 2002م، ص33.

فإنَّ الظلمَ عندما يقع من الأقارب والمحبيّن أشدُّ وأكثر أثرًا مما لو كان الظلم واقعًا من الأعداء، بل إنَّ هذا الظلمَ أشدُّ من وقع السيف المُرهَف.

****

ما مِن سَلامَةٍ

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الطويل:

1 أُعــاذِلَ لا وَاللهَّ مــا مِــن سَــلامَةٍ وَلَــو أَشــفَقَت نَفــسُ الشَّــحيحِ المُثَمِّــرِ

2 أَقي العِرضَ بِالمالِ التِلادِ وَأَشتَري بِهِ الحَمدَ إِنَّ الطالِـبَ الحَمـدَ مُشـتَري [1]

3 هَــلِ الــنَفسُ إِلّا مُتعَــةٌ مُســتَعارَةٌ تُعــارُ فَتَــأتي رَبَّهــا فَــرطَ أَشــهُرِ [2]

يقول في البيت الأول: يا عاذلتي، أقسم لك بالله أنّه ما من سلامةٍ من مصائب الدنيا ورزاياها، حتى ولو خافت نفسُ البخيل الذي يُثمِّر أمواله فقدَ المَال من الفقر والدواهي.

ويقول في البيت الثاني: أقي عرضي بالمال العريق، وأشتري به ثناء النَّاس، إنَّ طالبَ الثناء يشتريه بماله.

ويقول في البيت الثالث: ما النفس إلا منفعةٌ مستعارةٌ، تُعار إلى الإنسان ثم تعود إلى ربّها بعدَ أشهرٍ، ويشبهه قول الشاعر الجاهلي الأفوه الأودي من الرمل:

إِنَّما نِعمَةُ قَومٍ مُتعَةٌ وَحَياةُ المَرءِ ثَوبٌ مُستَعارُ [3]

****

(1) ديوان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، ص67.

(2) المصدر السابق نفسه، ص72.

(3) شعراء مذحِج، تح: مقبل التام الأحمدي، مجمع العربية السعيدة، صنعاء، 2014م، ص376.

يَحفَظُ التُّقى الأَبرارُ

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الخفيف:

1. إِنَّما يَحفَظُ التُّقىٰ الأَبرارُ ... وَإِلىٰ اللَّهِ يَستَقِرُّ القَرارُ

2. وَإِلىٰ اللَّهِ تُرجَعونَ وَعِندَ ... اللهِ وِردُ الأُمورِ وَالإِصدارُ

3. كُلَّ شَيءٍ أَحصىٰ كِتابًا وَعِلمًا ... وَلَدَيهِ تَجَلَّتِ الأَسرارُ [1]

يقول في البيت الأول: لا يلتزم أحدٌ التقوىٰ إلا كان من الأبرار، وإلىٰ الله تُرجع الأُمور وتصير، وربما أخذ الشاعر هذا المعنىٰ من الآية الكريمة: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [2] ومن الآية الكريمة: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾. [3]

ويقول في البيت الثاني: ومصيرنا الرجوع إلىٰ الله وفي هذا تناصٌّ من الآية الكريمة التي تقول:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [4] ومن عند الله تصدُر الأمور وإليه تؤول.

ويقول في البيت الثالث: لقد أحصىٰ اللهُ كلَّ شيءٍ وهذا مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [5]، والسِّرُ عند الله علانية، وهذا المعنىٰ مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ أي وإن تجهر يا محمد -صلىٰ الله عليه وسلم- بالقول أو تُخفِه، فإنَّ الله يعلم السِّرَّ وأخفىٰ.

---

(1) ديوان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، ص76.

(2) الشورى، الآية:53.

(3) آل عمران، الآية: 109.

(4) الأنبياء، الآية:35.

(5) مريم، الآية: 94.

بَلينا وَما تَبلى النُجومُ الطَوالِعُ

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الطويل:

1 بَلينـا وَمـا تَـبلىٰ النُّجـومُ الطَوالِـعُ ... وَتَبقَـىٰ الجِبـالُ بَعـدَنا وَالمَصـانِعُ

2 فَـلا جَـزِعٌ إِن فَـرَّقَ الـدَّهرُ بَينَنـا ... وَكُـلُّ فَتـىً يَومًـا بِـهِ الـدَّهرُ فـاجِعُ

3 وَمـا النَّـاسُ إِلّا كَالـدِيارِ وَأَهلُهـا ... بِهـا يَـومَ حَلُّوهَـا وَغَـدوًا بَلاقِـعُ

4 وَمـا المَـرءُ إِلّا كَالشِّـهابِ وَضَـوئِهِ ... يَحـورُ رَمـادًا بَعـدَ إِذ هُـوَ سـاطِعُ

5 وَمـا الـبِرُّ إِلّا مُضـمَراتٌ مِـنَ التُقـىٰ ... وَمـا المـالُ إِلّا مُعمَـراتٌ وَدائِـعُ

6 وَمـا المـالُ وَالأَهلـونَ إِلّا وَديعَـةٌ ... وَلا بُـدَّ يَومًـا أَن تُـرَدَّ الوَدائِـعُ

7 وَيَمضونَ أَرسـالًا وَنَخلُـفُ بَعـدَهُم ... كَـما ضَـمَّ أُخـرىٰ التالِيـاتِ المُشـايِعُ

8 وَمـا النَّـاسُ إِلّا عـامِلانِ فَعامِـلٌ ... يُتَـبِّرُ مـا يَبنـي وَآخَـرَ رافِـعُ

9 فَمِـنهُم سَـعيدٌ آخِـذٌ لِنَصـيبِهِ ... وَمِـنهُم شَـقِيٌّ بِالمَعيشَـةِ قـانِعُ

10 أَلَـيسَ وَرائـي إِن تَراخَـت مَنِيَّتـي ... لُـزومُ العَصـا تُحنـىٰ عَلَيهـا الأَصـابِعُ

11 أُخَـبِّرُ أَخبـارَ القُـرونِ الَّتـي مَضَـت ... أَدِبُّ كَـأَنّي كُلَّـما قُمـتُ راكِـعُ

12 فَأَصبَحتُ مِثـلَ السَـيفِ غَـيَّرَ جَفنَـهُ ... تَقـادُمُ عَهـدَ القَـينِ وَالنَصـلُ قـاطِعُ

13 فَـلا تَبعَـدَن إِنَّ المَنِيَّـةَ مَوعِـدٌ ... عَلَيـكَ فَـدانٍ لِلطُّلـوعِ وَطـالِعُ

14 أَعـاذِلَ مـا يُـدريكَ إِلّا تَظَنِّيًـا ... إِذا ارتَحَـلَ الفِتيـانُ مَـن هُـوَ راجِـعُ

15 تُبَكّي عَلىٰ إِثرِ الشَّبابِ الَّـذي مَضـىٰ ... أَلا إِنَّ أَخـدانَ الشَّـبابِ الرَعـارِعُ

16 أَتَجـزَعُ مِمَّـا أَحـدَثَ الـدَّهرُ بِـالفَتىٰ ... وَأَيُّ كَـريمٍ لَمْ تُصِـبهُ القَـوارِعُ

17 لَعَمرُكَ ما تَدري الضَّوارِبُ بِالحَـصىٰ ... وَلا زاجِـراتُ الطَّـيرِ مـا اللهُ صـانِعُ

18 سَـلوهُنَّ إِن كَـذَّبتُموني مَتـىٰ الفَتـىٰ ... يَذوقُ المَنايا أَو مَتـىٰ الغَيـثُ واقِـعُ؟[1]

---

(1) ديوان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، ص88-89-90.

يقول:

1. بَلينا وَما تَبلىٰ النُّجومُ الطَوالِعُ وَتَبقىٰ الجِبالُ بَعدَنا وَالمَصانِعُ

لقد أثَّر الزمان فينا حتىٰ هرمنا، ولكنَّ النجوم لا تهرم، وستبقىٰ بعدنا الجبال، والقصور والأبنية العظيمة.

2. فَلا جَزِعٌ إِن فَرَّقَ الدَهرُ بَينَنا وَكُلُّ فَتىً يَومًا بِهِ الدَّهرُ فاجِعُ

فلا حزنٌ ولا اضطرابٌ علىٰ أحدٍ بعدكم يا أهلي إذا فرَّق الدهر بيننا بالموت، وكل فتىٰ سيفجَع به الدهر.

3. وَما الناسُ إِلّا كَالدِيارِ وَأَهلُها بِها يَومَ حَلُّوهَا وَغَدوًا بَلاقِعُ

وما النَّاس بالنسبة إلىٰ الديار وأهلها، إلا كالروح والجسد، فهم مجتمِعَين يوم أن حلُّوا بتلك الديار، وكالأرض قفرٌ بلقعٌ خاليةٌ من الماءِ والنبات والنَّاس، يومَ أن تفرّقَ الروح والجسد، والديار وأهلها.

4. وَما المَرءُ إِلّا كَالشِهابِ وَضَوئِهِ يَحورُ رَمادًا بَعدَ إِذ هُوَ ساطِعُ

وما المرء إلا كالنَّار وضوئها تصير رمادًا بعد أن كانت ساطعةً.

5. وَما البِرُّ إِلّا مُضمَراتٌ مِنَ التُّقىٰ وَما المالُ إِلّا مُعمَراتٌ وَدائِعُ

وما الأفعال الخيِّرة إلا ما خبَّأتَ منها وأضمرتَ، وفي هذا قال الرسول صلىٰ الله عليه وسلم عن السبعة الذين يُظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه: "ورَجُلٌ ذَكَرَ اللهَّ خالِيًا، فَفاضَتْ عَيْناهُ"، ثم يقول الشاعر: وما المال إلا لنا ما عُمِّرنا وعِشنا فإذا متنا انتقَل لغيرنا، فهو وديعةٌ مستردة.

6. وَما المالُ وَالأَهلونَ إِلّا وَديعَةٌ وَلا بُدَّ يَومًا أَن تُرَدَّ الوَدائِعُ

يدور قريبًا من معنىٰ وأسلوب البيت السابق فيقول لكن بطريقة أخرىٰ: وما المال والأهل إلا وديعةٌ مستردة ولا بُدَّ يومًا أن تُردَّ.

7. وَيَمضونَ أَرسالًا وَنَخلُفُ بَعدَهُم كَما ضَمَّ أُخرىٰ التالِياتِ المُشايعُ

ويمضي النَّاس جماعات وزُرافاتٍ، ونبقىٰ بعدهم، كما ضمَّ صاحبُ الإبل أواخرَ إبِلِه وزجرها.

8. وَما الناسُ إِلّا عامِلانِ فَعامِلٌ يُتَبِّرُ ما يَبني وَآخَرَ رافِعُ

وما النَّاس إلا عاملان فعاملٌ يدمِّر ويهلِكُ ما يبني وآخر رافعٌ بناءه، فالنَّاسُ لونان خاسرٌ ورابح، والتبير مقتبس من القرآن الكريم قال تعالىٰ: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَاءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـٔوا وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُوا ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوۡا تَتۡبِيرًا﴾[1]

9. فَمِنهُم سَعيدٌ آخِذٌ لِنَصيبِهِ وَمِنهُم شَقِيٌّ بِالمَعيشَةِ قانِعُ

فمنهم سعيد غنيٌّ ومنهم تعيسٌ فقيرٌ راضٍ بمعيشته.

10. أَلَيسَ وَرائي إِن تَراخَت مَنِيَّتي لُزومُ العَصا تُحنىٰ عَلَيها الأَصابِعُ

أليس قُدامي إن أبطأ موتي لزوم العصا التي أتوكَّأ عليها وأَحني عليها أصابعي.

11. أُخَبِّرُ أَخبارَ القُرونِ الَّتي مَضَت أَدِبُّ كَأَنّي كُلَّما قُمتُ راكِعُ

أُخبِّر النَّاس أخبار الأجيال الماضية إخبارًا كثيرًا، وأمشي وبسبب انحناء ظهري أبدو كأني راكعٌ.

12. فَأَصبَحتُ مِثلَ السَّيفِ غَيَّرَ جَفنَهُ تَقادُمُ عَهدَ القَينِ وَالنَّصلُ قاطِعُ

---

(1) الإسراء، الآية:7.

فأصبحتُ مثلَ السَّيفِ غيَّر غمدَه تقادمُ عهد الزمن القديم الذي صنع فيه عند الحداد، ولكنَّ حديدَ السَّيف وحدَّه قاطعان بتَّاران.

13. فَلا تَبعَدَن إِنَّ المَنِيَّةَ مَوعِدٌ عَلَيكَ فَدانٍ لِلطُّلوعِ وَطالِعُ

بعَدَ فلانٌ دعاءٌ عليه، فلا تبعدن دعاءٌ له، إنَّ الموتَ موعدٌ عليك، فقريبٌ من الأجل، وآخر سيموت في المستقبل.

14. أَعاذِلَ ما يُدريكَ إِلّا تَظَنِّيًا إِذا اِرتَحَلَ الفِتيانُ مَن هُوَ راجِعُ

يا عاذلتي ليس لك من العلم إلا اتباع الظنِّ حول من هو راجعٌ من الفتيان إذا ذهب.

15. تُبَكّي عَلى إِثرِ الشَّبابِ الَّذي مَضى أَلا إِنَّ أَخدانَ الشَّبابِ الرَعارِعُ

تبكي عاذلتُه على الشَّباب الذي مضى وانقضى، ألا إنَّ إخوَةَ الشباب الأحداثُ والمصائب.

16. أَتَجزَعُ مِمّا أَحدَثَ الدَهرُ بِالفَتى وَأَيُّ كَريمٍ لَم تُصِبهُ القَوارِعُ

أتخاف مما فعل الدهر بالفتى، وأيُّ كريم لم تصبه المصائب والدواهي.

17. لَعَمرُكَ ما تَدري الضَّوارِبُ بِالحَصى وَلا زاجِراتُ الطَّيرِ ما اللهُ صانِعُ

لا يعلم السَّحرة والكُهَّان ولا السَّاحرات والكاهنات الغيبَ الذي أخفاه الله تعالى، ويشبه ذلك قول زهير بن أبي سُلمى من الطويل:

وَأَعلَمُ عِلمَ اليَومِ وَالأَمسِ قَبلَهُ وَلَكِنَّني عَن عِلمِ ما في غَدٍ عَمي[1]

18. سَلوهُنَّ إِن كَذَّبتُموني مَتى الفَتى يَذوقُ المَنايا أَو مَتى الغَيثُ واقِعُ

(1) ديوان زهير بن أبي سُلمى، شرح علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م، ص110.

سلوا هؤلاء السحرة والساحرات -إن لم تصدقوني- متى يموت المرء؟ ومتى ينزل الغيث؟ لنعلم إن كُنَّ حقًا يعلمن الغيبَ كما يَزعمن.

****

الهرم والنساء

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الطويل:

1 فَعـــادَت عَـــوادٍ بَينَنـــا وَتَنَكَّـــرَت وَقالَـت كَفـى بِالشَّـيبِ لِلمَـرءِ قـاتِلا

2 تَلـومُ عَـلى الإِهـلاكِ في غَـيرِ ضَـلَّةٍ وَهَـل لِيَ مـا أَمسَـكتُ إِن كُنـتُ بـاخِلا

3 رَأَيـتُ التُّقـى وَالحَمـدَ خَـيرَ تِجـارَةٍ رَباحًـا إِذا مـا المَـرءُ أَصـبَحَ ثـاقِلا

4 وَهَـل هُـوَ إِلّا مـا اِبتَنـى في حَياتِـهِ إِذا قَـذَفوا فَـوقَ الضَـريحِ الجَنـادِلا

5 وَأَثنَـوا عَلَيـهِ بِالَّـذي كـانَ عِنـدَهُ وَعَـضَّ عَلَيـهِ العائِـداتُ الأَنـامِلا [1]

يقول:

1. عادَت عَوادٍ بَينَنا وَتَنَكَّرَت وَقالَت كَفى بِالشَّيبِ لِلمَرءِ قاتِلا

فانصرفت زوجتي عنِّي بالصوارف وتغيَّر حالها، وقالت كفى بالشيب قاتلًا للمرء، وهذا يذكِّرنا بقول علقمة الفحل:

فَــإِن تَســأَلوني بِالنِســاءِ فَــإِنَّني بَصــيرٌ بِــأَدواءِ النِســاءِ طَبيــبُ

إِذا شــابَ رَأسُ المَــرءِ أَو قَــلَّ مالُــهُ فَلَــيسَ لَــهُ مِــن وُدِّهِــنَّ نَصــيبُ

يُــرِدنَ ثَــراءَ المــالِ حَيــثُ عَلِمنَــهُ وَشَرخُ الشَــبابِ عِنـدَهُنَّ عَجيـبُ [2]

---

(1) ديوان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، ص119.

(2) شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل، الأعلم الشنتمري، د. حنّا نصر الحتّي، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطّبعة الأولى، 1993م، ص24-25.

يقول علقمة إنْ تسألوني عن النساء والباء في البيت تعني (عن)، فإنّني بصيرٌ بأمراض النساء وعليمٌ بها.

فإذا هرِمَ المرءُ أو افتقَرَ، فلا يرجُوَنَّ وُدَّ النساء، وفي هذا المعنىٰ يقول امرؤ القيس من الطويل:

أَرَاهُنَّ لا يُحِبِبنَ مَن قَلَّ مالُه   ولا مَن رأينَ الشَّيبَ فيه وقوَّسا [1]

– فالنِّساء يطلبن ثراءَ المال حيث وجدنه، وتمثِّل لهن مرحلة الشباب الوقت الأمثل للرجل المثالي في أعينهنَّ.

نعود إلىٰ لبيد الذي يقول:

2. تَلومُ عَلىٰ الإِهلاكِ في غَيرِ ضَلَّةٍ   وَهَل لِيَ ما أَمسَكتُ إِن كُنتُ باخِلا

تلومه علىٰ الإنفاق في طرق الرشاد، وهل لي من المال شيءٌ بعد الموت إن أمسكته وكنت بخيلاً؟ وهذا يذكرني بالبيت الذي مرَّ معنا لعبدة بن الطبيب من الكامل:

يَسعىٰ وَيَجمَعُ جاهِدًا مُستَهتِرًا   جِدًّا وَلَيسَ بِآكِلٍ ما يَجمَعُ [2]

3. رَأَيتُ التُقىٰ وَالحَمدَ خَيرَ تِجارَةٍ   رَباحًا إِذا ما المَرءُ أَصبَحَ ثاقِلا

رأيت التقوىٰ والسمعة الحسنة خيرَ تجارةٍ مربحةٍ فيها الأجر والغنيمة إذا ما مات المرءُ.

4. وَهَل هُوَ إِلّا ما اِبتَنىٰ في حَياتِهِ   إِذا قَذَفوا فَوقَ الضَّريحِ الجَنادِلا

وهل الإنسان إلا أعماله التي فعلها في حياته، إذا ما مات ورمَوا فوق قبره الحجارة والصخور.

(1) ديوان امرئ القيس، تح: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الخامسة، 2004م، ص86.
(2) شعر عبدة بن الطبيب، ص51.

5. وَأَثنَوا عَلَيهِ بِالَّذي كانَ عِندَهُ   وَعَضَّ عَلَيهِ العائِداتُ الأَنامِلا

ما الإنسان إلا سمعته وثناء النَّاس عليه عند موته ونياح النساء عليه وعضِّهنَّ علىٰ أناملهنَّ، ففي الحديث الذي رواه أنس بن مالك عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم: (مَرُّوا بجَنَازَةٍ، فأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّمَ: وجَبَتْ ثُمَّ مَرُّوا بأُخْرَىٰ فأثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: وجَبَتْ فَقَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عنْه: ما وجَبَتْ؟ قَالَ: هذا أَثْنَيْتُمْ عليه خَيْرًا، فَوَجَبَتْ له الجَنَّةُ، وهذا أَثْنَيْتُمْ عليه شَرًّا، فَوَجَبَتْ له النَّارُ، أنتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ في الأرْضِ.) (1)

****

لِلَّهِ نافِلَةُ الأَجَلِّ الأَفضَلِ

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الكامل:

1. لِلَّهِ نافِلَةُ الأَجَلِّ الأَفضَـــلِ   وَلَهُ العُلىٰ وَأَثيثُ كُلِّ مُؤَثَّلِ
2. لا يَستَطيعُ الناسُ مَحوَ كِتابِهِ   أَنّىٰ؟ وَلَيسَ قَضائُهُ بِمُبَدَّلِ
3. سَوَّىٰ فَأَغلَقَ دونَ غُرَّةِ عَرشِهِ   سَبعًا طِباقًا فَوقَ فَرعِ المَنقَلِ
4. وَالأَرضَ تَحتَهُمُ مِهادًا راسِيًا   ثَبَتَت خَوالِقُها بِصُمِّ الجَندَلِ
5. وَالماءُ وَالنيرانُ مِن آيـــــاتِهِ   فيهِنَّ مَوعِظَةٌ لِمَن لَم يَجهَلِ
6. بَل كُلُّ سَعيِكَ باطِلٌ إِلّا التُقىٰ   فَإِذا اِنقَضىٰ شَيءٌ كَأَن لَم يُفعَلِ
7. لَو كانَ شَيءٌ خالِدًا لَتَواءَلَت   عَصماءُ مُؤلِفَةٌ ضَواحِيَ مَأسَلِ (2)

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، الطبعة الأولى، 2002م، رقم الحديث: 1367، ص330.

(2) ديوان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، ص126.

يقول:

1. للهِ نافِلَةُ الأَجَلِّ الأَفضَلِ وَلَهُ العُلىٰ وَأَثيثُ كُلِّ مُؤَثَّلِ

لله تعالىٰ العطايا الجزيلة والهبات الوفيرة، وله الرفيع من المجد والمؤصَّل من العظَمة.

2. لا يَستَطيعُ النَّاسُ مَحوَ كِتابِهِ أَنّىٰ؟ وَلَيسَ قَضاؤُهُ بِمُبَدَّلِ

لا يستطيع النَّاس أن يغيروا ما قدَّره الله، ولا تبديل لقضائه.

3. سَوَّىٰ فَأَغلَقَ دونَ غُرَّةِ عَرشِهِ سَبعًا طِباقًا فَوقَ فَرعِ المَنقَلِ

بنىٰ فأتقن بناء السماوات فوق الجبال.

4. وَالأَرضَ تَحتَهُمُ مِهادًا راسِيًا ثَبَتَت خَوالِقُها بِصُمِّ الجَندَلِ

والأرض تحت السماوات ذللها وهيأها للسكن، وثبَّت جبالها بالصخور الصمَّاء الكبيرة.

5. وَالماءُ وَالنيرانُ مِن آياتِهِ فيهِنَّ مَوعِظَةٌ لِمَن لَم يَجهَلِ

والماء والنار من العلامات الدالة علىٰ وجوده، وفيهن الكلام البليغ الناطق لمن يتأمل.

6. بَل كُلُّ سَعيِكَ باطِلٌ إِلّا التُقىٰ فَإِذا اِنقَضىٰ شَيءٌ كَأَن لَم يُفعَلِ

كلُّ ما نعلمه ذاهبٌ وفانٍ إلا التقوىٰ، فإذا مضىٰ شيءٌ كأننا لم نفعله.

7. لَو كانَ شَيءٌ خالِدًا لَتَواءَلَت عَصماءُ مُؤلِفَةٌ ضَواحِيَ مَأسَلِ

لو كان شيءٌ خالدٌ لنجت أنثىٰ الوعل التي تألف العيش في الأرض الظاهرة ذات النبات الشوكي.

أَلا كُلُّ شَيءٍ ما خَلا اللَهَ باطِلُ

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الطويل:

1	أَلا تَســأَلانِ المَــرءَ مــاذا يُحــاوِلُ	أَنَحــبٌ فَيُقــضى أَم ضَــلالٌ وَباطِــلُ
2	حَبائِلُــــهُ مَبثوثَــــةٌ بِسَــــبيلِهِ	وَيَفنــى إِذا مــا أَخطَأَتــهُ الحَبائِــلُ
3	إِذا المَــرءُ أَسرى لَيلَــةً ظَــنَّ أَنَّــهُ	قَضــى عَمَــلًا وَالمَرءُ مـا عـاشَ عامِـلُ
4	فَقــولا لَــهُ إِن كــانَ يَقسِــمُ أَمــرَهُ	أَلَمّــا يَعِظْــكَ الــدَّهرُ أُمُّــكَ هابِــلُ
5	فَـتَعلَمَ أَن لا أَنـتَ مُـدرِكُ مـا مَـضى	وَلا أَنــتَ مِمّــا تَحــذَرُ الــنَّفسُ وائِــلُ
6	فَإِن أَنتَ لَم تَصدُقكَ نَفسُكَ فَانتَسِـب	لَعَلَّــكَ تَهــديكَ القُــرونُ الأَوائِــلُ
7	فَـإِن لَم تَجِـد مِـن دونِ عَـدنانَ باقِيًـا	وَدونَ مَعَــدٍّ فَلتَزَعــكَ العَــواذِلُ
8	أَرى النَّاسَ لا يَدرونَ ما قَدرُ أَمـرِهِم	بَــلى: كُــلُّ ذي لُــبٍّ إِلى اللهِ واسِــلُ
9	أَلا كُــلُّ شَيءٍ مــا خَــلا اللهَ باطِــلُ	وَكُــلُّ نَعــيمٍ لا مَحالَــةَ زائِــلُ
10	وَكُــلُّ أُنــاسٍ سَـوفَ تَـدخُلُ بَيـنَهُم	دُوَيهِيَــةٌ تَصــفَرُّ مِنهــا الأَنامِــلُ
11	وَكُــلُّ اِمــرِئٍ يَومًــا سَـيَعلَمُ سَـعيَهُ	إِذا كُشِّـفَت عِنـدَ الإِلَـهِ المَحاصِـلُ [1]

يقول:

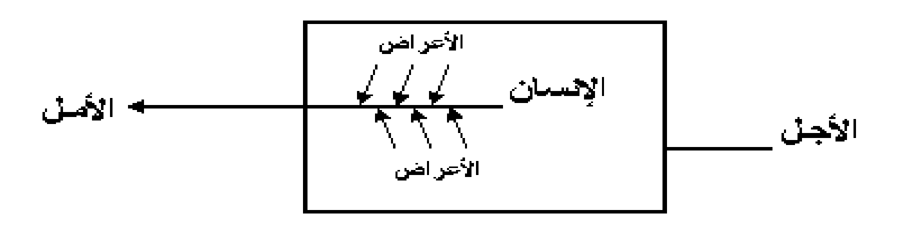
1. أَلا تَسأَلانِ المَرءَ ماذا يُحاوِلُ　　أَنَحبٌ فَيُقضى أَم ضَلالٌ وَباطِلُ

يطلب من مخاطبَيه أن يسألا المرء ماذا يطلب من الدنيا، أيطلبُ نذرًا فيقضيه ويحققه، أم أن ما يطلبه ضلالٌ وباطلٌ.

2. حَبائِلُهُ مَبثوثَةٌ بِسَبيلِهِ　　وَيَفنى إِذا ما أَخطَأَتهُ الحَبائِلُ

(1) ديوان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، ص132.

مصائد الموت موضوعة على طريق المرء، ويهرم إذا ما أخطأته هذه المصائد، وربما أخذ لبيد هذا المعنى من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول: "خطَّ خطًّا مربعًا وخطًّا وسطَ الخطِّ المربَّعِ وخطوطًا إلى جانبِ الخطِّ الذي وسطَ الخطِّ المربعِ وخطًّا خارجًا من الخطِّ المربعِ، فقال أتدرون ما هذا؟ قالوا اللهُ ورسولُه أعلمُ. قال هذا الإنسانُ؛ الخطُّ الأوسطُ، وهذه الخطوطُ إلى جنبِه الأعراضُ تنهشُه أو تنهسُه من كلِّ مكانٍ، فإن أخطأَه هذا أصابَه هذا، والخطُّ المربعُ الأجلُ المحيطُ، والخطُّ الخارجُ الأملُ"[1]



3. إِذا المَرءُ أَسرى لَيلَةً ظَنَّ أَنَّهُ   قَضى عَمَلًا وَالمَرءُ ما عاشَ عامِلُ

إذا سهر المرء في أداء عمل ظنَّ أنَّه سينتهي من الأعمال كلِّها، ولكنَّ المرء في عملٍ طِوالَ عمره.

4. فَقولا لَهُ إِن كانَ يَقسِمُ أَمرَهُ   أَلَمّا يَعِظْكَ الدَّهرُ أُمُّكَ هابِلُ

فقولا للذي يتدبَّر أمره ويتفكَّر فيه، ألم يعظك الدهر وينهاك عن طول الأمل، فلتفقدك أمُكَّ وهذا دعاء عليه.

5. فَتَعلَمَ أَن لا أَنتَ مُدرِكُ ما مَضى   وَلا أَنتَ مِمَّا تَحذَرُ النَّفسُ وائِلُ

فإذا ما استمعتَ لموعظة الدهر علمتَ بأنَّك لا تستطيع إدراكَ ما مضى من الأشياء، ولا أنت مما تحذرُ ناجٍ.

(1) صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، رقم الحديث: 3428، ص377.

6. فَإِن أَنتَ لَمْ تَصدُقكَ نَفسُكَ فَانتَسِب لَعَلَّكَ تَهديكَ القُرونُ الأَوائِلُ

فإن كذَّبتك النفس بأنك ستموت، ونظرت بعينٍ طويلةِ الأمل، فانتسب إلى آبائك وأجدادك لتتذكَّر وتتَّعظ مما حلَّ بهم من الموت والفناء.

7. فَإِن لَمْ تَجِد مِن دونِ عَدنانَ باقِيًا وَدونَ مَعَدٍّ فَلتَزَعكَ العَواذِلُ

عدنان هو الجدُّ العشرون للرسول صلى الله عليه وسلم ومعدَّ هو الجد التاسع عشر، يقول: فإن لم تجد أحدًا من أجدادك وآبائك ينتسب إلى هذين الجدين فَلْتَلُمْكَ النساء أو فلتزجرك الحوادث.

8. أَرى الناسَ لا يَدرونَ ما قَدرُ أَمرِهِم بَلى، كُلُّ ذي لُبٍّ إِلى اللهِ واسِلُ

أرى النَّاس لا يعلمون حقيقةَ الدنيا وهوانها وسرعة زوالها، نعم بل إنَّ كلَّ ذو عقلٍ يتوسّل إلى الله بصالح الأعمال.

9. أَلا كُلُّ شَيءٍ ما خَلا اللهَ باطِلُ وَكُلُّ نَعيمٍ لا مَحالَةَ زائِلُ

هذا البيت هو أشعرُ وأصدق بيت قالته العرب، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "أشعَرُ بيتٍ قالته العربُ كلمةُ لَبيدٍ: ألا كلُّ شيءٍ ما خَلا اللهَ باطلُ" [1] وفي رواية أخرى: "أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قالَهَا الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلا كُلُّ شيءٍ ما خَلا اللهَ باطِلٌ" [2]

10. وَكُلُّ أُناسٍ سَوفَ تَدخُلُ بَينَهُم دُوَيهِيَةٌ تَصفَرُّ مِنها الأَنامِلُ

(1) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م، ج13، ص100.

(2) : سنن ابن ماجه، ابن ماجة، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، ج2، ص1236.

وكل النَّاس سوف تدخل بينهم مصيبةٌ عظيمةٌ تؤدي بهم إلى الموت واصفرار الأنامل كناية عن الموت.

11. وَكُلُّ اِمرِئٍ يَومًا سَيَعلَمُ سَعيَهُ إِذا كُشِّفَت عِندَ الإِلَهِ المَحاصِلُ

وكل امرئٍ سيرى أعماله، إذا كُشفت عند الله تعالى الحسنات والسيئات يوم القيامة.

****

حكم ووصايا لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الرمل:

1 إِنَّ تَقوى رَبِّنا خَيرُ نَفَلْ وَبِإِذنِ اللَّهِ رَيثي وَعَجَلْ

2 أَحمَدُ اللَّهَ فَلا نِدَّ لَهُ بِيَدَيهِ الخَيرُ ما شاءَ فَعَلْ

3 مَن هَداهُ سُبُلَ الخَيرِ اِهتَدى ناعِمَ البالِ وَمَن شاءَ أَضَلّْ

4 اِعقِلي إِن كُنتِ لَمّا تَعقِلي وَلَقَد أَفلَحَ مَن كانَ عَقَلْ

5 فَإِذا جوزيتَ قَرضًا فَاِجزِهِ إِنَّما يَجزي الفَتى لَيسَ الجَمَلْ

6 أَعمِلِ العيسَ عَلى عِلّاتِها إِنَّما يُنجِحُ أَصحابُ العَمَلْ

7 وَإِذا رُمتَ رَحيلًا فَارتَحِل وَاِعصِ ما يَأمُرُ تَوصيمُ الكَسَلْ

8 وَاِكذِبِ النَّفسَ إِذا حَدَّثتَها إِنَّ صِدقَ النَّفسِ يُزري بِالأَمَلْ

9 غَيرَ أَن لا تَكذِبَنها في التُّقى وَاِخزُها بِالبِرِّ لِلَّهِ الأَجَلّْ

10 وَاِضبِطِ اللَّيلَ إِذا طالَ السُّرى وَتَدَجّى بَعدَ فَورٍ وَاِعتَدَلْ

11 يَرهَبُ العاجِزُ مِن لُجَّتِهِ فَيُدَعّي في مَبيتٍ وَمَحَلّْ [1]

12 مِن حَياةٍ قَد مَلِلنا طولَها وَجَديرٌ طولُ عَيشٍ أَن يُمَلّْ [2]

(1) ديوان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، ص141.

(2) المصدر السابق نفسه، ص148.

يقول:

1. إِنَّ تَقوىٰ رَبِّنا خَيرُ نَفَلْ وَبِإِذنِ اللهِ رَيثي وَعَجَلْ

إنَّ تقوىٰ الله خير عطيةٍ وفضلٍ ومَنٍّ منه، وبإذن الله إبطائي وتعجيلي في الأمور.

2. أَحمَدُ اللهَ فَلا نِدَّ لَهُ بِيَدَيهِ الخَيرُ ما شاءَ فَعَلْ

أحمد الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا شريك له ولا خصم، وفي الشطر الثاني تناص مأخوذ من الآية الكريمة: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [1] فالله يفعل ما يشاء.

3. مَن هَداهُ سُبُلَ الخَيرِ اِهتَدىٰ ناعِمَ البالِ وَمَن شاءَ أَضَلْ

إنَّ الذي يلهمه الله طُرُق الخير يهتدي، ويطمئن قلبه، والذي يلهمه الله الشر والضلال فإنَّه يضل، وفي هذا قال تعالىٰ: "إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3)".

4. اِعقِلي إِن كُنتُ لَمّا تَعقِلي وَلَقَد أَفلَحَ مَن كانَ عَقَلْ [2]

يخاطب الشاعر نفسَه بأن تعقل وإنما يُفلح ويَنجح العاقلون.

5. فَإِذا جوزيتَ قَرضًا فَاِجزِهِ إِنَّما يَجزي الفَتىٰ لَيسَ الجَمَلْ

فإذا أُسدي إليك معروفٌ وفعلٌ حسنٌ، فكافئ الفاعلَ، إنَّما يكافئ بالمعروف السيّد الكريم وليس الحيوان.

6. أَعمِلِ العيسَ عَلىٰ عِلّاتِها إِنَّما يُنجِحُ أَصحابُ العَمَلْ

(1) آل عمران، الآية:26.

(2) ديوان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، ص139.

أشغِل الإبل على حالاتها جميعًا، فالذي سينجح هو صاحب العمل والاجتهاد، لا الدَّعةِ والكسل.

7. وَإِذا رُمتَ رَحيلًا فَاِرتَحِل   وَاِعصِ ما يَأمُرُ تَوصيمُ الكَسَلْ

وإذا أردت الهجرة والسفر فسافر، واعص ما يأمُرُك بالفتور والكسل ونلحظ هنا أنَّ الشاعر استخدم الحرف (ما) وليس (من) للإشارة إلى أنَّ من يحث على السكون والكسل هو حيوان وليس بإنسان.

8. وَاِكذِبِ النَّفسَ إِذا حَدَّثتَها   إِنَّ صِدقَ النَّفسِ يُزري بِالأَمَلْ

حدِّث نفسكَ بالجسارة والإقدام والظَّفر ونيل المُنى فإنَّها تقول لك إنَّك ستموت إذا فعلتَ هذا الأمر، فإنّك إن صدَّقتها فيما تقول فإنَّها ستثبِّطك وتُحيِّدك عن أهدافك.

9. غَيرَ أَن لا تَكذِبَنها في التُقى   وَاِخزُها بِالبِرِّ للهِ الأَجَلّ

أمَّا إذا حدَّثتك بالتقوى فلا تكذبنها، واقهرها بفعل الخير لله عزّ وجلّ.

10. وَاِضبِطِ اللَّيلَ إِذا طالَ السُّرى   وَتَدَجّى بَعدَ فَورٍ وَاِعتَدَلْ

اضبط ما تحتاجه في سيرك في الليل، واحذر أن تضلَّ الطريق إذا طال بك السير في الليل إذ انتشر ظلامه وسكن واعتدل بعد اشتداد ظلمته.

11. يَرهَبُ العاجِزُ مِن لُجَّتِهِ   فَيُدَعّي في مَبيتٍ وَمَحَلّ [1]

يخاف العاجز من اشتداد ظلمة الليل وكثرتها، فيبقى في مكان مبيته.

12. مِن حَياةٍ قَد مَلِلنا طولَها   وَجَديرٌ طولُ عَيشٍ أَن يُمَلّ [2]

(1) ديوان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، ص141.

(2) المصدر السابق نفسه، ص148.

حسبي الحياة التي مللنا طولها، وحقيق بطول العيش أن يمَلَّ، وهذا يذكّرنا بقول زهير بن أبي سُلمىٰ:

سَئِمتُ تَكاليفَ الحَياةِ وَمَن يَعِش ثَمانينَ حَولًا لا أَبا لَكَ يَسأَمِ [1]

****

السعي

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الكامل:

1. وَبِكُلِّ ذَلِكَ قَد سَعَيتُ إِلىٰ العُلىٰ وَالمَرءُ يُحمَدُ سَعيُهُ وَيُلامُ [2]

يقول تعالىٰ: (إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ)؛ [3] فسعي لبيد رضي الله عنه كان إلىٰ المجد والسناء، والنَّاس يحمدون الشخص أو يذمونه حسب سعيه وهذا يذكِّرنا بالأبيات التي مرت معنا للشاعر نفسه وفيها يقول:

وَما النَّاسُ إِلّا عامِلانِ فَعامِلٌ يُتَبِّرُ ما يَبني وَآخَـــرَ رافِعُ

فَمِنهُم سَعــــيدٌ آخِذٌ لِنَصيبِهِ وَمِنهُم شَقِيٌّ بِالَمعيشَةِ قانِعُ [4]

****

(1) ديوان زهير بن أبي سُلمى، شرح: علي حسن فاعور، ص110.

(2) ديوان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، ص161.

(3) الليل، الآية:4.

(4) ديوان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، ص89.

المنايا

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الكامل:

ولقد علمتُ لتأتينَّ منيتي　　　إِنَّ المَنايا لا تَطيشُ سِهامُها [1]

ويقول طرفة بن العبد من الطويل:

لَعَمرُكَ إِنَّ المَوتَ ما أَخطَأَ الفَتىٰ　　　لَكَالطِوَلِ المُرخىٰ وَثِنياهُ بِاليَدِ [2]

يحلف الشاعر بعمر المخاطَب بأنَّ الموت لم يخطئ الفتىٰ وإنَّما أصابه، وما الذي يموت إلا كالحبل المرخىٰ الذي تُربط به الدابة وطرفه معقود بيد الموت.

ويخالفُ هذا المعنىٰ قولَ زهير بن أبي سلمىٰ من الطويل:

رَأَيتُ المَنايا خَبطَ عَشواءَ مَن تُصِب　　　تُمِتهُ وَمَن تُخطِئ يُعَمَّر فَيَهرَمِ [3]

فبعض الرؤىٰ الجاهلية تظنُّ أنَّ الموت يضرب عشوائيًا، وفي هذا قال أمية بن أبي الصلت أيضًا من المنسرح:

1. مَن لَم يَمُت عَبطَةً يَمُت هَرَمًا　　　لَلمَوتُ كَأسٌ وَالمَرءُ ذائِقُها
2. يوشِــــــكُ مَن فَرَّ مِن مَنيَتِهِ　　　في بَعــــضِ غِرّاتِهِ يوافِقُها [4]

يقول في البيت الأول: من لم يمت فجأة في شبابه يمت من الهرَم، ثم أسند الكأس إلىٰ الموت وقرَّر: كل الناس سيذوقون من هذه الكأس، فهي قريبة منا جدًا.

---

(1) خزانة الأدب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، 1996م، جزء:9، الشاهد 716، ص159.

(2) ديوان طرفة بن العبد، ش: مهدي محمد ناصر الدين، ص21.

(3) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص110.

(4) ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع: بشير يموت، المطبعة الوطنية، بيروت، الطبعة الأولى، 1934م، ص42.

ويقول في البيت الثاني: إنَّ من ظَنَّ أنَّه فرَّ من الموت، فإنَّ الموت سيلاقيه عندما يغفل المرء عنه، بينما الموت في الرؤية الإسلامية يصيب بِقَدَر، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [1]

وقال حُميد بن ثور الهلاليُّ رضي الله عنه من المتقارب:

فَلا تأمَنَنَّ بَياتَ المنونِ ... وَكُن حَذِرًا حدَّ أَظفارِها

فإِنَّ المَنِيَّةَ ما أَسـأَرَت ... مِنَ القَومِ عادَت لإِسآرِها [2]

فلا تأمنن نوم المنيَّات، واحذر من مخالبها، فإنَّ الموت ما إن يشرب ويترك سؤره في إناء حتى يعود إليه ليشرب مرارًا وتكرارًا.

****

القناعة

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الكامل:

فَاقنَع بِما قَسَمَ المَليكُ فَإِنَّما ... قَسَمَ الخَلائِقَ بَينَنا عَلّامُها [3]

اقنع بما قسم الله تكن أغنى الناس، فإنَّ الذي خلق الخلق هو الذي قسم بينهم أخلاقهم وطبائعهم وأموالهم وعطاياهم.

****

(1) الأعراف، الآية: 34.

(2) الحماسة، ابن البُحتري، ص423.

(3) ديوان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، ص179.

اللوم

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الطويل:

فَدَع ذا وَبَلِّغ قَومَنا إِن لَقِيتَهُم   وَهَل يُخطِئَنَّ اللَومُ مَن كانَ أَلوَما [1]

إنَّ الذي يجرُّ على نفسه اللوم لا يخطئه اللوم بل يصيبه في مقتل.

****

إمَّا وإمَّا

قال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الطويل:

فَإِن تَقبَلوا المَعروفَ نَصبِر لِحَقِّكُم   وَلَن يَعدَمَ المَعروفُ خُفًّا وَمَنسِما

وَإِلّا فَمـــــا بِالمَوتِ ضُرٌّ لِأَهلِهِ   وَلَم يُبقِ هَذا الدَّهرُ في العَيشِ مَندَما [2]

يقول في البيت الأول: الخفُّ للبعير والمنسِم طرف الخفّ، أي لن يعدم المعروف من يقوم بحقه ويسعى لأجله.

ويقول في البيت الآخر: وإن لم تقبلوا المعروف فأذنوا بالحرب، فنحن لا نخاف من الموت فهو لا يضرُّ، ولكثرة هذه المصائب لم يُبقِ هذا الدهر شيئًا نندم على تركه.

****

السَلامَةُ داءٌ

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الكامل:

---

(1) ديوان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه ، ص195.

(2) المصدر السابق نفسه، ص198.

كانَت قَناتي لا تَلينُ لِغامِزٍ فَأَلانَها الإِصباحُ وَالإِمساءُ

وَدَعَوتُ رَبّي في السَلامَةِ جاهِدًا لِيَصِحَّني فَإِذا السَلامَةُ داءُ [1]

يقول في البيت الأول: كان رُمحي لا يلين لمن يلمسه بيده، فألانه مَرُّ العُمْر وتعاقب النهار والليل.

ويقول في البيت الآخر: ودعوت ربِّي أن أَسلَمَ جاهدًا فوجدتُ أنَّ السلامة داءٌ، ويقصد بالسلامة عدم خوض الحروب.

****

دوام الحال من المُحال

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الطويل:

نَوائِبُ مِن خَيرٍ وَشَرٍّ كِلَيهِما فَلا الخَيرُ مَمدودٌ وَلا الشَرُّ لازِبُ [2]

إنَّ الحياة تعطي حصصًا من الخير والشرِّ فلا الخيرُ بدائمٍ ولا الشرُّ كذلك، وفي هذا قال أبو البقاء الرُّنديُّ الأندلسيُّ من البسيط:

هِيَ الأُمُورُ كَما شاهَدتُها دُوَلٌ مَن سَرّهُ زَمَن ساءَتهُ أَزمانُ

وَهَذِهِ الدارُ لا تُبقي عَلىٰ أَحَدٍ وَلا يَدُومُ عَلىٰ حالٍ لَها شانُ [3]

يقول في البيت الأول: إنَّ الأحداث كما رأيتها بقلبي وعينيَّ متقلبةُ الأحوال، وإن أسعدت أحدًا بالسرور أيامًا فإنَّها تُحزنه أعوامًا.

---

(1) ديوان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، ص221.

(2) المصدر السابق نفسه ، ص222.

(3) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، بن المقري التلمساني، تح: إحسان عبَّاس، ج4، ص487.

ويقول في البيت الآخر: إنَّ هذه الدنيا ستُفني الجميع ولا الخير فيها بباقٍ ولا الشَّرُ أيضًا.

****

محاسبة النفس

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الكامل:

ما عاتَبَ الحُرَّ الكَريمَ كَنَفسِهِ　　وَالمَرءُ يُصلِحُهُ الجَليسُ الصالِحُ [1]

وهذا البيت من أجود أبيات الحكمة، فلا أحد أعلم بالإنسان بنفسه منه؛ لذلك قال تعالىٰ: ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ [2]، ثم يؤكد الشاعر علىٰ أهمية الجليس الصالح وأثره الكبير في صاحبه.

****

وَالناسُ يَلحَونَ الأَميرَ

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الكامل:

وَالناسُ يَلحَونَ الأَميرَ إِذا هُمُ　　خَطِئُوا الصَّوابَ وَقَد يُلامُ المُرشِدُ [3]

والنَّاس يلومون الأمير إذا هم أخطؤوا فعل الصواب فيُلقون سبب إخفاقهم عليه، وغالبًا ما يُلام الإنسانُ البصير الذي يرشد النَّاس إلىٰ خفايا الأمور.

****

(1) ديوان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، ص224.

(2) القيامة، الآية:13-14.

(3) ديوان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، ص233.

وَطولُ عَيشٍ قَد يَضُرُّه

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من مجزوء الكامل:

1. المَرءُ يَدعو لِلسَّلامِ وَطولُ عَيشٍ قَد يَضُرُّه
2. تودي بَشاشَتُهُ وَيَأ تي دونَ حُلوِ العَيشِ مُرُّه
3. وَتَصَرُّفُ الأَيّامِ حَتّى ما يَرىٰ شَيئاً يَسُرُّه
4. كَم شامِتٍ بِيَ إِن هَلِكـ ـتُ وَقائِلٍ لِلَّهِ دَرُّه [1]

يقول في البيت الأول: إنَّ المرء يدعو إلى السلام لخوفه من القتال، ولكنَّه لا يعلم أنَّ طول البقاء قد يضرُّ الإنسان.

ويقول في البيت الثاني: يشبُّه بشاشة المرء وطلاقة وجهه بالإنسان الذي يموت، فالبشاشة ستهلك وتنتهي، وسيأتي بعد حلو العيش مُرُّه.

ويقول في البيت الثالث: ومن الأشياء التي تَذهَب بسعادة المرء تقلُّبُ أحوال الدهر، هذا الدهر الذي يضطره إلى البحث عما يسره بحثًا.

ويقول في البيت الرابع: إنِّني أعرف مصير سمعتي إن أنا متُّ، سينقسم الناس إلى قسمين: قسمٌ سيشمت بموتي ويشتمني وقسم سيمدحني ويذكر مآثري ويترحم عليَّ.

****

الخوف

وقال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الطويل:

---

(1) ديوان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، ص234.

كَأَنَّ بِلادَ اللَّهِ وَهيَ عَرِيضَةٌ   عَلىٰ الخائِفِ المَطلوبِ كِفَّةُ حابِلِ

كأنَّ بلاد الله وهي واسعةٌ على الخائف المطلوب مهدور الدم مصيدةُ الصيَّاد. [1]

****

لا غالب إلا الله

قال كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه[2] من الكامل:

جاءت سخينةُ كي تغالبَ ربّها.. فَلَيُغلَبَنَّ مُغالِبُ الغلّاب [3]

جاءت قريشٌ لكي تغالب ربَّها فستُغلَب وتُهزم وتَخسر المعركة من الله الغلاب.

****

شتَّانَ

وقال كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه من الكامل في رثاء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه:

شتَّانَ مَنْ هُوَ في جَهَنَّمَ ثاوِيًا   أبدًا وَمَنْ هُوَ في الجِنانِ مُخَلَّدُ [4]

الفرق شاسعٌ بين المقيم في الجحيم إلى الأبد وبين المقيم في الجنان إلى الأبد، فالفرق هائلٌ بين الكافرين والمسلمين.

---

(1) ديوان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، ص238.

(2) وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وقال الله فيهم: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾(التوبة:118) .

(3) ديوان كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، تح: مجيد طراد، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1997م، ص28.

(4) ديوان كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، تح: مجيد طراد، ص38.

هول الحرب

وقال كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه من الطويل:

فلمّا تَلاَقَيْنَا وَدَارَتْ بنَا الرَّحىٰ وليسَ لأمرٍ حَمَّهُ اللهُ مَدفَعُ [1]

فلمَّا تلاقينا ودارت بنا رحىٰ الحرب فشبه الحرب بالرحىٰ التي تطحن، وحذف الجواب لتبيين هول الموقف ثمَّ قال: وليس لأمر قضاه الله مردٌّ.

****

الحفظ حفظ الله

وقال كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه من الطويل:

1. إذا غَايَظُونَا فِي مُقامٍ أعَانَنَا علىٰ غَيظِهِم نصرٌ مِن اللهِ واسعُ
2. وذَلِكَ حِفظُ الله فِينَا وفَضْلُهُ عَلَيْنَا وَمَنْ لم يَحْفَظِ اللهُ ضَائِعُ
3. هدانا لدين الحقِّ واختَارَهُ لَنَا وللهِ فوقَ الصَّانعينَ صَنَائعُ [2]

يقول في البيت الأول: إذا أغضبونا في مكان ما؛ أعاننا علىٰ إغضابهم لنا؛ نصرٌ من الله عريض.

ويقول في البيت الثاني: وذلك الحفظ والنُصرة فضلٌ من الله وحده علينا وكل من لم يحفظه الله فهو ضائع، وهذا المعنىٰ مقتبس من الحديث الشريف عن ابن عبَّاس رضي الله عنه عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنَّه قال: "يا غلامُ! إني أُعَلِّمُكَ كلماتٍ، احفظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احفظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجاهَكَ، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعَنْتَ فاستَعِنْ باللهِ، واعلم أنَّ الأُمَّةَ

---

(1) ديوان كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، ص61.

(2) المصدر السابق نفسه، ص64.

لو اجتمعت على أن ينفعوكَ بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لك، ولو اجتمعوا على أن يضروكَ بشيءٍ، لم يضروكَ بشيءٍ إلا قد كتبه اللهُ عليكَ، جَفَّتِ الأقلامُ ورُفِعَتِ الصُّحُفُ". [1]

ويقول في البيت الثالث: والشطر الأول مأخوذ من الآية الكريمة التي تقول: (وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (البقرة:132)، فالله اختار للمؤمنين به هذا الدين ألا وهو الإسلام، ولله الأفضال العميمة والعطايا الجسيمة التي حباها عبادَه.

****

أَبْلِغْ قُرَيشًا

وقال كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه أيضًا من البسيط:

1 أَبْلِغْ قُرَيشًا وخَيْرُ القولِ أَصْدَقُهُ ... والصِّدْقُ عندَ ذَوي الأَلْبَابِ مَقْبُولُ

2 أَنْ قَدْ قَتَلْنَا بقَتْلانَا سَرَاتَكُمُ ... أهلَ اللِّواءِ فَفِيمَ يكثُرُ القِيلُ؟

3 إِنْ تَقْتُلُونَا فَدِينُ الحقِّ فِطْرَتُنَا ... والقَتْلُ في الحقِّ عِنْدَ الله تفضيلُ

4 وإِن تَرَوا أمرَنا في رَأيكُمْ سَفَهًا ... فَرَأيُ مَنْ خَالَفَ الإِسْلامَ تَضليلُ [2]

نلحظ هنا أن الحكمة في البيت الأول والثالث والرابع كانت في الشطر الآخر منها وهذا دليلٌ على مهارة كعب رضي الله عنه الشعرية؛ إذ يقول في البيت الأول: أبلغا قريشًا يا ابن الزبعرى ويا عمرو بن العاص، ثم يعترض البيت حكمة فيقول: أفضل الأقوال أصدقها، والصدق يقبله ذوي العقول الراجحة.

---

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، 1988م، رقم الحديث: 7957، ص1317-1318.

(2) ديوان كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، ص83.

ويقول في البيت الثاني: أبلغا قريشًا بأنَّنا قد قتلنا قادتكم، أهل اللواء المرفوع، وقتل القادة وإنزال اللواء دليلٌ على القوة والمنعة التي يتمتع فيها المسلمون، ثم يقول: ففيم يكثر كلامكم وأنتم ضعفاء فاشلون.

ويقول في البيت الثالث مستخدمًا الأسلوب الحِجاجي: إن تقتلونا فإنَّنا قد ولدنا على الفطرة وفي ذلك إشارة إلى الحديث الشريف الذي يقول: " كلُّ مولودٍ يولَدُ على الفطرةِ فأبواه يُهوِّدانِه أو يُنصِّرانِه أو يُمجِّسانِه"[1] وإنَّنا نموت على ما عشنا عليه، ونحشر على ما متنا عليه، وإنَّ استشهاد من يستشهد منَّا محض اصطفاء وتفضيل من الله عزَّ وجل، وهذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى: "وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ". [2]

ويقول في البيت الرابع: لا تروا أنَّ ما نؤمن به حماقةً وطيشًا بل رأي من يتنكب عن طريق الإسلام هو الباطل، وهذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى: "وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ". [3]

****

الخِبرة

وقال كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه من الطويل:

أَلاَ هَلْ أَتَى غَسَّانَ في نَأْيِ دَارِهَا   وَأَخْبَرُ شَيءٍ بالأُمُورِ عَليمُها[4]

(1) صحيح ابن حبان، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، رقم الحديث:129، ص294.

(2) آل عمران:140.

(3) البقرة:108.

(4) ديوان كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، ص93.

هل أتى قبيلة غسان أنباء انتصارات المسلمين على المشركين، وإنَّ العلم بالشيء كخُبره ومعاينته.

****

مَنْ يفْعَلِ الحَسَنَاتِ

وقال كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه من البسيط:

1 مَنْ يَفْعَلِ الحَسَنَاتِ اللهُ يَشْكُرُهَا والشَّرُّ بالشَّرِّ عِنْدَ اللهِ سِيَّانِ

2 وإِنَّما قُوَّةُ الإنْسانِ ما عَمُرَتْ عَارِيَّةٌ كارتِدَادِ الثَّوب لِلسَّانِ

3 إِنْ يَسْلَمِ المرءُ من قَتْلٍ ومِنْ مَرَضٍ في لَذَّةِ العَيْشِ أبلاهُ الجَدِيدانِ

4 فإِنَّما هذِهِ الدّنيا وَزِينَتُهَا كالزّادِ لا بُدَّ يَوْمًا أنَّهُ فَانِ [1]

والبيت الأول مأخوذ من الآية الكريمة: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [2] والآية الكريمة: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [3]

ويقول في البيت الثاني: وإنما قوة الإنسان مستعارةٌ ما بقيت، فهي كالثوب الذي يلبسه الإنسان.

ويقول في البيت الثالث: إذا سلم الإنسان من القتل والمرض أهرمه الَّليل والنهار، وهو يذكرنا بقول الشاعر الجاهلي بلعاء بن قيس الكنانيُّ من الطَّويل:

إذا أنت حَرَّكت الوغَى وشهدتها وافلتَّ من قتلٍ فلا بد من كَلْمِ [4]

---

(1) ديوان كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، ص108.

(2) آل عمران، الآية: 115.

(3) الشورى، الآية:40.

(4) الحماسة البصريّة، أبو الفرج بن الحسن البصريّ، تح: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ج1، ص63.

"أي إذا أنت شهدت الحرب، وأفلتّ من القتل فلا بُدَّ من الجراح، ويعني لا بُدَّ من التّضحية من أجل الحصول على الأمور العظيمة". [1]

ويقول في البيت الرابع: ما الحياة الدنيا إلا كالطعام والشراب الذي يتخذه المسافر للسفر، ولا بد يومًا أن ينفد.

****

الحُبُّ

قال خفاف بن ندبة السُّلميُّ من الطويل:

بِوَجّ وَما بالي بِوَجّ وِبالُها   وَمَن يَلقَ يَومًا جِدَّةَ الحُبِّ يُخلِقِ [2]

وما حالي وحالها من الحُبَّ إلا حالٌ يصعب وصفها، ومن يلاقي يومًا غاية الحُبَّ ومنتهاه فإنّ هذا الحُبَّ يتلاشى ويذهب.

****

الرِّهان

وقال خُفاف بن نُدبة السُّلميُّ من المتقارب:

عَلامَ تَناوَلُ ما لا تَنالَ   فَتَقطَعُ نَفسَكَ أَو تَخسَرُ

فَإِنَّ الرِهانَ إِذا ما أُريدَ   فَصاحِبُهُ الشامِخَ المُخطِرُ [3]

---

(1) موسوعة اللآلي من شعر الحكمة في العصر الجاهلي، عبد القادر زينو، دار الكتب العلمية، بيروت، 2020م، ص80.

(2) شرح الأصمعيات، تح: د. سعدي ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م، ص18.

(3) الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ، ج18، ص313.

علىٰ ماذا تطلب من الرهان ما لا تستطيع نيله، فتُتعِب نفسك أو تخسر مالكَ، فإنَّك إذا راهنتَ بمالك فأنت متكبِّرٌ تعرِّض نفسكَ ومالكَ للهلاك.

****

الهرم والمظهر والمخبر

قال المخبل السعدي من الطويل:

1	وما للِعظامِ الراجِفاتِ منَ البِلَىٰ	دواءٌ وما للرُّكْبَتَيْنِ طَبيبُ
2	إِذَا قال أصحابي رَبِيعَ أَلاَ تَرَىٰ	أَرَىٰ الشَّخْصَ كالشَّخْصَيْنِ وهو قَرِيبُ
3	فلا يُعْجِبنَك المَرْءُ أَنْ كان ذا غِنًىٰ	ستَتْرُكُهُ الأَيَّامُ وهْوَ حَريبُ
4	وكائِنْ تَرَىٰ في الناس من ذي بشاشَةٍ	ومَنْ شَأْنُه الإِقْتارُ وهْوَ نَجِيبُ [1]

لقد فهم هذا الشاعر في البيت الأول قبل ألف وأربعمئة سنة ما لا يفهمه الغرب اليوم وهو أنَّه لا دواء للهرم والموت.

وانظروا معي إلىٰ جمال التصوير في البيت الثاني؛ إذ يسأله أصحابه ألا ترىٰ؟ فيجيب بلىٰ أرىٰ، ولكن أرىٰ الشخص كالشخصين وذلك لضعف بصره في هرمه. ويقول في البيت الثالث: لا يعجبنك المرء إذا كان غنيًا؛ لأنَّ الأيام ستجري عليه وتسلبه مالَه بسبب المصائب والحوادث.

---

(1) الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، تح: د. مفيد قميحة، محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، ص252.

ويقول في البيت الرابع: أنَّه يجب علينا ألا نحتكم إلى الظواهر فحسب، فكثيرًا ما ترى في الناس صاحب ابتسامةٍ باديةٍ على وجهه ويضمر الحقد، ومن يبدو عليه البخل وهو كريمٌ، وفي الموضوع ذاته يقول من الطويل:

وَقَد تَزدَري العَينُ الفَتى وَهوَ عاقِلٌ   وَيَجمُلُ بَعضُ القَومِ وَهوَ جَهولُ [1]

فلا يجب علينا أن نحكم على الأشخاص من مظهرهم أو من لباسهم أو من مكانتهم الاجتماعية أو من أشكالهم، وقريب منه قول أبو بكر الصديق رضي الله عنه من الرجز:

كَم مِن صَغيرٍ عَقلُهُ كَبيرُ

وَمِن كَبيرٍ عَقلُهُ صَغيرُ [2]

وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَا أَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ) [3] والله تعالى وصف المنافقين بأن شكلهم وظاهرهم ومنطقهم يُعجب الناس ولكن خباياهم خبيثة فقال: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [4]

****

فعل الخير

وقال المخبّل السعديّ من الطويل:

---

(1) الحماسة، ابن البحتري، ص283.

(2) ديوان أبو بكر الصديق رضي الله عنه، تح: محمد شفيق البيطار، دار شراع، دمشق، الطبعة الأولى، 1993م، ص47.

(3) شُعب الإيمان، البيهقي، ج13، ص85.

(4) المنافقون، الآية:4.

فَكَكنا حَديدَ الغِلِّ عَنهُم فَسُرِّحوا جَميعًا وَأَحظىٰ النَّاسِ بَالخَيرِ فاعِلُه [1]

فككنا القيود عن أعدائنا فأطلقناهم جميعًا، وأكثر من ينال الخير هو فاعله لا الذي يقع عليه فعل الخير، وقريب منه قول زهير بن أبي سلمىٰ:

تَراهُ إِذا ما جِئتَهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُعطيهِ الَّذي أَنتَ سائِلُه [2]

****

إِنَّ الثَّراءَ هُوَ الخُلودُ

وقال المخبَّل السعديُّ من أحذِّ الكامل:

1 إِنَّ الثَّـــراءَ هُـــوَ الخُلُـــودُ وإنَّ المَـــرءَ يُكـــرِبُ يَومَـــهُ العُـــدُمُ

2 إِني وَجَـــدِّكِ مـــا تُخَلِّـــدُني مِئَـــةٌ يَطـــيرُ عِفاؤُهـــا أَدَمُ

3 لَتُنَقِّـــبَن عَنِّـــي المَنِيَّـــةُ إِنَّ اللهَ لَـــيسَ كَحُكمِـــهِ حُكـــمُ

4 إِنِّي وَجَـــدتُ الأَمـــرَ أَرشَـــدُهُ تَقـــوىٰ الإِلَـــهِ وَشَرُّهُ الإِثـــمُ [3]

يقول في البيت الأول: إنني أرىٰ أنَّ الخلود في الثراء والغنىٰ، وإنَّ الفقر يُقرِّب من الموت.

ويقول في البيت الثاني: ثم يتراجع الشاعر عمَّا قرره في البيت فيحلف الشاعر بجد المخاطب بأنَّه لا تخلّده مئةٌ من الإبل البيض السمينة التي يطير وبرها من السِّمَن.

(1) منتهى الطلب من أشعار العرب، محمد بن المبارك البغدادي، د. محمد نبيل الطريفي، ج1، ص397.

(2) ديوان زهير بن أبي سُلمى، ص92.

(3) المفضليات، المفضل الضبي، ص118.

ويقول في البيت الثالث: سيجدني الموت ولو كنت في سبعين ذراعًا تحت الأرض، لأنَّ حكم الله ماضٍ.

ويقول في البيت الرابع: لقد خرجت بحكمة من الحياة أن الرشَاد والبصيرة رهينان بتقوىٰ الله، وشرُّ هذه الأمور الإثم والذنوب.

****

إذا أَنتَ عادَيتَ الرِجالَ

وقال المخبَّل السعديُّ من الطويل:

1. إِذا أَنتَ عادَيتَ الرِجـــالَ فَلاقِهِم   وَعِرضُكَ عَن غِبِّ الأُمورِ سَليمُ
2. وَقَد تَزدَري النَفسُ الفَتىٰ وَهوَ عاقِلٌ   وَيُؤفَنُ بَعضُ القَومِ وَهوَ حَزيمُ
3. وَلا يَعدِمُ الغاوي عَلىٰ الغَـــيِّ لائِمًا   وَإِن هُوَ لَم يُشفِق عَلَيهِ يَلومُ [1]

يقول في البيت الأول: إذا أنت عاديت النَّاس فلاقهم، وعرضك مأمونٌ أن يصاب بعاقبة عدائك للنّاس، فيجب عليك أن تأخذ حذرك واحتياطاتك.

ويقول في البيت الثاني: قد تنتقص النفس البشرية الرجلَ مع أنَّه عاقلٌ، وقد يظنَّ النَّاس في الرجل أنَّه أحمقٌ سفيهٌ وهو حكيم ضابطُ الرأي.

ويقول في البيت الثالث: لا يعدِمُ الضال علىٰ ضلاله لائمًا، وهذا اللائم إذا لم يشفق علىٰ الملوم فإنَّه يلومه باستمرار.

****

(1) عشرة شعراء مُقِلُّون، د. حاتم الضامن، ص72.

قومَك ونفسَك

وقال كعب بن زهير رضي الله عنه من الطويل:

1. وبالعفو وصَّاني أبي وعشيرتي... وبالدفع عنها في أمور تَريبها
2. وَقَومَكَ فَاِستَبِقِ المَوَدَّةَ فيهِمُ ... وَنَفسَكَ جَنِّبها الَّذي قَد يَعيبُها [1]

انظروا معي إلى الحشد والحذف والتكثيف في البيت الأول؛ إذ يقول: لقد أوصاني بالعفو أبي وعشيرتي، ثم كان يجب أن يقول: "وأوصاني أبي بالدفع عن عشيرتي"؛ لكنَّه أضرب عن ذلك إلى القول وبالدفع عنها في الأمور تحوك في قلبها.

****

(1) ديوان كعب بن زهير رضي الله عنه، تح: علي فاعور ، ص13.

النفع في الحياة

وقال كعب بن زهير رضي الله عنه من الطويل:

1. لأيِّ زمان يخبأ المرءُ نفعَه ... غدًا فغدًا والدهر غادٍ ورائحُ
2. إذا المرء لم ينفعكَ حيًّا فنفعه... قليلٌ إذا رُصَّت عليه الصَّفائحُ [1]

يقول في البيت الأول: لأيّ زمان يخبِّئ المرءُ نفعهُ للآخرين، أإلى غدٍ، فما أدراه بأنَّ الموت لن يبتدره.

ويقول في البيت الثاني: إذا المرء لم ينفعك حيًّا فلا يمكن أن ينفعك وهو ميِّتٌ وقد رُصَّت عليه أحجار القبر!

****

القول المكرور

وقال كعب بن زهير رضي الله عنه من الخفيف:

1. ما أرانا نقولُ إلا رجيعًا... ومعادًا من قولنا مكرورا [2]

ما أرانا نقول من شيءٍ إلا وقد سُبقنا إليه.

****

(1) المصدر السابق نفسه، ص16.

(2) ديوان كعب بن زهير رضي الله عنه، ص26.

السعي والأمل

وقال كعب بن زهير رضي الله عنه من البسيط:

1. لَو كُنتُ أَعجَبُ مِن شَيءٍ لَأَعجَبَني سَعيُ الفَتى وَهُوَ مَخبوءٌ لَهُ القَدَرُ
2. يَسعى الفَتى لِأُمورٍ لَيسَ مُدرِكَها وَالنَّفسُ واحِدَةٌ وَالهَمُّ مُنتَشِرُ
3. وَالمَرءُ ما عاشَ مَمدودٌ لَهُ أَمَلٌ لا تَنتَهي العَينُ حَتّى يَنتَهي الأَثَرُ [1]

في البيت الأول والثاني يتعجب كعب رضي الله عنه من نوع محدد من السعي وهو السعي إلى ما لا يمكن تحقيقه، فالنفس واحدةٌ والطموحات كثيرةٌ، والقدر يستعد للانقضاض في أية لحظة.

ويقول في البيت الثالث: والمرء له أملٌ طويلٌ طولَ حياته، ولا ينتهي هذا الأمل إلا بموته!

مستودَع السرِّ

وقال كعب بن زهير رضي الله عنه من البسيط:

لا تُفشِ سِرَّك إِلّا عِندَ ذي ثِقَةٍ أَو لا فَأَفضَلُ ما اِستَودَعتَ أَسرارا

صَدرًا رَحيبًا وَقَلبًا واسِعًا صَمِتًا لَم تَخشَ مِنهُ لِما اِستَودَعتَ إِظهارا [2]

يقول في البيت الأول: إذا أردت أن تبوحَ بسرِّكَ فَبُح به لصاحب الثقة أو إذا لم تجد فأفضل مكانٍ تستودعه سرَّكَ صدرًا وقلبًا واسعًا ملازمًا للصمت، لا تخشَ منه إفشاء سرِّك، بينما لقيس بن خُطيم رأي آخر، إذ يقول من الطويل:

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص37-38.

(2) ديوان كعب بن زهير رضي الله عنه، ص38.

إِذا جاوَزَ الإِثنَينِ سِرٌّ فَإِنَّهُ   بِنَشرٍ وَتَكثيرِ الحَديثِ قَمينُ [1]

فإذا زاد عدد الذين يعرفون السِّرَّ عن إثنين فإنَّه حريٌّ به أن يُنشَر ويُزادَ فيه من الشائعات ما ليس فيه.

****

المصائب تُنسي النِّعَم

وقال كعب بن زهير رضي الله عنه من الطويل:

كَأَنَّ اِمرأً لَم يَلقَ عَيشًا بِنِعمَةٍ   إِذا نَزَلَت بِالمَرءِ قاصِمَةُ الظَّهرِ [2]

كأن المرء لم يلق من العيش نعمةً، إذا حلت به مصيبةٌ عظيمةٌ تُحطِّم الظهرَ.

****

مَتى ما يَأتِني قَدَري

وقال كعب بن زهير رضي الله عنه من البسيط:

1	أَعلَـمُ أَنّي مَتـى مـا يَـأتِني قَـدَري	فَلَـيسَ يَحبِسُـهُ شُـحٌّ وَلا شَـفَقُ
2	بَينا الفَتـى مُعجَـبٌ بِـالعَيشِ مُغتَـبِطٌ	إِذا الفَتـى لِلمَنايـا مُسـلَمٌ غَلِـقُ
3	وَالمَـرءُ وَالمـالُ يَنمـي ثُـم يُذهِبُـهُ	مَـرُّ الـدُهورِ ويُفنيـهِ فَيَنسَـحِقُ
4	كَالغُصـنِ بَينـا تَـراهُ نـاعِمًا هَـدِبًا	إِذ هـاجَ وَانحَـتَّ عَـن أَفنانِـهِ الـوَرَقُ
5	كَـذلِكَ المَـرءُ إِذ يُنسَـأ لَـهُ أَجَـلٌ	يُرَكَّـبُ بِـهِ طَبَـقٌ مِـن بَعـدِهِ طَبَـقُ

---

(1) ديوان قيس بن خُطيم، تح: د. ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ص162.

(2) ديوان كعب بن زهير رضي الله عنه، ص38.

6 قَـد يُعـوِزُ الحـازِمُ المَحمـودُ نِيَّتُـهُ بَعـدَ الثَـراءِ وَيُثـري العـاجِزُ الحَمِـقُ

7 فَـلا تَخـافي عَلَينـا الفقـرَ وَانتَظِـري فَضـلَ الَّـذي بِـالغِنىٰ مِـن عِنـدِه نَثِـقُ

8 إِن يَفـنَ مـا عِنـدَنا فَـاللهُ يَرزُقُنـا وَمَـن سِـوانا وَلَسـنا نَحـنُ نَرتَـزِقُ [1]

يقول:

1. أَعلَمُ أَنِّي مَتىٰ ما يَأتِني قَدَري فَلَيسَ يَحبِسُهُ شُحٌّ وَلا شَفَقُ

أعلمُ أنني متىٰ ما تحين ساعةُ رحيلي عن الحياة، فإنَّه لا يؤخرها بخلٌ ولا خوفٌ، وقد فقال الرسول صلىٰ الله عليه وسلم محذرًا من هذا الأخلاق: (اللهمَّ إِنِّي أعوذُ بك من العجزِ والكسلِ، والجُبنِ والبُخلِ)[2] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: (شرُّ ما في رجلٍ شحٌّ هالعٌ، وجبنٌ خالعٌ) [3].

2. بَينا الفَتىٰ مُعجَبٌ بِالعَيشِ مُغتَبِطٌ إِذا الفَتىٰ لِلمَنايا مُسلَمٌ غَلِقُ

بينما يعيش المرء مزهوًا بشبابه سعيدًا، فإذا به يجد نفسه منقادًا للموت مرتهنٌ له.

3. وَالمَرءُ وَالمالُ يَنمي ثُم يُذهِبُهُ مَرُّ الدُّهورِ ويُفنيهِ فيَنسَحِقُ

يعيش المرء عاشقًا للمال، فالمال ينمو ويزداد ثمَّ يُهلكه مرور الزمن ويفنيه فلا يبقِ منه شيئًا.

4. كَالغُصنِ بَينا تَراهُ ناعِمًا هَدِبًا إِذ هاجَ وَانحَتَّ عَن أَفنانِهِ الوَرَقُ

والمال كالغصن بينما تراه ليّنًا طويلًا فإذا به يصفرّ وييبس ويتساقط عنه ورقُه.

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص56.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، تح: شعَيب الأرنؤوط، ج2، ص642.

(3) صحيح سنن أبي داود، ناصر الدين الألباني، رقم الحديث 2511، ج2، ص99.

5. كَذلِكَ المَرءُ إِذ يُنسَأ لَهُ أَجَلٌ يُرْكَبُ بِهِ طَبَقٌ مِن بَعدِهِ طَبَقُ

كذلك المرء إذا أُخِّر عنه أجله فإنَّه ينتقل من حال الشباب إلى حال الهرم. قال تعالى: " لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ" (الانشقاق:19).

6. قَد يُعوِزُ الحازِمُ المَحمودُ نِيَّتُهُ بَعدَ الثَراءِ وَيُثري العاجِزُ الحَمِقُ

قد يفتقر الحكيم صاحب اللبُّ محمود الأخلاق، وقد يصبح العاجزُ الذي لا حيلةَ له ثريًا، والأحمق السفيه ضعيف العقل غنيًا.

7. فَلا تَخافي عَلَينا الفقرَ وَانتَظِري فَضلَ الَّذي بِالغِنى مِن عِندِه نَثِقُ

ويقول مخاطبًا زوجتَه لا تخافي علينا الفقر فإنَّ الغني والرزاق هو الله تعالى الذي نثق به.

8. إِن يَفنَ ما عِندَنا فَاللهُ يَرزُقُنا وَمَن سِواانا وَلَسنا نَحنُ نَرتَزِقُ

إنْ لم يبق عندنا شيءٌ من المال فالله يرزقنا، ولسنا نحن الذين نأتي بالمال من عند أنفسنا.

****

كلُّ ما قَدَّرَ الرَحمَنُ مَفعولُ

وقال كعب بن زهير رضي الله عنه من البسيط:

فَقُلتُ خَلّوا طَريقي لا أَبا لَكُمُ فَكُلُّ ما قَدَّرَ الرَّحمَنُ مَفعولُ

كُلُ اِبنِ أُنثى وَإِن طالَت سَلامَتُهُ يَومًا عَلى آلَةٍ حَدباءَ مَحمولُ [1]

(1) ديوان كعب بن زهير رضي الله عنه، ص65.

يقول في البيت الأول فقلتُ ابتعدوا عن طريقي إني أريد القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسليم نفسي له، -فقد كان مهدور الدم-، فكل ما قدر الله كائنٌ وصائرٌ لا محالةَ.

ويقول في البيت الثاني كل امرئ وإن طالت سلامته من الموت فإنَّه -لا محالة- يومًا سيموت ويُحمل على النعش.

****

الواشون

وقال كعب بن زهير رضي الله عنه من الوافر:

1. ومن لا يفثأ الواشين عنه صباحَ مساءَ يبغوه الخبالا [1]

ومن لا يُبعد الواشين والحاقدين عنه، فإنَّهم سيضرونه، فدأبهم الإفساد صباحَ مساءَ.

****

الجسارة والأخلاق

وقال كعب بن زهير رضي الله عنه[2] أيضًا من الطويل:

1. وَلَيسَ لِمَن لا يَركَبِ الهَــولَ بُغيَةٌ وَلَيسَ لِرَحلٍ حَطَّهُ اللهُ حـامِلُ
2. إِذا أَنتَ لَم تُقصِر عَنِ الجَهلِ وَالخَنا أَصَبتَ حَليمًا أَو أَصابَكَ جاهِلُ [3]

(1) المصدر السابق نفسه، ص79.

(2) وينسب هذان البيتان إلى أوس بن حجر وزهير بن أبي سُلمى.

(3) ديوان كعب بن زهير، ص80.

يقول في البيت الأول لا يمكن لِمن لا يضحي ويركب الأهوال والصعاب أن ينال حاجتَه، وليس لِشيءٍ حطَّه الله مما يوضَع على البعير من متاع الراكب حاملٌ. ويقول في البيت الثاني إذا أنت لم تبتعد عن الجهالة والسفه والفحش أصبتَ الحليمَ البريء الذي لا يستحق الذمَّ، أو أصابك جاهلٌ فسبَّك وأفحش لك بالقول.

****

أَرى كَثرَةَ المَعروفِ

قال قيس بن خُطيم من الطويل:

1	أَرىٰ كَثـرَةَ المَعـروفِ يُـورِثُ أَهلَـهُ	وَسَــوَّدَ عَصــرُ السـوءِ غَـيرَ المُسَـوَّدِ
2	إِذا المَـرءُ لَم يُفضِـل وَلَم يَلـقَ نَجـدَةً	مَـعَ القَـومِ فَليَقعُـد بِصُـغرٍ وَيَبعَـدِ
3	وَإِنّي لَأَغنـىٰ النَّـاسِ عَـن مُتَكَلِّـفٍ	يَـرىٰ النـاسَ ضُـلّالًا وَلَـيسَ بِمُهتَـدي
4	فَـما المـالُ وَالأَخـلاقُ إِلّا مُعـارَةٌ	فَـما اِسـطَعتَ مِـن مَعروفِهـا فَتَـزَوَّدِ
5	مَتـىٰ مـا تَقُـد بِالباطِـلِ الحَـقَّ يَأبَـهُ	وَإِن قُـدتَ بِـالحَقِّ الـرَّواسِيَ تَنقَـدِ
6	مَتىٰ ما أَتَيـتَ الأَمـرَ مِـن غَـيرِ بابِـهِ	ضَـلِلتَ وَإِن تَـدخُل مِـنَ البـابِ تَهتَـدِ[1]

- يقول في البيت الأول: أرىٰ كثرة فعل المعروف تورث صاحبه مجدًا وسؤددًا، وجعل هذا العصرُ السيءُ الحثالةَ سادةً.

- ويقول في البيت الثاني: إذا المرء لم يتفضل علىٰ قومه ويعطهم مما عنده، ولم يصبر علىٰ الشدّة التي تلاقي قومَه، فليقعد بذلٍ وليتوارىٰ عن الظهور.

---

(1) ديوان قيس بن الخُطيم، ص128-129-130.

- ويقول في البيت الثالث: وإنّي لأغنى النّاس عن الذي يتصنَّع في أقواله وأفعاله ويتظاهر بما ليس فيه، ويرى النَّاس ضالِّين وهو الضالّ الحقيقي.

- ويقول في البيت الرابع: وما المال والأخلاق إلا عاريةٌ مستردة، وهذا البيت يذكرنا ببيت لبيد بن ربيعة العامري:

وَما المالُ وَالأَهلونَ إِلّا وَديعَةٌ   وَلا بُدَّ يَومًا أَن تُرَدَّ الوَدائِعُ [1]

- ويقول في البيت الخامس: إذا أردت أن تقود بالباطل الحقَّ فإنَّك لا تستطيع، ولكنك تستطيع أن تقود الجبال بالحقّ وهذا من بديع التعبير.

- ويقول في البيت السادس: ائتِ الأمر من بابه وفي هذا قال تعالى: " وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " [2]

****

الساهي عن الأقدار سعيدٌ إلى أن تفجأه.

وقال قيس بن خُطيم من الوافر:

1 مَــن يَــكُ غــافِلًا لَم يَلــقَ بُؤسًــا   يُــنِخ يَومًــا بِســاحَتِهِ القَضــاءُ

2 تَناوَلُــهُ بَنــاتُ الــدَهرِ حَتّــى   تُثَلِّمَــهُ كَــما اِنــثَلَمَ الإِنــاءُ

3 وَكُــلُّ شَــديدَةٍ نَزَلَــت بِحَــيٍّ   سَــيَأتي بَعــدَ شِــدَّتِها رَخــاءُ

4 فَقُــل لِلمُتَّقــي عَــرَضَ المَنايــا   تَــوَقَّ وَلَــيسَ يَنفَعُــكَ اِتِّقــاءُ

5 فَـلا يُعطـى الحَـريصُ غِنـىً لِحِـرصٍ   وَقَــد يَنمــي لِــذي العَجــزِ الثَــراءُ

---

(1) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ص89.

(2) البقرة، الآية: 189.

6 غَنِــيٌّ الــنَفسِ مــا اِســتَغنىٰ غَنِــيٌّ وَفَقــرُ الــنَّفسِ مــا عَمِــرَت شَــقاءُ [1]

يقول الشاعر في البيت الأول: إنَّ الساهي عن المصائب وغير المتوقِّع حدوثها، يعيش في نعيم مؤقت، حتىٰ يفجأَه القدر بنوازله ومصائبه.

ويقول في البيت الثاني: لقد تناولت المصائبُ والدواهي هذا الإنسان حتىٰ كسَّرت عظامه كما تُكسَر أطراف الإناء الفخاري.

ويقول في البيت الثالث: وكل ضائقةٍ ماديةً كانت أو معنوية ستأتي بعدها انفراجةٌ وفرَجٌ.

ويقول في البيت الرابع: فقل لمن يحاول اتقاء ما يعرِض له من المرض أو الموت اتق كما شئت، فلن ينفعك هذا الاتقاء، ونجد هنا استخدام المشتقات من الفعل اتقىٰ، فقال: اسم الفاعل "المتقي" وفعل الأمر "توقَّ" والمصدر: "اتقاءُ"، مما أضفىٰ جناساً ناقصاً بديعاً.

ويقول في البيت الخامس: ونلحظ الجناس هنا بين الصفة المشبهة "الحريص" وبين المصدر "الحرص"، وإذن لا يزيد مالُ البخيل بالبخل، بينما يمكن لمعدوم الحيلة أن يزداد ثراؤه.

ويقول في البيت السادس: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: "ليسَ الغنىٰ عن كثرةِ العَرَضِ ولَكنَّ الغِنىٰ غنىٰ النَّفسِ" [2]، فلا يُقال لغني المال وكثير المتاع أنَّه غني، وإنَّما لمن كانت نفسه غنية، ثم يقول الشاعر في الشطر الآخر: إنَّ النَّفْسَ المتطلِّبة المحتاجة السؤول حياتُها في نصَب وتعب وشقاء.

---

(1) ديوان قيس بن الخُطيم، ص156- ص157.

(2) صحيح البخاري، رقم الحديث:6446، ص1606.

متى سيبلغ البناء التمامَ؟

قال عمرو بن شأس الأسدي من الطويل:

مَتىٰ يُبلِغُ البُنيانُ يَومًا تَمامَهُ ‏ ‏ ‏ ‏ إِذا كُنتَ تَبنيهِ وَآخَرُ يَهدِمُ [1]

يستعمل الشاعر هنا المنطقَ، ويتساءل متىٰ سيبلغ البناء التمام، إذا كنت تبينه وغيرك يهدم؟! وفي هذا البيت تصوير تمثيلي جميل وبليغ جدًا.

****

الشباب مَظِنَّة الجهل

قال عامر بن الطفيل من الوافر:

أَلا أَبلِغ عُوَيمِرَ عَن زِيادٍ ‏ ‏ ‏ ‏ فَإِنَّ مَظِنَّةَ الجَهلِ الشَبابُ [2]

إنَّ تهديدات عويمر، تهديدات جوفاء، لأنَّه في مرحلة الشباب، ومرحلة الشباب خليقةٌ وقمينةٌ بالجهالة والسفه والطيش والحمق، وتتلوها مرحلة الحِلم عند بلوغ الأشد أو عند التعمير، يقول زهير بن أبي سلمىٰ من الطويل:

وإنَّ سفاهَ الشَّيخِ لا حلمَ بعدَهُ ‏ ‏ ‏ ‏ وإنَّ الفتىٰ بعد السَّفاهةِ يحلُمِ [3]

أي: "حريٌّ بالشّيخ أن يعقِل ويصيرَ حكيمًا لأنّه إذا طاشَ وجهِلَ في هذه السنِّ فمتىٰ سيعقل، أما الشَّاب فلربَّما يعقِل إذا ظهر الشّيب في رأسه". [4]

ويقول أبو العتاهية رحمه الله:

---

(1) شعر عمرو بن شأس الأسدي، د. يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، 1983م، ص79.

(2) ديوان عامر بن الطفيل، دار صادر، بيروت، 1979م، ص22.

(3) ديوان زهير بن أبي سُلمى، شرح: علي حسن فاعور، ص112.

(4) موسوعة اللآلي من شعر الحكمة في العصر الجاهلي، عبد القادر زينو، ص26.

إنَّ الشبابَ والفراغَ والجِدهْ مَفْسَدة للمرء أي مفسدة [1]

والجِدة: الثراءُ.

****

أَلا كُلُّ ما هَبَّت بِهِ الريحُ ذاهِبُ

وقال عامر بن الطفيل أيضًا من الطويل:

أَلا كُلُّ ما هَبَّت بِهِ الريحُ ذاهِبُ وَكُلُّ فَتىً بَعدَ السَّلامَةِ شاجِبُ [2]

كلُّ ما على الأرض إلى فناء، وكل فتى بعد كونه سليمًا سيلقى الأمراض والحتوف، وقريب منه قول لبيد بن ربيعة العامريُّ:

ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا مَحالة زائلُ [3]

****

حبلُ الودِ

وقال عامر بن الطفيل أيضًا من الطويل:

فَلا خَيرَ في وِدٍّ إِذا رَثَّ حَبلُهُ وَخَيرُ حِبالِ الواصِلينَ جَديدُها[4]

---

(1) نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد شهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1423 هـ، ج:3، ص80.

(2) ديوان عامر بن الطفيل، ص24.

(3) ديوان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، ص132.

(4) ديوان عامر بن الطفيل، ص47.

أضاف إلى الودِّ حبلًا، فكأنَّ هذا الحبل يمسكُه الصديقان أو الحبيبان كل منهما من طرف، وهذا من جميل التصوير، ثم يقول إنَّ أفضل الحبال هي حبال الود المتجددة بين العاشقَين.

****

الفِرارُ هوانٌ

وقال عامر بن الطفيل أيضًا من الطويل:

1. إِذا ازوَرَّ مِن وَقعِ الرِّماحِ زَجَرتُهُ وَقُلتُ لَهُ اِرجِع مُقبِلًا غَيرَ مُدبِرِ
2. وَأَنبَأتُهُ أَنَّ الفِـــــــرارَ خَزايَةٌ عَلى المَـرءِ مـا لَم يُبلِ عُذرًا فَيُعذَرِ [1]

في البيت الأول: يخاطب الشاعر فرسه صائحاً فيه، رادعاً إياه من الفرار والهزيمة: ارجع أيَّها الفرَس وقاتِل مُقبلاً غير فارٍّ بشجاعة بعيداً عن الجُبن والخَوَر.

في البيت الثاني يُخبِرُ الشاعر فرسَه عن سبب زجره إياه فيقول: إنَّ الفرار يجلب الذلَّ والهوان؛ بل هو عين الذُّل وعين الهَوان، إذا فرَّ المرء دونَ أن يُبلي بلاءً حسناً في الحرب، أما إذا غُلب بعد بذل الجُهد وإنفاق الطاقة، ولم يستطع الانتصار بعد ذلك فهو معذور في هذا الفرار.

****

(1) ديوان عامر بن الطفيل، ص62.

الملوم والمعذور

وقال عامر بن الطفيل أيضاً من المتقارب:

1. تَبَيَّنُ في شُبُهاتِ الأُمورِ   فَإِنَّ التَّجارِبَ قَد تُؤثَرُ
2. لَقَد كانَ فيما خَلا عِبرَةٌ   وَبِالعِلمِ يَعتَبِرُ المُبصِرُ
3. يُلامُ المُفَرِّطُ في أَمـــرِهِ   إِذا صَرَّحَ الأَمرَ لِلمُعذِرِ [1]

يقول في البيت الأول: إنَّ البائس والشقي هو الذي لا يتعظ بالماضي، ولا يتدبَّر التجارِب، وذلك لِما للتجارِب من أهمية؛ إذ تمتلك قدرةً على البقاء؛ لكنَّ الإنسان سُرعان ما ينسى هذه التجارب؛ لذا على الإنسان تعقُّب هذه التجارب والاستفادة منها عند حلول الأمور المشتبِهة.

ثم يقول في البيت الثاني: يجب علينا أخذ العبرة من الماضي، وفي الماضي تكمن كنوز العِلم والتجارب؛ فبهذه الكنوز يستطيع ذو البصيرة أن يضيء طريقه.

ثم يقول في البيت الأخير: إنَّ الذي يُقصِّر في أموره ويسوِّف إنجازها ويتهاون في إتقانها سوف يُلام، بينما تتكشف الأمور وتتضح للذي بذل الغاية في الجهد، وابتعد عن لوم الناس له، ببذل ما يمكنه من الطاقة، فيصبح عند الناس معذورًا بعد ذلك مهما كانت النتائج.

****

(1) ديوان عامر بن الطفيل، ص69.

الله أكثرُ كلِّ شيء

قال خِداش بن زهير العامري من الوافر:

1. رأيتُ اللهَ أكثرَ كلِّ شيءٍ   محاولةً وأكثرَهم جنودًا

2. تقُوهُ أيُّها الفتيانُ إنِّي   رأيتُ اللهَ قد غلب الجدودا

3. رأيت الخادرَ المحجوب منَّا   يلقىٰ حتفه والمستزيدا [1]

يقول الشاعر في البيت الأول لقد أيقنت أنَّ الله أقوىٰ من كل شيءٍ -ورأىٰ هنا بمعنىٰ أيقن وليس بمعنىٰ ظنَّ- قال تعالىٰ: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ (الصافات:5) قال تعالىٰ: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنعام:13) والله أكثر أصحاب الجنود جنودًا وأقواهم قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (الفتح:7) وقال جل شأنه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ (المدثر:31)

ويقول في البيت الثاني حاذفًا همزة الوصل: تَقُوه أيها الفتيان عِوضًا عن اتقوه ليستقيم الوزن، ويبدو أنَّ ذلك مسموع عند العرب، وقد خصَّ الخطاب بالشباب والفتيان لأنَّهم أكثر الناس اغترارًا بأنفسهم قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾(فُصِّلت:15) وقال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (الروم:54)

---

(1) شعر خداش بن زهير العامري، د. يحيى الجبوري، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، 1986م، ص41.

ثم يقول في البيت الثالث: لقد أيقنت أنَّ الجبان الذي يختبئ في الخدور كالنساء سيموت وتنال منه منيَّته كما سيموت الشجاع، وحول هذه المعاني قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ (النساء:78) وقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ (آل عمران:154)، ولكن المتنبي -كعامة الناس- يخالف الرؤية القرآنية ويظن أنَّ الشجاعة والإقدام تزيد من احتمال الموت فيقول:

لولا المشقةُ سادَ الناسُ كلُّهمُ... الجودُ يفقرُ والإقدام قتَّالُ [1]

لكن المتنبيَّ في الوقت نفسه يدعو إلى معالي الأمور فيقول من الوافر:

إِذا غامَرتَ في شَرَفٍ مَرومٍ   فَلا تَقنَع بِما دونَ النُجومِ

فَطَعمُ المَوتِ في أَمرٍ صَغيرٍ   كَطَعمِ المَوتِ في أَمرٍ عَظيمِ [2]

ثم يقول الشاعر خداش أنَّه أيقن أنَّ المستزيد المكثِّر أمواله لن تغني عنه أمواله شيئاً عند الموت، قال تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ (الشعراء:129)

****

كفى الشيب والإسلامُ للمرء ناهيًا

وقال سُحيم عبد بني الحسحاس من الطويل:

عُمَيرةَ وَدِّع إِن تَجَهَّزتَ غَادِيا   كَفَى الشَيبُ والإِسلامُ لِلمَرءِ ناهيا [3]

---

(1) ديوان المتنبي، ص490.

(2) لمصدر السابق نفسه، ص232.

(3) ديوان سُحيم عبد بني الحسحاس، تح: عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، 1950م، ص16.

عندما تريد التهيؤ للذهاب إلى الجهاد ودَّع معشوقتك التي عشقتها في الحرام، لأنَّه يكفيك الشيبُ الذي اشتعل في رأسك، والإسلام الذي اعتنقته في قلبك ناهيًا وواعظًا وزاجرًا عن الأفعال القبيحة، وقال أبو عبيدة إنَّ صاحبة الشاعر الذي فُتن بها كانت تُسمى غالية وكان أبوها من أشراف تميم، ولم يتجاسر على ذكر اسمها؛ لذلك بدَّل الاسم واستخدمَ الاسم عُميرة، وقدَّمه وهو ومفعول به؛ لكي يُشتت الأنظار عن مقصده الحقيقي وهو غالية حبيبته.

****

وما يملأ جوف ابن آدم إلا التراب

وقال سُحيم عبد بني الحسحاس أيضًا من الطويل:

فَفاءَت ولَم تَقضِ الَّذي هُوَ أَهلُهُ   وَمِن حاجَةِ الإِنسانِ ما لَيسَ لاقيا [1]

فرجَعت ولم تقض حاجتها، فالإنسان كثير التطلب الأشياء التي لا يستطيع إيجادها ولا يستطيع تحقيقها، وهذا البيت يذكرنا بأبيات كعب بن زهير رضي الله عنه والتي مرت معنا في عنوان السعي والأمل من البسيط:

1. لَو كُنتُ أَعجَبُ مِن شَيءٍ لَأَعجَبَني   سَعيُ الفَتى وَهُوَ مَخبوءٌ لَهُ القَدَرُ
2. يَسعى الفَتى لِأُمورٍ لَيسَ مُدرِكَها   وَالنَّفسُ واحِدَةٌ وَالهَمُّ مُنتَشِرُ
3. وَالمَرءُ ما عاشَ مَمدودٌ لَهُ أَمَلٌ   لا تَنتَهي العَينُ حَتّى يَنتَهي الأَثَرُ [2]

(1) ديوان سُحيم عبد بني الحسحاس، تح: عبد العزيز الميمني، ص19.

(2) ديوان كعب بن زهير رضي الله عنه، ص37-38.

وأبلغ من هذا وذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لو كان لابن آدمَ واديان من ذهب وفضة لابتغى إليهما آخرَ، ولا يملأ بطن ابن آدمَ إلا التراب، ويتوب الله على من تاب" [1]

****

من الذي لا يُملُّ حديثه

وقال سُحيم عبد بني الحسحاس أيضًا من الطويل:

1	رَأَيــتُ الحَبيــبَ لا يُمَــلُّ حَديثُــهُ	وَلا يَنفَــعُ المَشــنوءَ أَن يَتَــودَّدا
2	رَأَيــتُ الغَنــيَّ والفَقــيرَ كِلَــيهِما	إِلى المَـوتِ يـأَتي مِـنهُما المَـوتُ مَعمِـدا
3	فإلّا تُـلاق المَـوتَ في اليَـومِ فـاعلَمَن	بِأَنَّــكَ رَهــنٌ أَن تُلاقِيَــهُ غَــدا
4	فَتُصـبِحَ في لَحـدٍ مِـنَ الأَرضِ ثاوِيًـا	كأَنَّــكَ لَم تَشـهَد مِـنَ اللَهـوِ مَشـهَدا
5	وَلَم تَلـهُ بِـالبيضِ الكَواعـبِ كالـدُّمى	زَمانًــا وَلَم تَقعُـد مِـنَ الأَرضِ مَقعَـدا
6	وَلَم تَـزَعِ الخَيـلَ المُغـيرةَ بالضُّـحى	عَـلى هَيكَـلٍ نَهـدِ المَراكِـلِ أَجـرَدا [2]

يقول سُحيم في البيت الأول: إنَّك إذا حادثت محبوبك فإنَّك لا تملُّ من حديثه؛ وذلك لأنَّك تحبُّه؛ بينما لا ينفع الذي تُبغضه أن يتودد إليك، فستبقى تبغضه وتملُّ حديثه، وقريب منه قول الشاعر الجاهلي المسيِّب بن علَس من الوافر:

وَعَينُ السُّخطِ تُبصِرُ كُلَّ عَيبٍ وَعَينُ أَخي الرِّضا عَن ذاكَ تَعمى [3]

---

(1) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1996م، ج:6، رقم الحديث: 2910، ص: 966.

(2) ديوان سُحيم عبد بني الحسحاس، ص41-42.

(3) ديوان المسيَّب بن عَلَس، تح: د. عبد الرحمن محمد الوصيفي، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003م، ص123.

وفي هذا قال الإمام الشافعي من الطويل:

وَعَينُ الرِضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَليلَةٌ   وَلَكِنَّ عَينَ السُخطِ تُبدي المَساوِيا [1]

وهذه الصِّفات من صفات اليهود فهم منافقون، فإذا كان الإنسان كما يشتهي هواهم كان جيِّدًا بنظرهم، ورفعوه ومدحوه، وإذا خالف هواهم هجَوه وأبعدوه وما خبر الصحابي عبد الله بن سلام اليهوديّ الذي أسلم ببعيد، [2] فقد "قال الرسول صلَّى الله عليه وسلم لليهود: فأيُّ رجلٍ فيكم عبد الله بن سلام؟

قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا.

قال: أفرأيتم إن أسلم؟

قالوا: حاش لله ما كان لِيُسلم.

قال: يا ابن سلام اخرج عليهم، فخرج فقال: يا معشر يهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلَّا هو، إنَّكم لتعلمون أنَّه رسول الله وأنَّه جاء بالحقّ.

فقالوا: كذبت...

فلما خرج عليهم شهد شهادة الحق.

قالوا: شَرُّنَا وابن شَرِّنَا، وتنقَّصُوه فقال: يا رسول الله هذا الذي كنتُ أخاف!" [3]

ثم يقول سُحيم في البيت الثاني: رأيت أنَّ الموت يأتي قاصدًا الغني والفقير، دون تفريقٍ بينهما.

ويقول في البيت الثالث: إنَّك إن لم تلاق الموت في اليوم، فتيقَّن أنَّك محبوس ومربوطٌ بلقائه

---

(1) ديوان الإمام الشافعيّ، إعداد: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ص157.

(2) موسوعة اللآلي من شعر الحكمة في العصر الجاهلي، عبد القادر زينو، ص 33.

(3) البداية والنّهاية، ابن كثير، ت: عبد الله التركيّ، دار هجر، القاهرة، 2003م، ج4، ص521.

غدًا.

ويقول في البيت الرابع والخامس والسادس: إنَّك أيها الإنسان إذا لقيت الموت فستصبح نازلًا في شِقٍّ في جانب القبر، وإنَّك عند ذلك تصبح كأنَّك لم تذق متعةً في حياتك، ولم تله بالفتيات بيضاوات البشرة ممتلئات الأثداء، ولم تقم في الأرض طرفة عين، ولم تردع فرسك الطويل الضخم قصير الشعر أبدًا.

****

أخوك أخوك

قال ربيعة بن مقروم الضبي رحمه الله من الوافر:

1	إذا مـــا المـــرءُ لم يحببـــك إلا	مغالِـــبَ نفســـهِ سَـــئِمِ الغِلابـــا
2	ومـــن لا يعـــطِ إلا في عتـــابٍ	يُخـــافُ يـــدعْ بـــه النَّـــاسُ العِتابـــا
3	أَخـــوكَ أَخـــوكَ مَـــن يَـــدنو وَتَرجـــو	مَوَدَّتَـــهُ وَإِن دُعِـــيَ اِســـتَجابا
4	إِذا حارَبـــت حـــاربَ مَـــن تُعـــادي	وَزادَ سِـــلاحُهُ مِنـــكَ اِقتِرابـــا
5	يـــواسي في الكَريهـــةِ كُـــلَّ يّـــومٍ	إِذا مـــا مُضـــلِعُ الحَـــدَثانِ نابـــا [1]

يقول الشاعر ربيعة في البيت الأول: إذا ما المرءُ لم يُحببك إلا وهو يغالبُ نفسه وذلك للكره الكامن في صدره تجاهك؛ فإنَّه سيأتي يومٌ ويسأم مغالبتَه نفسَه ويظهَر ما يخفيه صدره على لسانه، وقريب منه قول الشافعي رحمه الله من الطويل:

إذا المرءُ لا يرعاكَ إلا تكلُّفا فدعه ولا تُكثِر عليهِ التَّأَسُّفا [2]

(1) ديوان ربيعة بن مقروم الضبي، تماضر عبد القادر فياض حرفوش، دار صادر، بيروت، 1999م، ص 20.

(2) ديوان الشافعي، د. محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1985، ص94.

ويقول في البيت الثاني: إنَّ الذي لا يعطي المودّة والصحبة -وربما المال أيضًا- إلا بدافع الخوف من عتاب الناس يتركُ الناس عتابَه زهدًا فيه وترفعًا عليه.

ويقول في البيت الثالث: إنَّ الأخ الحقيقي هو من يحاول الدنو منك، وإذا استنفرتَه إلى أمر فهو الأول فيه والمبادر إليه، وقريب منه قول مسكين الدارمي من العصر الأموي من الطويل:

أخـاكَ أخـــاكَ إنَّ من لا أخَ له   كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاحِ

وإِنّ ابن عم المرء فاعلم جناحُه   وهل ينهضُ البازي بغيرِ جناح [1]

ويقول في البيت الرابع: فإذا حاربت فهو يهب لحرب من يحاربك وكأنَّكما في اتفاقية دفاع مشترك كما تسمى في هذا العصر، وأشعرك بسلاحه حمايته إياك.

ويقول في البيت الخامس: إنَّ الأخ الحقيقي هو الذي يشترك معك في الحرب في كل يوم، وخاصة عند وقوع المصائب الكبيرة.

****

حبُّ الأقرباء والبُعداء

وقال ربيعة بن مقروم الضبي رحمه الله أيضًا من الكامل:

أَصْفِ المَوَدَّةَ مَن صَفا لَكَ وُدُّهُ   وَاترُك مُصافاةَ القَريبِ الأَميَلِ

كَم مِن بَعيدٍ قَد صَفا لَكَ وُدُّهُ   وَقَريبِ سَوءٍ كَالبَعيدِ الأَعزَلِ [2]

---

(1) ديوان مسكين الدارمي 89هـ، تح: عبد الله الجبوري، خليل إبراهيم العطية، دار البصري، بغداد، الطبعة الأولى، 1970، ص29.

(2) ديوان ربيعة بن مقروم الضبي رحمه الله، تح: تماضر عبد القادر فياض حرفوش، ص41.

يقول الشاعر في البيت الأول أخلص محبتك وامحضها لمن أخلص لك حبَّه، واترك حبُّ القريب المختال المحتال.

ويقول في البيت الثاني: لا تركننَّ إلى القرابة في حبِّك الأشخاص لأنَّه كم من غريب عنك قد أحبَّك وناصرك، وكم من قريب منك قد خذلك وقت الشدة فهو كالأعزل المبتعد عن الحرب، وقريب من هذا المعنى "قول الشاعر الجاهلي المسيَّب بن علس من المتقارب:

وَفِي النَّاسِ مَن يَصِلُ الأَبعَدَينِ وَيَشقىٰ بِهِ الأَقرَبُ، الأَقرَبُ" [1]

وهذا صحيح، فهاهُما امرأتَا سيدنا نوح وسيدنا لوط عليهما وعلى رسولنا الصلاة والسلام، قد كفرتا، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾

وقال عزَّ سلطانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾" [2]

****

شر قول المرء

وقال ربيعة بن مقروم الضبي رحمه الله أيضًا من الكامل:

ودخلتُ أبنيةَ الملوكِ عليهمُ ولشرُّ قولِ المرء ما لم يفعلِ [1]

---

(1) ديوان المسيَّب بن عَلَس، تح: د. عبد الرحمن محمد الوصيفي، ص73.

(2) موسوعة اللآلي من شعر الحكمة في العصر الجاهلي، عبد القادر زينو، ص33.

لقد وعدنا بأن ندخل إيوان كسرىٰ ودخلناه فاتحين، وشرُّ أقوال النَّاس الأقوال التي تُلقىٰ في الهواء ولا يُلقي لها أحدٌ بالٌ؛ لأنَّها لا تؤدي إلىٰ حركة وفعل.

****

للقلوب نوعان

قال دريد بن الصمة من البسيط:

الموتُ حلوٌّ لِما لاقَت شَمائِلُهم... وعند غيرهم كالحنظلِ الكَدِرِ

وَالناسُ صِنْفَان، هَذَا قَلْبُهُ خَزَفُ ... عِنْدَ اللقَاءِ، وَهَذَا قُدِ مِنْ حَجَرِ [2]

يقول دريد في البيت الأول: يكون طعم الموت عند الحرب لدىٰ بعض الرجال حلوًا كالعسل وذلك بسبب أخلاقهم السَّمحة والطيبة التي أدَّت إلىٰ أن يتصف الموت بالحلاوة، وذلك بسبب شجاعتهم، أما عند الجبناء فإنَّ طعم الموت أمرُّ من الحنظل الفاسد، ولكن المتنبي لا يتفق مع دريد بأنَّ للموت مذاقات متعددة بل له مذاق واحد يقول من الوافر:

إذا غامرتَ في شرفٍ مَرومٍ فلا تقنعْ بما دونَ النجومِ

فطعمُ الموتِ في أمرٍ حقيرٍ كطعمِ الموتِ في أمرٍ عظيمِ [3]

ويقول في البيت الثاني: إذن فالناس فريقان عند الحرب، فريقٌ قلبه صُنِع من الطين وشُوي بالنار فصار فخَّارًا سهل الكسر، وفريق قلبه مقدود من الحجر ومقتطع منه، فلا يمكن تحطيم هذا القلب ولا إخافته لشدة بأسه وشجاعته.

---

(1) ديوان ربيعة بن مقروم الضبي رحمه الله، تح: تماضر عبد القادر فياض حرفوش، ص44.

(2) ديوان دريد بن الصمة، تح: د. عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة، ص99.

(3) ديوان المتنبي، ص232.

****

أثر العُمر

وقال دريد بن الصمة من البسيط:

إِنَّ السِنينَ إِذا قارَبنَ مِن مِئَةٍ   لَوَينَ مِرَّةَ أَحوالٍ عَلىٰ مِرَرِ [1]

إنَّ عُمرَ المرء عندما يُقارب المئة من السنوات فإنَّه يُمِرُّ ويَعقِد المزيد من العُقد في حبال المرء أي يزيد الأمور سوءًا والطين بِلَّةً والمشكلات -التي يُعاني منها المرء- صعوبةً.

وقريب منه قول نهشل بن حرِّي بن ضَمرة الدارمي من الوافر:

فَأَفنَتني السُنونَ وَلَيسَ تَفنىٰ   وَتَعدادُ الأَهِلَّةِ وَالمُحاقِ [2]

يقول: فأفناني الدهر ولا يفنىٰ الدهر، وتعداد وتلاحق أطوار القمر، وقريب من هذا المعنىٰ قول الجاهلي الرَّبيع بن ضَبُع الفزاريّ من الوافر:

إِذا عاشَ الفَتَىٰ مائتَينِ عامًا   فَقَد ذَهَبَ اللذَاذَةُ وَالفَتاءُ [3]

أي إذا عاش الفتىٰ مئتين عامًا فقد ذهبت المتعةُ والشباب من حياته، ويقول زهير بن أبي سلمىٰ من الطويل:

سَئِمتُ تَكاليفَ الحَياةِ وَمَن يَعِش   ثَمانينَ حَولًا -لا أَبا لَكَ- يَسأَمِ [4]

****

(1) ديوان دريد بن الصمة، ص105.

(2) الحماسة، ابن البحتري، ص201.

(3) شرح أدب الكاتب، الجواليقيّ، تح: د. طيبة حمد بودي، مطبوعات جامعة الكويت، 1995م، ص217-218.

(4) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص110.

اليأس الحسَن

قال حُميد بن ثور الهلالي رضي الله عنه من الطويل:

وفي الحقِّ منجاةٌ وفي اليأس راحةٌ.... وفي الأرضِ عن دار المَذلَّةِ مذهبُ [1]

ففي الحق نجاةٌ، وفي اليأس عمَّا لا تستطيع أن تناله النفس من الأمور الجسيمة راحةٌ، وقريب منه قول الجاهلي هدبة بن خشرم من الطَّويل:

وَبَعضُ رِجاءِ المَرءِ ما لَيسَ نائِلًا عناءٌ وَبَعضُ اليأَسِ أَعفىٰ وأَروَحُ [2]

"فإنَّ تمنّي المرء الأمورَ المستحيلةَ يتعبه، واليأس عنها يجعل النّفسَ تسلو وتنسىٰ وذلك خيرٌ لها". [3]

وقريب منه قول الجاهلي بشر بن أبي خازم من المنسرح:

أَيَّتُها النَّفسُ اِجمِلي جَزَعا إِنَّ الَّذي تَحذَرينَ قَد وَقَعا [4]

"إنّ المرءَ إذا وقع ما يخشاه تحرّر من ضغوط الخشيةِ والفقدان وعندئذ يستطيع أنْ يخطّطَ ويبدأَ من جديدٍ". [5]

---

(1) ديوان حُميد بن ثور الهلالي رضي الله عنه، تح: د. محمد شفيق بيطار، دار الكتب الكتب الوطنية، أبو ظبي، الطبعة الأولى، 2010م، ص 252.

(2) شعر هُدبة بن الخشرم العُذريّ، تح: د. يحيى الجبوريّ، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، 1986م، ص88.

(3) موسوعة اللآلي من شعر الحكمة في العصر الجاهلي، عبد القادر زينو، ص32.

(4) ديوان بشر بن أبي خازم، شرح: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1996م، ص94.

(5) موسوعة اللآلي من شعر الحكمة في العصر الجاهلي، عبد القادر زينو، ص13.

التوسط والزهد

وقال حُميد بن ثور الهلاليّ رضي الله عنه من الطويل:

وإنَّ قرابَ البَطن يكفيكَ ملأَهُ ويكفيكَ سَوءاتِ الأُمورِ اجتنابُها [1]

إنَّ مقاربتك لملئ بطنك تغني عن ملئه بأجمعه، وهذا مأخوذ من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما ملأَ آدميٌّ وعاءً شرًّا مِن بطنٍ، بحسبِ ابنِ آدمَ أُكُلاتٌ يُقمنَ صُلبَهُ، فإن كانَ لا محالةَ فثُلثٌ لطعامِهِ وثُلثٌ لشرابِهِ وثُلثٌ لنفَسِهِ" [2]، وبما أنَّ كثرة الطعام مضرةٌ وللتخلص من الضرر يجب التقليل من الطعام؛ فكذلك تتخلص من الأمور القبيحة والخلال السيئة بمجرد اجتنابها.

****

أثر العادة

وقال حُميد بن ثور الهلاليُّ رضي الله عنه من الطويل:

فإنِّي امرؤٌ عَودتُ نَفسِيَ عادةً وَكُل امرئٍ جارٍ عَلى ما تَعوَّدا [3]

ومنه أخذ المتنبي قوله من الطويل:

لكلِّ امرئ من دهره ما تعوَّدا وعادة سيف الدولة الطَّعن بالعِدى [4]

---

(1) ديوان حُميد بن ثور الهلالي رضي الله عنه، تح: د. محمد شفيق بيطار، ص255.

(2) صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، رقم الحديث: 2380، ص555.

(3) ديوان حُميد بن ثور الهلالي رضي الله عنه، تح: د. محمد شفيق بيطار، ص272.

(4) ديوان المتنبي، ص370.

فالشاعران يؤكدان أنَّ العادة من الصعب أن تنفك عن الإنسان فهي تلتصق به حتى تُصبحَ له خُلقًا، وقالوا إنَّه من أجل تكوين عادة يجب الاضطلاع بها لمدة لا تقل عن واحدٍ وعشرين يومًا وذلك لصعوبة تكوين العادات واكتسابها.

****

التفطُّن للأمور

وقال حُميد بن ثور الهلاليّ رضي الله عنه من الطويل:

أشبِّهُ غِبَّ الأمر ما دامَ مُقبلًا... ولكنَّما تِبيانُهُ في التدَبُّرِ [1]

إنَّه تلتبس عليَّ عاقبة الأمر عند إقباله، ولكنَّ جلاءه ووضوحه عند ذهابه ومضيِّه، وفي هذا قال الحسن البصري: «الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالِم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل»[2]

****

حفَّت الجنة بالمكاره، وحفَّت النار بالشهوات

وقال حميد بن ثور الهلالي رضي الله عنه أيضًا من الطويل:

1. قَضىٰ اللهُ في بَعضِ المَكارِهِ لِلفَتىٰ   بِرُشدٍ وَفي بَعضِ الهَوىٰ ما يُحـاذِرُ
2. وأَعــلَمُ أَنـي إِن تغطّيــتَ مرَّةً   مِنَ الدَّهرِ مَكشوفٌ غِطائي فَناظِرُ[3]

(1) ديوان حُميد بن ثور الهلالي رضي الله عنه، تح: د. محمد شفيق بيطار، ص275.

(2) التاريخ الكبير، البخاري، تح: هاشم الندوي وآخرون، دائرة المعارف العثمانية، ج 2، ق 2، ص232.

(3) ديوان حُميد بن ثور الهلالي رضي الله عنه، تح: د. محمد شفيق بيطار، ص283.

يقول في البيت الأول: إنَّ الله قد حكم أنَّ في بعض ما يكرهه الناس يكمن الهدىٰ والخير والسداد والحكمة، وفي بعض ما يحبه الناس يكمن الضلال والشر والضياع، ونلحظ هنا في هذا البيت مؤثرات قرآنية، وكأنَّ معنىٰ هذا البيت مأخوذ من الآية الكريمة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:216).

وفي البيت الآخر تناص مع الآية الكريمة التي تقول: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق:22) والمعنىٰ أنني حتىٰ لو غفلت عن الموت وعن البعث بعده فإنِّني سأُبعث وأعاين الآخرة جهارًا ببصرٍ حادٍ.

الأفعال مُنبِئة

وقال حميد بن ثور الهلالي رضي الله عنه أيضًا من الطويل:

إِذا لَمْ يُحَدِّثْكَ الفَتىٰ عَن بَــــلائِهِ ... أَتاكَ بِما يُبلي الفَتىٰ مَن يُعاشِرُه

وَزايَلَ عِندَ المَوتِ ما كانَ يَحتَوي ... كَأَن لَمْ يَكُن تُلقىٰ عَليهِ شَراشِرُه [1]

يقول في البيت الأول: إذا لم يحدِّثك المرء عمَّا عمل من خير أو شرٍّ؛ أخبرك بما يعمل الفتىٰ من خير أو شر من يعيش معه.

ويقول في البيت الآخر: سيفارق كلُّ إنسان ما جمعه من مال ومتاع وأثاث وزروع وزوجة "كأن لم تُلقىٰ شراشره -أي محبته- علىٰ ما كان يحتوي من هذه الأشياء"

****

(1) ديوان حُميد بن ثور الهلالي رضي الله عنه، تح: د. محمد شفيق بيطار، ص287.

الهم ثقل

وقال حميد بن ثور الهلالي رضي الله عنه أيضاً من البسيط:

وصاحبُ الهمِّ ثِقْلٌ لا حَويلَ له .... حتىٰ يُشيِّعَه قوداءُ عُبسورُ

إنَّ صاحب الهم كالثقل، فهو كالشيء الجامد الذي لا حيلة له، ولا حول، ولا قوة، إلىٰ أن يرافقه من يعينه علىٰ همِّه والقوداء هي الناقة طويلة العنق والظهر، والعُبسور هي الضخمة القوية، وإنما ضرب هاتين الصفتين مثلًا للناقة للدلالة علىٰ أنَّ الهم يُثقل صاحبَه جداً.

****

طبائع الرجال

وقال حميد بن ثور الهلالي رضي الله عنه أيضًا من الطويل:

لكل امرئٍ يا أمَّ عمرٍو طبيعةٌ... وتَفْرِقُ ما بين الرجالِ الطبائعُ [1]

إنَّ الطبائع والسجايا والأخلاق والعادات هي التي تميز بين الناس، وفي هذا قال المتنبي من البسيط:

لَولا المَشَقَّةُ سادَ الناسُ كُلُّهُمُ الجودُ يُفقِرُ وَالإِقدامُ قَتّالُ [2]

****

(1) ديوان حُميد بن ثور الهلالي رضي الله عنه، تح: د. محمد شفيق بيطار، ص318.

(2) ديوان المتنبي، ص490.

البخل خير من العطاء!

وقال حميد بن ثور الهلالي رضي الله عنه أيضًا من الكامل:

وَالبُخلُ خَيرٌ مِن عَطاء رائِثٍ يأتيكَ بَعدَ تَبرّضٍ وَسؤالِ [1]

أن يبخل أحدٌ عليَّ أحبُّ إلي من عطائه المتمهِّل المتريِّث الذي يأتي قليلًا إثر قليلٍ، وبعد ذلٍّ السؤال.

****

الأمانة اختبار

وقال حميد بن ثور الهلالي رضي الله عنه أيضًا من الطويل:

أمنّيكما إنّ الأمانة من يخن.... بها يحتمل يومًا من الله مأثمًا [2]

إنَّني أختبركما بتحميلكما الأمانة، ومن يخن الأمانة فستكون عليه يومَ القيامة وزرًا وإثمًا وندامة.

****

توكَّل على الله

وقال حفيد امرؤ القيس صاحب المعلقة، امرؤ القيس بن عابس الكندي رضي الله عنه من أحذ الكامل:

وَاللهُ أَنجَحُ ما طَلَبتُ بِهِ وَالبِرُّ خَيرُ حَقيبَةِ الرَحلِ

(1) ديوان حُميد بن ثور الهلالي رضي الله عنه، تح: د. محمد شفيق بيطار، ص341.

(2) المصدر السابق نفسه ، ص 382.

الله تعالىٰ هو الأقدر علىٰ الإعانة والظفر بما يُراد، والخير والأعمال الصالحة خير ما يُتزوَّد به ويُنهل منه، وفي هذا تناص مع الآية الكريمة التي تقول: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ (البقرة:197).

****

هاذم اللذات

وقال امرؤ القيس بن عابس الكندي رضي الله عنه من الطويل:

دَنَت وَظِلالُ المَوتِ بَيني وَبَينَها وَجادَت بِوَصلٍ حينَ لا يَنفَعُ الوَصلُ

أَلا لا يَضُرُّ المَرءُ طالَت ديــــونهُ -إِذا وَجَبَت حَوباؤُهُ- الخُلفُ وَالمُطلُ (1)

يقول في البيت الأول: اقتربت مني التي أحبها وأنا علىٰ فراش الموت بعد أن كانت معرضةً عني جافية إياي، ولكن ما نفع هذا الوصل والحب الذي جاء متأخرًا. ويقول في البيت الثاني: لا يضر الإنسان أن تكثرُ ديونه ويتأخر ويماطل في سدادها إذا حضره الموت؛ لأنَّ الموت ينهي كلَّ شيء في هذه الحياة الدنيا.

****

دفين الأخلاق

وقال أبو الطمحان القيني من الطويل:

إِذا كانَ في صَدرِ ابنِ عَمِّكَ إِحنَةً فَلا تَستَثِرها سَوفَ يَبدو دَفينُها

وَإِن حَمَأَةُ المَعروفِ أَعطاكَ صَفوَها فَخُذ عَفوَهُ لا يَلتَبِس بِكَ طينُها (2)

(1) تاريخ دمشق، ابن عساكر، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، 1995م، ج9، ص253.

(2) الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، ج13، ص11.

يقول الشاعر في البيت الأول: إذا كان في صدر ابن عمك إضمارٌ للحقد والبغض والشنآن، فلا تستثرها فسوف تظهر الأحقاد المدفونة، ودفين على وزن الصفة المشبهة وتعني اسم المفعول مدفون.

ويقول في البيت الثاني: وإنَّ أعطاك ابن عمِّك صفوة الطين النتن، فخذ الزائد من حاجة أخيك فقط ولا تزد حتى لا تتلطخ بطين المِنَّة، ويقول عمرو بن الأهتم رضي الله عنه حول معنى البيت الأول أيضًا من الطويل:

1. إِذا المَرءُ لَم يُحبِبـــكَ إِلّا تَكَرُّهًا   بَدا لَكَ مِن أَخلاقِهِ مـــا يُغالِبُ

2. فَدَعهُ وَصَرمُ الكُلِّ أَهونُ حادِثٍ   وَفي الأَرضِ لِلمَرءِ الجَليدِ مَذاهِبُ [1]

يقول: إذا لم يحببك المرء إلا وهو متكلِّف لهذا الحب، كارهٌ لك، فسيبدو لك من أخلاقه ما يخفي في صدره، فإذا حدث ذلك وأظهر ما يخفي في نفسه من أخلاق خبيثة، فدعه فإنَّ مقاطعة جميع الناس لك أمرٌ هيِّن؛ لأنَّ في الأرض للمرء قوي النفس أماكن كثيرةٌ يستطيع الذهاب إليها.

****

الصمت من حُسن السمت

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من الطويل:

عَجِبتُ بِإِزراءِ العَيِـيِّ بِنَفسِهِ   وَصَمتِ الَّذي قَد كانَ بِالقَولِ أَعلَما

وَفي الصَّمتِ سَترٌ لِلعَيِيِّ وَإِنَّما   صَحيفَةُ لُبِّ المَـــــــرءِ أَن يَتَكَلَّما [2]

---

(1) شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم، تح: سعود محمود عبد الجابر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1984م، ص80.

(2) ديوان أبو بكر الصديق رضي الله عنه، تح: محمد شفيق البيطار، ص50.

يقول في البيت الأول: عجبت لتحقير ثقيل النطق عديم الفصاحة نفسَه عن طريق الكلام فيما لا يُحسن، وعجبت لصمت الخبير العليم.

ويقول في البيت الثاني: في الصمت سترٌ للعاجز عن البيان والإفصاح، والشيء الذي يُفصح عن مكنونات المرء ويُعرب عن خبيئات نفسه هو كلامه، وفي هذا قال Abraham Lincoln: ''خيرٌ لك أن تظلَّ صامتًا ويظنَّ الآخرون أنّك أبله، من أن تتكلم فتؤكد تلك الظُّنون!!''

****

العبَث والقصْد

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه أيضًا من الطويل:

وَلا تَعبَثوا فيما تُريدونَ قَصدَهُ   فَلَن يُرشِدَ الرَحمنُ قَصدًا لِعابِثِ [1]

لا تلعبوا وتحيدوا عما تقصدونه، فمن لم يمشي على الطريق فلن يهتدي، وقريب من هذا الحِجاج المنطقي قول أبي العتاهية:

ترجو النجاةَ ولم تسلُك مسالكها   إنَّ السفينةَ لا تجري على اليَبَس [2]

****

الموت

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه أيضًا من الرجز:

كُلُّ اِمرِئٍ مُصَبَّحٌ في أَهلِهِ   وَالمَوتُ أَدنى مِن شِراكِ نَعلِهِ [3]

---

(1) ديوان أبي بكر الصديق رضي الله عنه، تح: محمد شفيق البيطار، ص62.

(2) ديوان أبي العتاهية، دار بيروت، بيروت، 1986م، ص230.

(3) ديوان أبي بكر الصديق رضي الله عنه، تح: محمد شفيق البيطار، ص70.

كل امرئ سيغلب على موته أن يموت فجرًا بين أهله، والموت أقرب إليه من رباط نعله، وقال رضي الله عنه أيضًا حول هذا المعنى من الوافر:

وَما مِن مُمَهَلٍ في الأَرضِ إِلّا سَيَفجَأُ مَهلَهُ حَتفٌ زُؤامُ [1]

فإنَّ من لم يمت بسبب المهلة التي أعطاها الله والتي تتضمن المزيد من الحياة فستفجؤه المنية العاجلة المُجهزة عندما يحين أوانها، وقال أبو خراش الهذلي من الطويل:

وَكُلُّ اِمرِئٍ يَومًا إِلى المَوتِ صائِرُ قَضاءً إِذا ما حانَ يُؤخَذُ بِالكَظْمِ

وَما أَحَــدٌ حَيٌّ تَأَخَّرَ يَومُــهُ بِأَخلَدَ مِمَّن صارَ قَبلُ إِلى الرَجـمِ

سَيَأتي عَلى الباقينَ يَـومٌ كَما أَتى عَلى مَن مَضى حَتمٌ عَلَيهِ مِنَ الحَتمِ [2]

يقول الشاعر في البيت الأول: إنَّ كلَّ شخص سيموت يومًا ما، وهذا قرار وقضاء من الله عزَّ وجل، وعند يحين هذا اليوم يأخذ الله بكظَمه والكظَم مخرج النفَس فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقولُ اللهُ تعالى: يا ابنَ آدمَ، ثِنتانِ لم يَكُن لَكَ واحدةٌ منهما: جَعلتُ لَكَ نصيبًا في مالِكَ حينَ أخذتُ بِكَظمِكَ، لأطَهِّرَكَ بِهِ وأزَكِّيَكَ، وصلاةُ عبادي عليكَ بعدَ انقِضاءِ أجلِكَ" [3]، أي لقد جعل الله الوصية للميت ليطهِّر به نفسه ويرفع درجاته، والأمر الثاني الذي جعله الله لعباده بعد موته دعاء الناس للميت بعد موته، وأصل الكظْم الوارد في البيت هو الكظَم وسُكِّن للضرورة الشعرية. ويقول في البيت الثاني: إنَّ لا أحد يُنسئ له في أجله ويؤخر فيه إلا كان خلوده كخلود من مات قبله، ومضى إلى القبر.

---

(1) ديوان أبي بكر الصديق رضي الله عنه، تح: محمد شفيق البيطار، ص123.

(2) ديوان الهذليين، الدار القومية، القاهرة، 1965م، ج2، ص153.

(3) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، تح: أحمد شاكر، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الثانية، 2005م، ص216.

ويقول في البيت الثالث: سيأتي يوم على من بقي ممن لم يمت، كما أتى يوم الموت على من مات، ومجيء هذا اليوم محتَّمٌ مؤكدٌ مقضي، ولاحظ معي كلمة حتّم ساكنة الوسط وكأنّها عالقة بين مخالب صقر، فهذا السكون يشي بالقوة والتأكيد المطلق، أما أبو ذؤيب الهذلي رحمه الله فيقول من الكامل:

1	وَإِذا المَنِيَّةُ أَنشَبَت أَظفارَها	أَلفَيتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنفَعُ
2	لا بُدَّ مِن تَلَفٍ مُقيمٍ فَاِنتَظِر	أَبِأَرضِ قَومِكَ أَم بِأُخرى المَصرَعُ؟
3	ولقد أرى أنَّ البكاء سفاهةً	ولسوف يولع بالبُكا من يُفجع
4	وَالنَّفْسُ راغِبَةٌ إِذا رَغَّبتَها	فَإِذا تُرَدُّ إِلى قَليلٍ تَقنَعُ
5	كم من جميع الشمل ملتئم الهوى	باتوا بعيش ناعم فتصدعوا [1]
6	وَالدَهرُ لا يَبقى عَلى حَدَثانِهِ	في رَأسِ شاهِقَةٍ أَعَزُّ مُمَنَّعُ
7	وَالدَهرُ لا يَبقى عَلى حَدَثانِهِ	جون السراة له جدائد أربع [2]
8	فغبرتُ بعدهمُ بعيشٍ ناصبٍ	وإخال أني لاحقٌ مُستتبَع [3]

يقول:

1. وَإِذا المَنِيَّةُ أَنشَبَت أَظفارَها   أَلفَيتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنفَعُ

شبَّه أبو ذؤيب المنية بحيوان له مخالب، وقد وضع هذه المخالب في الفريسة وهي من جاء أجله، فإذا أدخلت المنية أظفارها في الفريسة لم تنفع التمائم ولا العِوذ.

2. لا بُدَّ مِن تَلَفٍ مُقيمٍ فَانتَظِر   أَبِأَرضِ قَومِكَ أَم بِأُخرى المَصرَعُ؟

(1) ديوان الهذليين، ج:1، ص3.

(2) المصدر السابق نفسه، ص4.

(3) ديوان أبو ذؤيب الهذلي، تح: أنطونيوس بطرس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 2003م، من صفحة 141 حتى 146.

لا بد من الهلاك والموت؛ لذا يجب أن نتوقَّع الموتَ وننتظرَه فإنَّنا لا نعلم متىٰ سيحط وأين سيحط الموت رحاله علينا، وهذا المعنىٰ مأخوذ من الآية الكريمة: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٌ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ (لقمان:34).

3. ولقد أرىٰ أنَّ البكاء سفاهةً ولسوف يولع بالبُكا من يُفجع

أحيانًا أظنُّ أنَّ البكاء علىٰ الميت قلةُ عقلٍ، ولكن من طباع الإنسان السوي البكاءُ علىٰ من فقده من الأموات؛ لذا يصعب التخلص من هذه الخَلَّة.

4. وَالنَفسُ راغِبَةٌ إِذا رَغَّبتَها فَإِذا تُرَدُّ إِلىٰ قَليلٍ تَقنَعُ

والنفس الشهوانية كالحيوان كيفما عوَّدَّته تعوَّد، أو هي كالطفل بتعبير البوصيري، إذ يقول من البسيط:

والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ علىٰ حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم [1]

وتنبَّه أمية بن أبي الصلت إلىٰ المرونة التربوية لدىٰ الأطفال والتصلُّب التربوي لدىٰ الكبار فقال من البسيط:

إِنَّ الغُلامَ مُطيعٌ مَن يُؤَدِّبُهُ وَلا يُطيعُكَ ذو شَيبٍ بِتَأديبِ [2]

إنَّ الغُلام حديث السن يُطيع من يحاول تأديبه، ولكنَّ الشيخ الكبير تتحجَّر لديه مرونة التغيير فلا يستطيع التغيير، وفي هذه الحكمة تحليلٌ نفسيٌّ عميق وقديم جدًا في الوقت نفسه، ويصوغ الشاعر الجاهلي الربيع بن ضَبُع الفزاري المعنىٰ نفسه من الطويل:

(1) بردة المديح المباركة، البوصيري، منشورات الدار العالمية، بيروت، 1993م، ص14.

(2) ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع: بشير يموت، ص18.

هِيَ النَّفسُ ما منّيّتَهَا تاقَ شَوقُها   وَإلا فَنَفسٌ أويسَتْ فَتَسلَّتِ[1]

5. كم من جميع الشمل ملتئم الهوىٰ   باتوا بعيشٍ ناعم فتصدعوا

كم من أناس كانوا مجتمعي الشمل متوحدةً أهواؤهم، وناموا وهم فرحين متلذذين بالنعيم، واستيقظوا وهم متفرقين بموت أحدهم.

6. وَالدَّهرُ لا يَبقىٰ عَلىٰ حَدَثانِهِ   في رَأسِ شاهِقَةٍ أَعَزُّ مُمَنَّعُ

والدهر لا يبقىٰ بعد مصائبه ورزاياه أيُّ أحدٍ ولو كان في رأس جبلٍ عزيز منيع، وهذا البيت فيه تناصٌّ مع الآية الكريمة: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ (النساء:78)، وفي هذا يقول الشاعر المخضرم الأعشىٰ من المتقارب:

وما إنْ أرىٰ الدهرَ في صرفهِ   يغـــادرُ من شارخٍ أو يفنْ

فَهَل يَمنَعَنّي اِرتِيادي البِلا   دَمِن حَذَرِ المَوتِ أَن يَأتِيَنْ[2]

يقول إنَّني أرىٰ الدهر في مصائبه ونوازله لا يترك شابًا ولا شيخًا كبيرًا، ثم يتساءل مستنكرًا هل يمنعني تجوالي في البلاد والتردد من بلد إلىٰ بلد الموتَ من أن يأتيني؟!.

7. وَالدَّهرُ لا يَبقىٰ عَلىٰ حَدَثانِهِ   جون السراة له جدائد أربع

ولا يبقىٰ بعد مصائب الدهر قائد قبيلة الحمير الوحشية السود، هذا القائد الذي له أربع من الأتان.

8. فغبرتُ بعدهمُ بعيشٍ ناصبٍ   وإخال أنِّي لاحقُ مُستتبَع

---

(1) التيجان في ملوك حِميَر، وهب بن منبه، تح: مركز الدراسات للأبحاث اليمنية، صنعاء، الطبعة الثانية، 1979م، ص130.

(2) ديوان الأعشى الكبير، تح: د. محمد الحسين، مكتبة الآداب، جماميزت، ص15.

فبقيت بعد من فقدتهم من الأحباء في عيش مُتعب شاقٍ، وأظن بل أعلم أنَّني لاحقٌ بمن فقدت، وملاحَق من الموت.

****

من الصفات التي يجب أن يتحلى بها الشباب

وقال أبو ذؤيب الهذلي رحمه الله أيضًا من المتقارب:

وَمِن خَيرِ ما عَمِلَ الناشِئُ الـ ــمُعَمَّمُ خِيرٌ وَزَندٌ وَرِيُّ

وَصَبرٌ عَلىٰ حَدَثِ النائِباتِ وَحِلمٌ رَزينٌ وَقَلبٌ ذَكِيُّ [1]

يقول إنَّ من خَير صفات الشاب الذي يلجأ العامةُ إليه أن يكون ذا خِيرٍ أي أدب وفضلٍ، وليس المقصود بالزند الوري مجرد القدرة علىٰ إشعال النار، وإنما كناية عن الكرم، ومن الصفات التي يجب أن يتصف بها الشاب أن يكون ذا صبرٍ علىٰ ما يقع عليه من المصائب العظيمة المؤثرة، وذا حلم ووقورٍ عاقلٍ، وذا قلبٍ مكتمل النمو ومشتد النمو.

****

وصايا أبو ذؤيب الهذلي الثمينة

قال أبو ذؤيب الهذلي رحمه الله من المتقارب أيضًا:

1. فَدَع عَنكَ هــذا وَلا تَغتَبِط لِخَيرٍ وَلا تَتَبــأَّس لِضُر
2. وَخَفِّض عَلَيكَ مِنَ النائِباتِ وَلا تَكُ مِنهـــا كَئيبًا بِشَر
3. فإنَّ الـــرجال إلىٰ الحادثـا تِ فاستيقِنَنَّ أحبُّ الجزَر [2]

(1) ديوان أبو ذؤيب الهذلي، تح: أنطونيوس بطرس، ص214.

(2) المصدر السابق نفسه، ص102.

يقول الشاعر في البيت الأول فدع عنك ذكر الخمر، ولا تفرح بخير جاءك ولا تحزن وتهزَل لمصيبة نزلت بك، وفي هذا البيت تناص من الآية الكريمة التي تقول: " لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ" (الحديد:23).

ويدور الشاعر حول المعنى نفسه في البيت الثاني فيقول: لا تجزع عند حلول المصائب عليك، ولا تكتئب فيظهر على وجهك الحزن.

ويبين الشاعر السبب لوصاياه الثمينة هذه فيقول: إنَّ الرجالَ أحبُّ (الولائم) إلى النازلات والحوادث والمصائب.

****

الفرج بعد الشدة

وقال أبو ذؤيب الهذلي رحمه الله من الطويل:

1. فإنِّي صبرت النَّفْس بعد ابن عنبسٍ وقد لَجَّ من ماءِ الشؤون لجوج
2. لِأُحسَبَ جَلــــدًا أَو لِيُنبَأَ شامِتٌ وَلِلشَّرِّ بَعدَ القــارِعاتِ فُروجُ

يقول في البيت الأول: فإنِّي حبست النَّفْس وأخلصتها لابن عنبس بعد موته، وقد ذرفت عيناي الدموع الشِّراع عليه.

ويقول في البيت الثاني: إنَّ السبب الذي دفعني للصبر وللوفاء للفقيد هو أن يحسبني الناس كثير التحمل والصبر، أو ليُخبَرَ شامت بي فيُغاظ، ثم نصل إلى الحكمة في شطر البيت الآخر التي تقول: إنَّ للشر الذي يصحب المصائب والدواهي انكشافٌ وزوالٌ ولو بعد حين، وفي هذا المعنى قال الشافعي من الكامل:

ولَرُبَّ نازلةٍ يضـــيق بها الفتى ذرعًا وعند الله منها المخرجُ

ضاقت فلما استحكمَت حلقاتُها   فُرِجَت وكنتُ أظنُّها لا تُفْرَج [1]

وهناك كتاب كاملٌ يتحدث عن اليسر بعد العسر، وعن الفرج بعد الشدة، بعنوان: "الفرَج بعد الشدة" للقاضي التنوخي.

****

منايا القول

وقال أبو ذؤيب الهذلي رحمه الله من الطويل:

1. فَلا تُتبعِ الأَفعىٰ يَدَيكَ تَنوشُها   وَدَعها إِذا ما غَيَّبَتها سَفاتُها [2]
2. وَأَطفِىء وَلا توقِد وَلا تَكُ مِحضَأً   لِنارِ العُداةِ أَن تَطيرَ شَكاتُها
3. فَإِنَّ مِنَ القَولِ الَّتي لا شَوىٰ لَهَا   إِذا زَلَّ عَن ظَهرِ اللِّسانِ اِنفِلاتُها [3]

يقول في البيت الأول لا تلحق بيديك تمدهما إلى الأفعى لتتناولها، ودع هذه الأفعى إذا ما غابت في جحرها في التراب، ويقصد ألا تتبع الشَّر وأصحابَه عندما هم أعرضوا عن أذيتك، لأنَّك إذا تفاعلت معهم فسيضرونك وذلك للشر الكامن فيهم، وفي هذا قال مغلس بن لقيط من الطَّويل شطر بيت:

ويُنجِيكَ مِن عَارِ الذُّنُوبِ اجتِنَابُهَا [4]

ويقول أبو ذؤيب الهذلي رحمه الله في البيت الثاني: أطفئ ولا توقد ولا تكن العود الذي تُوقَد به النار، ونلحظ هنا النهي ثلاث مرات ولكن باستخدام ثلاث مترادفات مختلفة،

---

(1) ديوان الإمام الشافعي، تح: د. عبد المنعم خفاجي، ص64.

(2) ديوان الهذليين، ج1، ص162.

(3) المصدر السابق نفسه، ج1، ص163.

(4) حلية المحاضرة، الحاتميّ، تح: د. جعفر الكتّاني، دار الرشيد، العراق، 1979م، ج1، ص265.

وأضاف إلى النار العُداةَ وهم الأعداء المتعدُّون والمُعتدون على الآخرين، فقال نار العُداة وحذَّر من استعار (لهب) النار وهو (شتائم الأعداء)، وهذا من جميل التصوير.

ويقول في البيت الثالث: إنَّ من الأقوال ما يؤدي إلى مقتل المرء إثرَه إذا نطق به زَلَّةً.

****

طول العهد يُنسي

يقول أبو كبير الهذلي رضي الله عنه من الكامل:

فَإِذا وَذلِكَ لَيسَ إِلّا حينَهُ وَإِذا مَضى شَيءٌ كَأَنَّ لَم يُفعَلِ [1]

يقول في الشطر الآخر: إنَّ الزمان كفيل بتعفية الآثار الحادة للأفعال السيئة، والآثار الجميلة والجليلة للأفعال الحسنة وعن هذا قال لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الكامل:

بَل كُلُّ سَعيِكَ باطِلٌ إِلّا التُّقى فَإِذا اِنقَضى شَيءٌ كَأَن لَم يُفعَلِ [2]

****

الموت بعزَّة

وقال الأعشى من المتقارب:

1. أَذاقَتهُمُ الحَربُ أَنفاسَها وَقَد تُكرَهُ الحَربُ بَعدَ السَّلَم [3]
2. فَموتوا كِرامًا بِأَسيافِكُم وَلَلمَوتُ يَجشَمُهُ مَن جَشِم

(1) ديوان الهذليين، ج2، ص100.

(2) ديوان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، ص126.

(3) ديوان الأعشى الكبير، تح: د. محمد الحسين، ص 39.

3. وَلَلمَوتُ خَيرٌ لِمَن نالَهُ   إِذا المَــرءُ أُمَّتُهُ لَم تَـــــدُم[1]

يقول في البيت الأول: لقد جرَّعتهم الحرب جرعات منها، وإنَّ الحرب لتُكرَه بعد السلام.

ثم يقول في البيت الثاني: فموتوا وأنتم كرامٌ تقاتلون بأسيافكم، ولا يركب الموت والأخطار إلا الشجاع.

ثم يقول في البيت الأخير: إنَّ الموت خير من العيش بِذُلٍ بين أمةٍ ذليلة.

****

غُراب الشباب

وقال الأعشى من البسيط:

وَما طِلابُكَ شَيئًا لَستَ مُدرِكَهُ   إِن كانَ عَنكَ غُرابُ الجَهلِ قَد وَقَعا [2]

غُراب الجهل: غُراب الشباب، والجهالة أكثر ما تكون في الشباب بخلاف الكهولة والشيخوخة اللتين تقترنان بالحكمة، وكنى عن الشباب بالغراب لأنَّ الغراب لا يشيب، وطار غرابه أي شاب وشاخ، فيصبح معنى البيت: وما كثرة طلبك شيئًا لا تستطيع إدراكه نافعًا ولا مجدٍ، إن كان طار غرابك أي شخت، وفي الحض على الاستفادة من الشباب روي عَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا قَوله: قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم لرَجُلٍ وَهُوَ يعظه: "اغتنم خمْسًا قبلَ خمسٍ شبابكَ قبلَ هرمكَ، وصحتكَ قبلَ سقمكَ، وغناكَ قبلَ فقركَ،

(1) ديوان الأعشى الكبير، تح: د. محمد الحسين، ص43.

(2) المصدر السابق نفسه، ص101.

وفراغكَ قبلَ شغلكَ، وحياتكَ قبلَ موتكَ" [1]؛ لذا يجب أن نستفيد من الشباب قبل أن يطير غرابه، وتنقطع أسبابه.

****

وصايا الأعشى

قال الأعشى من الطويل:

1	سَأوصي بَصيرًا إِن دَنَوتُ مِنَ البِلى	وَصاةَ اِمرِئٍ قاسى الأُمورَ وَجَرَّبا
2	بِأَن لا تَبَغَّ الوُدَّ مِن مُتَباعِدٍ	وَلا تَنأَ عَن ذي بِغضَةٍ إِن تَقَرَّبا
3	فَإِنَّ القَريبَ مَن يُقَرِّبُ نَفسَهُ	لَعَمرُ أَبيكَ الخَيرَ لا مَن تَنَسَّبا
4	مَتى يَغتَرِب عَن قَومِهِ لا يَجِد لَهُ	عَلى مَن لَهُ رَهطٌ حَوالَيهِ مُغضَبا
5	وَيُحطَم بِظُلمٍ لا يَزالُ يَرى لَهُ	مَصارِعَ مَظلومٍ مُجَرًّا وَمَسحَبا
6	وَتُدفَنُ مِنهُ الصالِحاتُ وَإِن يُسِئ	يَكُن ما أَساءَ النارَ في رَأسِ كَبكَبا
7	وَلَيسَ مُجيرًا إِن أَتى الحَيَّ خائِفٌ	وَلا قائِلًا إِلّا هُوَ المُتَعَيَّبا
8	أَرى النّاسَ هَرّوني وَشُهِّرَ مَدخَلي	وَفي كُلِّ مَمشى أَرصَدَ النّاسُ عَقرَبا [2]
9	وَمَن يُطِعِ الواشينَ لا يَترُكوا لَهُ	صَديقًا وَإِن كانَ الحَبيبَ المُقَرَّبا [3]

يقول:

1. سَأوصي بَصيرًا إِن دَنَوتُ مِنَ البِلى وَصاةَ اِمرِئٍ قاسى الأُمورَ وَجَرَّبا

---

(1) الزهد والرقائق لابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص2.

(2) ديوان الأعشى الكبير، تح: د. محمد الحسين، ص113.

(3) المصدر السابق نفسه، ص117.

سأوصي عندما أشعر بقرب الأجل رجلًا يتقبَّل النصح نصائحَ امرئ كابد الأمور وعاين شدَّتها وقسوتها وجرب هذه الأمور، فسأنصحه النصائح التالية.

2. بِأَن لا تَبغَ الوُدَّ مِن مُتَباعِدٍ وَلا تَنأَ عَن ذي بِغضَةٍ إِن تَقَرَّبا

سأوصي هذا اللبيب العاقل ألا يطلب الوُدَّ من متجافٍ متباعدٍ عنه مبغضٍ له، ولكن في الوقت ذاته لا تبتعد عن صاحب البغض إن حاول التقرب إليك.

3. فَإِنَّ القَريبَ مَن يُقَرِّبُ نَفسَهُ لَعَمرُ أَبيكَ الخَيرَ لا مَن تَنَسَّبا

لأنَّ المعنى الحقيقي للقريب والمتقدِّم هو من قرَّب نفسَه وتقدَّم بها بفضل أعماله الجزيلة ويحلف بعُمر أبي المخاطب ويضيف إليه كلمة الخير، ويقول: إنَّ من يُقدِّم نفسه هو المتقدِّم والمقرَّب، ليس من يفخر بنسبه، وفي هذا المعنى قال سيدنا عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه:

كُن اِبنَ مَن شِئتَ واِكتَسِب أَدَبًا يُغنيكَ مَحمُودُهُ عَنِ النَسَبِ

إِنَّ الفَتى مَن يُقولُ ها أَنا ذا لَيسَ الفَتى مَن يُقولُ كانَ أَبي [1]

إن النَّسَب ليس بشيءٍ مهمٍ إذا ما قيس بالأدب فالأدب هو المعيارُ الذي يخفض الإنسان ويرفعه، والذي يرفع الإنسان ويخفضه هو عمله وأدبه ونفسه فالرجلُ والفتى الحقيقي هو الذي يقدِّم نفسه ويقول ها أنا ذا حاضرٌ بأفعالي وأقوالي وليس الفتى الشجاع الذي يقول كان أبي وكان، وقريب من ابتناء المجد قول الحُصين بن الحمام الفزاري من الطويل:

تَأَخَّرتُ أَستَبقي الحَياةَ فَلَم أَجِد لِنَفسي حَياةً مِثلَ أَن أَتَقَدَّما [2]

---

(1) ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، جمع: عبد العزيز الكرم، الطبعة الأولى، 1988م، ص16.

(2) التذكرة الحمدونيّة، ابن حمدون، تح: إحسان عبّاس وبكر عبّاس، دار صادر، بيروت، الطّبعة الأولى، ج2، ص400.

فالشاعر خاف وهو في غمار المعركة من الإقدام محاولًا الابقاء علىٰ نفسه؛ لكنَّه لم يجد لنفسه حياةً مثل الحياةِ وهو عزيز بعد الانتصار في المعركة، أو الحياةِ بعد الموت بخلود مآثره وشجاعته.

4. مَتىٰ يَغتَرِب عَن قَومِهِ لا يَجِد لَهُ عَلىٰ مَن لَهُ رَهطٌ حَوالَيهِ مُغضَبا

إنَّ المرء عندما يهاجر ويغترب عن قومه لا يجد من يغضب لغضبه إذا غضب، أو يهب لنجدته إذا طلب النجدة.

5. وَيُحطَم بِظُلمٍ لا يَزالُ يَرىٰ لَهُ مَصارِعَ مَظلومٍ مُجَرًّا وَمَسحَبا

سيُحطِّم من يهاجرُ الظلمُ؛ إذ سترُىٰ ميتاته مظلومًا مجرورًا ومسحوبًا من الظلم، وجَمَعَ المَصارِع للمبالغة.

6. وَتُدفَنُ مِنهُ الصالِحاتُ وَإِن يُسِئ يَكُن ما أَساءَ النارَ في رَأسِ كَبكَبا

يدفن الناسُ الذين هاجر إليهم المرءُ مآثرَه الصالحةَ وأفعالَه الحميدة، ويُشهرِّوا بأخطائه وإساءاته، حتىٰ تصير إساءته كالنار في أعلىٰ جبل كبكب، وهذا من التشبيه البليغ.

7. وَلَيسَ مُجيرًا إِن أَتىٰ الحَيَّ خائِفٌ وَلا قائِلًا إِلّا هُوَ المُتَعَيَّبا

ولا يستطيع الذي يهاجر إلىٰ قوم آخرين أن يجيرَ أحدًا ويحميه إن أتىٰ إليه خائفٌ، ولا تحدَّث هذا المهاجر بحديث إلا أوجد الناس الذين هاجر إليهم الأخطاءَ والعيوب والمثالب في كلامه.

8. أَرىٰ الناسَ هَرّوني وَشُهِّرَ مَدخَلي وَفي كُلِّ مَمشىً أَرصَدَ الناسُ عَقرَبا

أرىٰ النَّاس عبسوا في وجهي وتجهموا لي، وفضحوني، ووضع الناس لي الأذىٰ في طريقي.

9. وَمَن يُطِعِ الواشينَ لا يَترُكوا لَهُ صَديقًا وَإِن كانَ الحَبيبَ المُقَرَّبا

إنَّ الذي يطيع ويصدِّق الوشاة فلن يتركوا له صديقًا ولو كان هذا الصديق حبيبًا مقربًا.

ومن وصايا الأعشى قوله من الطويل:

1 سَأوصي بَصيرًا إِن دَنَوتُ مِنَ البِلى وَكُلُّ اِمرِئٍ يَومًا سَيُصبِحُ فانِيا

2 بِأَن لا تَبَغَّ الوُدَّ مِن مُتَباعِدٍ وَلا تَنأَ إِن أَمسى بِقُربِكَ راضِيا

3 فَذا الشَنءِ فَاِشنَأهُ وَذا الوُدِّ فَاِجزِهِ عَلى وُدِّهِ أَو زِد عَلَيهِ العَلانِيا

4 وَآسِ سَراةَ الحَيِّ حَيثُ لَقيتَهُم وَلا تَكُ عَن حَملِ الرِّباعَةِ وانِيا

5 وَإِن بَشَرٌ يَومًا أَحالَ بِوَجهِهِ عَلَيكَ فَحُل عَنهُ وَإِن كانَ دانِيا

6 وَإِنَّ تُقى الرَحمَنِ لا شَيءَ مِثلُهُ فَصَبرًا إِذا تَلقى السِّحاقَ الغَراثِيا

7 وَرَبَّكَ لا تُشرِك بِهِ إِنَّ شِركَهُ يَحُطُّ مِنَ الخَيراتِ تِلكَ البَواقِيا

8 بَلِ اللهَ فَاِعبُد لا شَريكَ لِوَجهِهِ يَكُن لَكَ فيما تَكدَحُ اليَومَ راعِيا

9 وَإِيّاكَ وَالمَيتاتِ لا تَقرَبَنَّها كَفى بِكَلامِ اللهِ عَن ذاكَ ناهِيا

10 وَلا تَعِدَنَّ النّاسَ ما لَستَ مُنجِزًا وَلا تَشتِمَن جارًا لَطيفًا مُصافِيا [1]

11 وَلا تَزهَدَن في وَصلِ أَهلِ قَرابَةٍ وَلا تَكُ سَبعًا في العَشيرَةِ عادِيا

12 وَإِن اِمرُؤٌ أَسدى إِلَيكَ أَمانَةً فَأَوفِ بِها إِن مِتَّ سُمّيتَ وافِيا

13 وَجارَةَ جَنبِ البَيتِ لا تَبغِ سِرَّها فَإِنَّكَ لا تَخفى عَلى اللهِ خافِيا

14 وَلا تَحسُدَن مَولاكَ إِن كانَ ذا غِنىً وَلا تَجفُهُ إِن كُنتَ في المالِ غانِيا

15 وَلا تَخذُلَنَّ القَومَ إِن نابَ مُغرَمٌ فَإِنَّكَ لا تَعدَم إِلى المَجدِ داعِيا

16 وَكُن مِن وَراءِ الجارِ حِصنًا مُمَنَّعًا وَأَوقِد شِهابًا يَسفَعُ الوَجهَ حامِيا [2]

(1) ديوان الأعشى الكبير، تح: د. محمد الحسين، ص329.

(2) ديوان الأعشى الكبير، تح: د. محمود إبراهيم محمد الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، ج2، ص215-216.

يقول:

1. سَأوصي بَصيرًا إِن دَنَوتُ مِنَ البِلىٰ   وَكُلُّ اِمرِئٍ يَومًا سَيُصبِحُ فانِيا

سأوصي عاقلًا لبيبًا يستمع لنصيحتي إن اقتربت من الموت، وكل امرئ سيموت يومًا ما ويفنى.

2. بِأَن لا تَأَنَّ الوُدَّ مِن مُتَباعِدٍ   وَلا تَنأَ إِن أَمسىٰ بِقُربِكَ راضِيا

سأوصى هذا العاقل بألا ينتظر الحب والقُرب من متجافٍ عنه، ولا تبتعد عن الشخص إن رضي بصداقتك وودِّك.

3. فَذا الشَنءِ فَاِشنَأهُ وَذا الوُدِّ فَاِجزِهِ   عَلىٰ وُدِّهِ أَو زِد عَلَيهِ العَلانِيا

أبغض من يبغضك، وأحبب من يحبك بقدر حبه لك، بل زد عليه بإعلان حبك له.

4. وَآسِ سَراةَ الحَيِّ حَيثُ لَقيتَهُم   وَلا تَكُ عَن حَملِ الرِّباعَةِ وانِيا

وأعط قادة الحي وأشرافهم المال الكثير وأكرمهم، ولا تكن عن حمل الحِمالة وهي ما يتحملُّه سيد القوم من الديَّات متباطئًا.

5. وَإِن بَشَرٌ يَومًا أَحالَ بِوَجهِهِ   عَلَيكَ فَحُل عَنهُ وَإِن كانَ دانِيا

يقرر الشاعر مبدأ المعاملة بالمثل فيقول: إن أعرض أحدٌ من الناس بوجهه عنك، فأعرض عنه أنت أيضًا حتى لو كان من المقرَّبين منك، ولكن هذا يخالف الإسلام الذي يقول على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم:

"لا يحِلُّ لِمُسلِمٍ أنْ يهجُرَ أخاه فوقَ ثلاثِ ليالٍ يلتقيانِ فيُعرِضُ هذا ويُعرِضُ هذا وخيرُهما الَّذي يبدَأُ بالسَّلامِ" [1]

(1) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان البستي، تح: شعيب الأرنؤوط، رقم الحديث: 5669، ص484.

6. وَإِنَّ تُقىٰ الرَّحمَنِ لا شَيءَ مِثلُهُ   فَصَبرًا إِذا تَلقىٰ السِّحاقَ الغَراثِيا

إنَّ أفضل شيء في الحياة تقوىٰ الله؛ لذا فاصبر ولا تمدنَّ يديك إلىٰ الإثم إن وقعت في الأمور الشاقة وأصل معنىٰ السِّحاق البِعاد، والغراثيا الجائعات، ويقصد إذا وقعت في المصائب والمجاعات.

7. وَرَبَّكَ لا تُشرِك بِهِ إِنَّ شِركَهُ   يَحُطُّ مِنَ الخَيراتِ تِلكَ البَواقِيا

وهذا البيت -إن صحَّت نسبته للأعشىٰ- يدلُّ علىٰ إسلامه ربما، فهو يوصي الناس بالإيمان وعدم الشرك، وفي الشطر الآخر تناص مع الآية الكريمة التي تقول: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1]، والآية الكريمة التي تقول: ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [2]

8. بَلِ اللهَ فَاعبُد لا شَريكَ لِوَجهِهِ   يَكُن لَكَ فيما تَكدَحُ اليَومَ راعِيا

ثم يقول مؤكِّدًا داعيًا إلىٰ الإسلام والتوحيد، بل الله فاعبد وفي هذا تناص مع الآية الكريمة التي تقول: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [3]

9. وَإِيّاكَ وَالمَيتاتِ لا تَقرَبَنَّها   كَفىٰ بِكَلامِ اللهِ عَن ذاكَ ناهِيا

ثم يحذِّر من أكل الميتة التي حرَّمها الإسلام مع جملة ما حرَّمه ونهىٰ عنه فقد قال تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [4]

---

(1) الزمر:65.

(2) الكهف:46.

(3) الزمر:66.

(4) المائدة:3.

10. وَلا تَعِدَنَّ النَّاسَ ما لَستَ مُنجِزًا وَلا تَشتِمَن جارًا لَطيفًا مُصافِيا

فإذا كنت لا تستطيع أن تفيَ بوعدك للناس فلا تَعِد بتاتًا، ولا تسُبَّنَّ الجار اللطيف سليم القلب صافي الود.

11. وَلا تَزهَدَن في وَصلِ أَهلِ قَرابَةٍ وَلا تَكُ سَبعًا في العَشيرَةِ عادِيا

ويغير رأيه حول الود في هذا البيت فيرى أنَّ وُدَّ الأقرباء مهمٌ وضروريٌ جدًا، فلا يجوز الاعتداء على أهل العشيرة والتكبر عليهم، وقد قال في القصيدة السابقة:

بِأَن لا تَبَغَّ الوُدَّ مِن مُتَباعِدٍ وَلا تَنأَ عَن ذي بِغضَةٍ إِن تَقَرَّبا

12. وَإِنَّ اِمرُؤٌ أَسدى إِلَيكَ أَمانَةً فَأَوفِ بِها إِن مِتَّ سُمّيتَ وافِيا

وإن أحدٌ استودعك أمانةً، فلا تنكرها عليه، وتغمطه حقَّه، بل أوف بالأمانة، فإذا لم تكن تريد الأجر من الله فستأخذ جزاءك الدنيوي بثناء الناس عليك، وهذا -طبعًا- مخالفٌ للإسلام فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنَّ أوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يومَ القِيامَةِ عليه رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها، قالَ: فَما عَمِلْتَ فيها؟ قالَ: قاتَلْتُ فِيكَ حتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قالَ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ قاتَلْتَ لأَنْ يُقالَ: جَرِيءٌ، فقَدْ قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ علَى وجْهِهِ حتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ، ورَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ، وعَلَّمَهُ وقَرَأَ القُرْآنَ، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها، قالَ: فَما عَمِلْتَ فيها؟ قالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ، وعَلَّمْتُهُ وقَرَأْتُ فِيكَ القُرْآنَ، قالَ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقالَ: عالِمٌ، وقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقالَ: هو قارِئٌ، فقَدْ قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ علَى وجْهِهِ حتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ، ورَجُلٌ وسَّعَ اللَّهُ عليه، وأَعْطاهُ مِن أصْنافِ المالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها، قالَ: فَما عَمِلْتَ فيها؟ قالَ: ما تَرَكْتُ مِن سَبِيلٍ تُحِبُّ أنْ يُنْفَقَ فيها إلَّا أنْفَقْتُ فيها لَكَ، قالَ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقالَ: هو جَوادٌ، فقَدْ قيلَ،

ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ علَىٰ وجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ في النَّارِ" [1]، فاللهم إنَّا نسألك الإخلاص في القول والعمل والإقرار وفي الإعلان والإسرار.

13. وَجارَةَ جَنبِ البَيتِ لا تَبغِ سِرَّها   فَإِنَّكَ لا تَخفىٰ عَلىٰ اللهِ خافِيا

ولا تفشِ سرَّ جارتك وتنظر إليها، لأنَّ الله (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) [2]، وهذا البيت قريب من بيت عنترة بن شداد الذي يقول:

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي   حتىٰ يواري جارتي مأواها [3]

أي أغض بصري طوال بُدُوِّ جارتي أمامي، إلىٰ أن يخبِّئ جارتي بيتُها.

14. وَلا تَحسُدَن مَولاكَ إِن كانَ ذا غِنىً   وَلا تَجفُهُ إِن كُنتَ في المالِ غانِيا

إياك أن تحسُد صديقك إن كان صاحب مالٍ وسَعة، وأما إذا كنت أنت الغني فلا تجفوه وتعرض عنه.

15. وَلا تَخذُلَنَّ القَومَ إِن نابَ مُغرَمٌ   فَإِنَّكَ لا تَعدَم إِلىٰ المَجدِ داعِيا

يقول: لا تخذلن أحدًا إن ألمَّ به دينٌ، فإنَّه عندما يدعوك لتأدية الدَّين عنه فإنما يدعوك إلىٰ المجد لتكتسبه، وإلىٰ الشرف لتناله بأدائك الدينَ عنه.

16. وَكُن مِن وَراءِ الجارِ حِصناً مُمَنَّعًا   وَأَوقِد شِهابًا يَسفَعُ الوَجهَ حامِيا

(وراء) هنا بمعنىٰ أمام، فيصير المعنىٰ كن أمام الجار كالحصن المنيع، وأوقد النار العظيمة التي تحرق وجه من قصده بسوء لحمايته.

---

(1) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، 1374هـ، رقم الحديث: 1905، ص1514.

(2) غافر:19.

(3) ديوان عنترة بن شداد، الخطيب التبريزي، مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1992م، ص208.

لا تكثر السؤال!

وقال الأعشى من الطويل:

تُسَرُّ وَتُعطى كُلَّ شَيءٍ سَأَلتَهُ   وَمَن يُكثِرِ التَّسآلَ -لا بُدَّ- يُحرَمِ [1]

إنَّك تُسرُّ عندما تُعطى ولكنَّك تغفل أنَّك إن أكثرت من السؤال والتطلب فسيحرمك الناس لا محالة، وفي الشطر الآخر تناص مع قول زهير بن أبي سلمى:

سألنا فأعطيتم وعدنا وعدتم   ومن أكثر التَّسآل يومًا سيُحرمِ [2]

****

العلم عند ذوي الألباب غير خافٍ

وقال الأعشى من الطويل:

تَعالَوا فَإِنَّ العِلمَ عِندَ ذَوي النُهى   مِنَ الناسِ كَالبَلقاءِ بادٍ حُجولُها [3]

لقد جمع الأعشى في هذا البيت بين الحكمة وجمال التصوير، فالتشبيه هنا تمثيلي، فالعلم لدى أصحاب العقل واللب كالبياض الظاهر في قوائم الفرس الأسود.

---

(1) ديوان الأعشى الكبير، تح: د. محمود إبراهيم محمد الرضواني، ج1، ص313.

(2) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص112.

(3) ديوان الأعشى الكبير، تح: د. محمود إبراهيم محمد الرضواني، ج2، ص16.

متى يجوز الخضوع للهوى؟

وقال الأعشى من الطويل:

جِماعُ الهَوىٰ في الرُّشدِ أَدنىٰ إِلىٰ التُّقىٰ   وَتَركُ الهَوىٰ في الغَيِّ أَنجىٰ وَأَوفَقُ

إِذا حاجَةٌ وَلَّتـــــكَ لا تَستَطيعُها   فَخُذ طَرَفًا مِن غَيرِها حينَ تَسـبِقُ

فَذَلِكَ أَدنىٰ أَن تَنالَ جَسيمَـــــها   وَلِلقَصدُ أَبقىٰ في المَســيرِ وَأَلحَقُ [1]

يقول الشاعر في البيت الأول: إنَّ الخضوع للهوىٰ مع السداد والهدىٰ والتوفيق أقرب إلىٰ التقىٰ، وترك الهوىٰ عند الضلال أنجىٰ من المعاصي والمهالك، وأكثر تسديدًا.

ثم يقول في البيت الثاني والثالث: "إذا فاتت منك حاجةٌ ولم تستطع لَحاقها، فابتغِ حاجةً غيرهَا، فإنَّ هذه الطريقة تمكنّك من أن تنالَ جسيمات الأمور، وأقصدُ لجُهدك، وألحقُ". [2]

****

حِكَمُ المستوغر بن ربيعة السعدي التميمي

وقال المستوغر بن ربيعة السعدي التميمي من الطويل:

1 وَمــا كُـــلُّ ذي لُـــبٍّ يُعــاشُ بِعَقلِــهِ   وَلَكِـــن إِذا قـــادَ الأُمـــورَ حَكيمُهـــا

2 بِرَأيِ ذَوي الأَلبابِ في الأَمـرِ يُهتَـدىٰ   وَهَـــل يُـــبرِمُ الآراءَ إِلّا عَليمُهـــا

3 وَقَـد يَتَّقـي المَظلـومُ مِـن ذي ظُلامَـةٍ   بِعَـــيرٍ هُمـــامٍ أَو يُطـــاعُ ظَلومُهـــا

4 وَمـا سَـقَطَت يَومًـا مِـنَ النـاسِ أُمَّـةٌ   إِلىٰ الـــذُّلِّ إِلّا أَن يَســـودَ ذَميمُهـــا

5 وَمــا قَادَهـــا لِلخَـــيرِ إِلّا مُجَـــرِّبٌ   عَلـــيمٌ بِإِقبـــالِ الأُمـــورِ كَريمُهـــا

---

(1) المصدر السابق نفسه، ج2، ص69-70.

(2) موسوعة اللآلي من شعر الحكمة في العصر الجاهلي، عبد القادر زينو، ص69.

6 إذا ســـادَ فيهـــا بَعـــدَ ذُلٍّ لَئيمُهـــا تَصَـــدّىٰ لَـــهُ ذُلٌّ وَقُـــدَّ أَديمُهـــا [1]

يقول:

1. وَما كُلُّ ذي لُبٍّ يُعاشُ بِعَقلِهِ وَلَكِن إِذا قادَ الأُمورَ حَكيمُها

وما كلُّ صاحب عقلٍ يُعاشُ بعقله، ولكن إذا اضطلع بالأمور شخصٌ حكيم والجواب محذوف تقديره فإنَّه يعاش بعقل هذا الحكيم.

2. بِرَأيِ ذَوي الأَلبابِ في الأَمرِ يُهتَدىٰ وَهَل يُبرِمُ الآراءَ إِلّا عَليمُها؟!

يستطيع الناس أن يهتدوا برأي أصحاب العقول وأصحاب التجرِبة في الأمور، ثم يتساءل الشاعر تساؤلًا حجاجيًا منطقيًا فيقول: هل يُحكم الآراء السديدة إلا العليم بها، والذي خبِرها.

3. وَقَد يَتَّقي المَظلومُ مِن ذي ظُلامَةٍ بِعَيرٍ هُمامٍ أَو يُطاعُ ظَلومُها

كثيرًا ما يتقي المظلوم من أصحاب الظُلامات -أي المظلمة التي تطلبها عند الظالم- بالسيد الشريف الشجاع الكريم، وإذا لم يفعل ذلك فإنَّه سيطيع الظالمَ الذي ظلمه وينزل علىٰ حكمه الغشوم.

4. وَما سَقَطَت يَومًا مِنَ الناسِ أُمَّةٌ إِلىٰ الذُلِّ إِلّا أَن يَسودَ ذِميمُها

وما ذلَّت أمةٌ من الناس إلا بتسويد مذموم الأخلاق والأفعال عليها.

5. وَما قَادَها لِلخَيرِ إِلّا مُجَرِّبٌ عَليمٌ بِإِقبالِ الأُمورِ كَريمُها

وما قادَ الأمة إلىٰ الخير -واستخدم (اللام) عوضًا عن (إلىٰ) للضرورة الشعرية- إلا خبيرٌ عليمٌ بمداخل الأمور ومخارجها، كريم الأخلاق.

---

(1) التيجان في ملوك حِمْيَر: وهب بن منبه، ص263.

6. إِذا سادَ فيها بَعدَ ذُلٍّ لَئيمُها تَصَدّىٰ لَهُ ذُلٌّ وَقُدَّ أَديمُها

وإذا قاد الأمة لئيم الطباع دنيء الأصل بخيل النفس فإنَّ الذُّل سيتربص به وبالأُمة التي يقودها حتىٰ يُقطَع جلد هذه الأُمَّة وهذا كناية عن وقوع الذل الشديد.

****

ملل المعمَّرين من الحياة

وقال المستوغر بن ربيعة السعدي التميمي من الكامل:

1 وَلَقَد سَئِمتُ مِنَ الحَياةِ وَطولِها وَعَمِرتُ مِن عَدَدِ السِّنينَ مِئينا

2 مِئَةٌ أَتَت مِن بَعدِها مِئَتانِ لي وَازدَدتُ مِن عَدَدِ الشُّهورِ سِنينا

3 هَل ما بَقىٰ إِلّا كَما قَد فاتَنا يَومٌ يَمُرُّ وَلَيلَةٌ تَحدونا

4 هَل تَرقُبُ الأَرواحُ إِلّا ساعَةً تَلقىٰ سَقامًا عِندَها وَمَنونا

5 فَانظُر لِما قَدَّمتَ سَوفَ تَزورُهُ حَتمًا وَتُمسي عِندَهُ مَرهونا [1]

يقول في البيت الأول: لقد مللت من الحياة وطول العمر، فلقد عُمِّرت المئات من السنوات، وفي هذا يقول الرَّبيع بن ضَبُع الفزاريّ من الطويل:

خَرِفتُ وَأَفنَتني السُّنون التي خَلتْ فَقَد سَئِمَتْ نَفسِي الحَياةَ وَمَلَّتِ [2]

وقال أيضًا: إِذا عاشَ الفَتىٰ مائتَينِ عامًا فَقَد ذَهَبَ اللذَاذَةُ وَالفَتاءُ [3]

ويقول زهير بن أبي سلمىٰ من الطويل:

---

(1) التيجان في ملوك حمير، وهب بن منبه، ص263.

(2) التيجان في ملوك حِميَر، تح: مركز الدراسات للأبحاث اليمنية، ص130.

(3) شرح أدب الكاتب، الجواليقيّ، ص217-218.

سَئِمتُ تَكاليفَ الحَياةِ وَمَن يَعِشْ ثَمانينَ حَولًا لا أَبا لَكَ يَسأَمِ [1]

ويقول المستوغر في البيت الثاني: لقد أصبح عمري ثلاثمئة عام، وزيد في عمري كثيرًا.

ويقول في البيت الثالث: إنَّ ما بقي لنا أشبه بسرعته بما قد مضىٰ علينا كما يشبه الماءُ الماءَ، فالأيام تمرُ بسرعة وتلحقنا الليالي.

ويقول في البيت الرابع: متسائلًا سؤالًا استنكاريًا هل تنتظر الأرواح إلا لحظةً تمرض عندها الأجسام ثم تُقبض الأرواح ونموت.

ويقول في البيت الخامس: انظر لما عملت من أعمال في حياتك في الماضي، فسوف يُعرض عليك في المستقبل ويحاسبك الله تعالىٰ عليه، فأنت مربوط ومرهونٌ بأعمالك.

****

الدنيا مقيلٌ أو ليالٍ

وقال أبو ذؤيب الهذلي رحمه الله من الطويل:

هل الدهر إلا ليلةٌ ونهارُها وإلا طلوع الشمس ثم عيارها [2]

ليس الدهر أو الدنيا إلا يوم واحدٌ فقط ليله ونهاره، بل هو الزمن الممتد من طلوع الشمس إلىٰ غروبها، وفي هذا البيت بعض التناص في المعنىٰ مع الحديث الشريف: عن عبد الله مسعود رضي الله عنه قال: "نامَ رسولُ اللهِّ صلَّىٰ اللهُّ عليهِ وسلَّمَ علَىٰ حصيرٍ فقامَ وقد أثَّرَ في جنبِهِ فقلنا يا رسولَ اللهِّ لوِ اتَّخَذنا لَكَ وطاءً فقالَ ما لي وما للدُّنيا، ما أنا في الدُّنيا إلَّا

(1) ديوان زهير بن أبي سُلمى، ص110.

(2) ديوان الهذليين، ج1، ص21.

كراكبٍ استَظلَّ تحتَ شجرةٍ ثمَّ راحَ وترَكَها" [1]، أما أبو قيس صِرمة بن أبي أنس رضي الله عنه فيعد الدنيا ليالِيَ معدودةً فيقول من الطويل:

بدا ليَ أنِّي عشتُ تسعين حِجَّةً   وعشرًا ولي ما بعدها وثمانيا

فلم أَلفَهَا لَّما مَضت وعَدَدتُها   بِحِسبَتِها في الدهر إلا لياليا [2]

يقول في البيت الأول: لقد ظهر لي أنّني عشت تسعين سنةً وعشرًا بعدها وثمانيةً بعدها.

يقول في البيت الثاني: فلم أجدها عندما مضت وعددتها بحسبتها في الدهر إلا لياليا.

****

لا تُعمِّم

وقال أنس بن زنيم رضي الله عنه من الرمل:

1 سَـــل أمـــيري مـــا الـــذي غـــيَّرهُ   عـــن وصـــالي اليـــومَ حتـــىٰ وَدَعَـــه

2 لا تُهِنّـــــي بعــــــد إكرامـــــك لي   فشـــــــديدٌ عـــــــادةٌ مُنتَزعـــــــه

3 لا يكُـــــن وعـــــدُك بَرقـــاً خُلّبًـــا   إنّ خـــيرَ الـــبرق مـــا الغيـــث معـــه

4 كـــم بجـــودٍ مقـــرِفٍ نـــال العُـــلا   وشريـــفٍ بخلُـــه قـــد وضـــعه [3]

يخاطب في البيت الأول أميره عبيد الله بن زياد والي يزيد بن معاوية علىٰ العراق قائلًا: ما الذي غيَّر الأمير حتىٰ صدَّ عن وصالي وترك الحديث معي.

---

(1) صحيح سنن الترمذي، رقم الحديث:2377، ص554.

(2) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوَّض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1995، ج3، ص342.

(3) خزانة الأدب، عبد القادر عمر البغدادي، تح، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1997م، ج6، ص471.

ويقول في البيت الثاني: لا تهني بعد الإكرام فشديد علىٰ النفس الإهانة وخاصة الإهانة التي تحصل بعد الإكرام، أو النعمة المنتزعة.

ويقول في البيت الثالث: لا يكن وعدُكَ خالي الوفاض، كالبرق الخُلَّبي الذي لا يصاحبه الغيث، بل فليكن كالبرق الذي يصاحبه الغيث.

ويقول في البيت الرابع: كم من وضيع النسب والشرف رفعه كرمُه إلىٰ العلا، وكم من عالي الشرف قد خفضه بخلُه، وأصل البيت نثرًا كم من مقرفٍ نال العلا بجوده، وفي هذا المعنىٰ يقول الشافعي:

وإن كثُرت عيوبُك في البرايا وسرَّك أن يكونَ لها غطاءُ

تستر بالسخاءِ فكل عيب يُغطيه -كما قيل- السخاءُ [1]

إذا كثُرت عيوبك وانتشرت بين الناس، وأسعدك أن تُغطىٰ، فتستر بالكرم والجود فكل عيبٍ يغطيه الكرم والجود، وعن هذا المعنىٰ قال الشاعر المخضرم عمرو بن الأهتم من الطويل:

وَكُلُّ كَريمٍ يَتَّقي الذَمَّ بِالقِرىٰ وَلِلخَيرِ بَينَ الصالِحينَ طَريقُ

لَعَمرُكَ ما ضاقَت بِلادٌ بِأَهلِها وَلَكِنَّ أَخلاقَ الرِجالِ تَضيقُ [2]

يقول في البيت الأول: إنَّ كل كريم يبتعد من ذَمِّ الناس له بإكرامه الضيوف، وكما أنَّه يكرمُ الضيف فإنَّ الضيف سيتحدثُّون عنه خيرًا بين الناس حيثما حلُّوا وساروا.

(1) ديوان الشافعي، تح: د. عبد المنعم خفاجي، ص46.

(2) المفضليات، المفضل الضبي، ص127.

ثم يقول حالفًا بعمر المخاطَب في البيت الآخر: إنَّ البلاد ليست بضيقة على أهلها، ولكنَّ أخلاقهم هي التي تُضيِّق عليهم حياتهم ونفوسهم، ويشبه معنى البيت الأول هذا البيت الذي قاله الشاعر المخضرم موسى بن جابر الحنفي من الطويل:

وما خيرُ مالٍ لا يقي الذمَّ ربَّه   ونفسِ امرئٍ في حقِّها لا يُهينها [1]

ما نفع المال الذي لا يقي صاحبَه من الذم، وما فائدةِ النفسِ التي لا يهينُها صاحبُها في سبيل حقِّها؟

شرُّ الأخلاء

وقال أنس بن زنيم رضي الله عنه من المتقارب:

وشرُّ الأخلاء عند البلاء   وعند الرزيّة خِلٌّ كذوبُ [2]

وشر الأصحاب عند نزول البلاء والمحن والمصائب الصاحب كثير الكذب.

****

بما أنَّ الموتَ آتٍ على كل حال فلنمت بكرامة وشجاعة

وقال سارية بن زنيم الدؤلي رضي الله عنه –وهو الصحابي الذي ناداه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله: "يا سارية الجبل"– من البسيط:

1 لَقَد عَلِمتُ وَعِلمُ المَرءِ يَنفَعُهُ   أَن سَوفَ يُدرِكُني وَمِقداري

2 أَنَّ المَنايا سَتَأتي غَيرَ جائِزَةٍ   عَلى المُؤَجِّلِ في ضُرٍّ وَإِعمارِ

(1) شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، أبو علي المرزوقي الأصفهاني، غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2003م، ص269.

(2) الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، ج8، ص493.

3 أَيقَنــتُ أَنّي عَلَيهــا لَســتُ مُقتَــدِرًا إِن شـــاءَ رَبّي وَقَضَــت شِــدَّةُ الــدَّارِ

4 فَغامَسَـــتهُم بِهـــا وَالخَيــلُ ســـاهِمَةٌ دونَ المَدينَـــةِ في نَقـــعٍ وَإِعصـــارِ [1]

يقول في البيت الأول: لقد أيقنتُ ويقيني ينفعني أنَّه سوف يدركني الموت، وهو فاعل مقدرٌ محذوف، وهذا الحذف أضفىٰ بلاغةً شديدةً علىٰ البيت.

ويقول في البيت الثاني: لقد أيقنت أيضًا أن المِيتات والمَقاتِل شاملةً وغير متجاوزةٍ المؤجَّلَ من الأعمالَ الصالحة، وسواء أكان هذا التأجيل بسبب المرض أم بسبب السعي في طلب الرزق وإعمار البيوت.

ويقول في البيت الثالث مؤكدًا أن معنىٰ (علمتُ) هنا (أيقنتُ)، فالشاعر رضي الله عنه أيقن أنَّه لا يستطيع دفع الموت عن نفسه عندما يشاء الله موته، ويأتي قضاؤه.

ويقول في البيت الرابع: لقد تقحمت شدة الحرب وعاينتها حمايةً للمدينة، والخيل عابسة خائفة، ونحن في إعصار من الغبار.

الصديق الحرباء

قال سهم بن حنظلة الغنوي من البسيط:

1 إِنَّ اِحتِضـارَكَ مَـولىٰ السَـوءِ تَسـأَلُهُ مِثـلَ القَعـودِ وَلَمّـا تَتَّخِـذ نَشَـبا

2 إِذا اِفتَقَـرتَ نَـأىٰ وَاشـتَدَّ جانِبُـهُ وَإِن رَآكَ غَنِيًّـــا لانَ وَاقتَرَبـــا

3 وَإِن أَتـــاكَ لِمـــالٍ أَو لِتَنصـــُرَهُ أَثنـىٰ عَلَيـكَ الَّـذي تَهـوىٰ وَإِن كَـذَبا

4 نـائي القَرابَـةِ عِنـدَ النَّيـلِ تَطلُبُـهُ وَهـوَ البَعيـدُ إِذا نـالَ الَّـذي طَلَبـا

5 وَماكِـثٌ عُقَـبَ الأَيّـامِ يَرقُبُهـا وَمـا تَـرُدُّ لَـهُ الأَيّـامَ وَالعُقَبـا

(1) تاريخ دمشق، ابن عساكر، دار الفكر، ج20، ص27-28.

6 حُلـوُ اللِسـانِ مُـرُّ القَلـبِ مُشـتَمِلٌ عَلىٰ العَداوَةِ لِابـنِ العَـمِّ مـا اِصـطَحَبا

7 لا تَـكُ ضَـبًّا إِذا اِسـتَغنىٰ أَضَرَّ فَلَـم يَحفِـل قَرابَـةَ ذي قُربـىٰ وَلا نَسَـبا

8 اللهُ يُخلِـفُ مـا أَنفَقـتَ مُحتَسِـبًا إِذا شَـكَرتَ وَيُؤتيـكَ الَّـذي كَتَبـا

9 لا بَـل سَـلِ اللهَ مـا ضَنّوا عَلَيـكَ بِـهِ وَلا يَمُـنُّ عَلَيـكَ المَـرءُ مـا وَهَبـا

10 لا يَحمِلَنَّـكَ إِقتـارٌ عَـلىٰ زَهَـدٍ وَلا تَـزَل في عَطـاءِ اللهَ مُرتَغِبـا

11 بَينـا الفَتـىٰ في نَعـيمٍ يَطمَـئِنُّ بِـهِ أَخنـىٰ بِبُـؤسٍ عَلَيـهِ الـدَّهرُ فَانقَلَبـا

12 أَو في اِبتِئـاسٍ يُقاسـيهِ وفي نَصَـبٍ أَمسىٰ وَقَـد زايَـلَ التِّبـآسَ وَالنَصَـبا [1]

يقول:

1. إِنَّ اِحتِضارَكَ مَولىٰ السَوءِ تَسأَلُهُ مِثلَ القُعودِ وَلَمّا تَتَّخِذ نَشَبا

إنَّ حضورك إلىٰ صديق سيء الأخلاق تسأله عطاءه مثل القعود عن العمل وعدم السعي إلىٰ كسب المال.

2. إِذا اِفتَقَرتَ نَأىٰ وَاِشتَدَّ جانِبُهُ وَإِن رَآكَ غَنِيًّا لانَ وَاِقتَرَبا

إنَّ من صفات الصديق سيء الأخلاق أنَّه إذا وقعت بك حاجة وفقرٌ ابتعد عنك، وجفاك في المعاملة، وإن رأىٰ أنَّه قد أغناك الله من فضله، لان خُلُقه وحاول التقرب منك!.

3. وَإِن أَتاكَ لِمالٍ أَو لِتَنصُرَهُ أَثنىٰ عَلَيكَ الَّذي تَهوىٰ وَإِن كَذَبا

وإنَّ من صفات الصديق سيء الأخلاق النفاق والمداهنة؛ فإن كان يرجو منك عطاءً أو منفعةً أو نُصرةً فإنَّه يمدحك بما ليس فيك ويُسمِعُك ما تودُّ سماعه ولو كذبًا.

4. نائي القَرابَةِ عِندَ النَّيلِ تَطلُبُهُ وَهوَ البَعيدُ إِذا نالَ الَّذي طَلَبا

---

(1) منتهى الطلب من أشعار العرب، تح: محمد نبيل طريفي، ج8، ص384-385.

فهو بعيد الشُّقَة عنك عندما تطلب منه منفعةً أو عطاءً، وإذا أخذ ما يريده منك فيبتعد عنك كأن لم تكن بينك وبينه مودَّة.

5. وَماكِثٌ عُقَبَ الأَيّامِ يَرقُبُها وَما تَرُدُّ لَهُ الأَيّامَ وَالعُقَبا

فإذا وقعتَ في حرب أو مصيبة فإنَّ هذا الصديق ينتظر مآلات الأمور وعواقب الأيام، فإن كانت العاقبة لصالحك ذكَّرك بصداقته إياك ووده إياك، وإن كان العاقبة غير ذلك فإنَّه ينضم للفريق المنتصر ويعاديك أو يشمت بك، وهذا يذكِّرنا بالآية الكريمة التي تصف المنافقين، وفيها يقول تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [1]

6. حُلوُ اللِسانِ مُرُّ القَلبِ مُشتَمِلٌ عَلى العَداوَةِ لِابنِ العَمِّ ما اِصطَحَبا

ومن صفات هذا المنافق أنَّه حُلو الكلام ليِّنه، ولكنه في الوقت ذاته مريضُ القلب أسوده، وينطوي قلبه على العداوة المضمرة لابن عمِّه كلما رافقه.

7. لا تَكُ ضَبًّا إِذا اِستَغنى أَضَرَّ فَلَم يَحفِل قَرابَةَ ذي قُربى وَلا نَسَبا

لا تكن كحيوان الضب وضرب به المثل لشهرته بالعقوق؛ إذ يُقال: "أعق من ضبٍّ"، فلا تكن كالضب إذا شعر بالغنى أضرَّ بغيره، ولم يهتم بقرابة الأقرباء ولا صلته ونسبه بهم.

8. اللَهُ يُخلِفُ ما أَنفَقتَ مُحتَسِبًا إِذا شَكَرتَ وَيُؤتيكَ الَّذي كَتَبا

(1) النساء: 141.

لذا فاعلم أيّها القارئ المكرَّم بأنَّ الله يُخْلِفُ ما أنفقت إذا كنت شاكرًا له وترجو في إنفاقك الأجر والثواب منه، وهذا المعنى متناصٌ مع الآية الكريمة التي تقول: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (1)

9. لا بَل سَلِ اللهَ ما ضَنُّوا عَلَيكَ بِهِ   وَلا يَمُنُّ عَلَيكَ المَرءُ ما وَهَبا

(لا) هنا زائدة، ثم يُضرِب فيقول اسأل الله ما بخل به عليك الناس؛ فإذا سألت الله من فضله أعطاك بلا منٍّ ولا أذية بخلاف النَّاس فإنَّهم يمنُّون.

10. لا يَحمِلَنَّكَ إِقتارٌ عَلى زَهَدٍ   وَلا تَزَل في عَطاءِ اللهِ مُرتَغِبا

لا يضطرنَّك الفقر إلى عدم الرغبة في عطاء الله ودعائه، فالله خير الواهبين.

11. بَينا الفَتى في نَعيمٍ يَطمَئِنُّ بِهِ   أَخنى بِبُؤسٍ عَلَيهِ الدَّهرُ فَاِنقَلَبا

بينما يعيش الفتى في نعيم قد أسكرته نشوته، أتى الدهر على نعيمه فأحاله بؤسًا وفسادًا وتقتيرًا.

12. أَو في اِبتِئاسٍ يُقاسيهِ وفي نَصَبٍ   أَمسى وَقَد زايَلَ التِّبآسَ وَالنَصَبا (2)

وبينما يعيش المرء في حزنٌ يعاني منه وفي تعبٍ يعاينه، فإنَّه -بإرادة الله- يمسي وقد فارق الحزن والتعب، وإنَّ استخدام الوزن (تفعال) هنا استخدام جميل في محله، ويدل هذا الوزن على التكثير والتكبير.

****

(1) سبأ: 39 .

(2) منتهى الطلب من أشعار العرب، تح: محمد نبيل طريفي، ج8، ص384-385.

صعوبة إرضاء الدهر

قال صخر بن عمرو الريّاحي من الطويل:

ألا لا أرىٰ مستعتِبَ الدَّهرَ مُعتبَا ولا آخِذًا منه الرِّضا إن تغضَبا [1]

يقول الشاعر إنَّ الذي يريد أن يطلب الرضا من الدهر فلن يناله، لأنَّه أخلاقه شديدة التقلب، فهو شديد الغضب، ولكن الدهر لا حول له ولا قوة، فقد جاء في الحديث القدسي قوله تعالىٰ: "يُؤْذِينِي ابنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وأنا الدَّهْرُ، بيَدِي الأمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهارَ" [2]، قال المفسرون في تفسير عبارة "وأنا الدهر" أي "أنا صاحب الدهر".

****

حِكَم ضابئ البرجمي

وقال ضابئ البرجمي من الطويل:

1 وَما عاجِلاتُ الطَيرِ تُدني مِنَ الفَتىٰ رَشادًا وَلا عَن رَيثِهِنَّ يَخيبُ

2 وَرُبَّ أُمورٍ لا تَضيرُكَ ضَيرَةً وَلِلقَلبِ مِن مَخشاتِهِنَّ وَجيبُ

3 فَلا خَيرَ فيمَن لا يُوَطِّنُ نَفسَهُ عَلىٰ نائِباتِ الدَهرِ حينَ تَنوبُ

4 وَفي الشَكِّ تَفريطٌ وَفي الحزمِ قَوَّةٌ وَيُخطِئُ في الحَدسِ الفَتىٰ وَيُصيبُ

5 وَلَستَ بِمُستَبقٍ صَديقًا وَلا أَخًا إِذا لَمْ تَعُدَّ الشَيءَ وَهوَ يَريبُ [3]

(1) الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، ج15، ص72.

(2) صحيح البخاري، البخاري، رقم الحديث: 4826، ص1218.

(3) الأصمعيات، الأصمعي، تح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، بيروت، الطبعة الخامسة، ص184.

يقول في البيت الأول: إن الطيور التي يتطيَّر بها الجاهليون لا تقرِّب من الرشاد والسداد إذا طارت بسرعة وعجَلة ولا في إبطائها الخيبة.

ويقول في البيت الثاني: إنَّك كثيرًا ما تخاف جدًا من أمورٍ لا تخيف، وكنَّى عن الخوف بوجيب القلب وهو خفقانه، فالإنسان عندما يخاف يخفق قلبه بشدة وسُرعة.

ويقول في البيت الثالث: إنَّه لا خير فيمن لا يجبر نفسه على كفاح مصائب الزمان عندما تنزل.

ويقول في البيت الرابع: إنَّ في الشك وكثرة التردد تجاوزًا للحد، وفي الحزم والحسم في اتخاذ القرارات قوةٌ؛ ولكن المرء قد يخطئ في إحساسه وشعوره وحدسه، وقد يصيب فيهم.

ويقول في البيت الخامس: ولن يبقى عندك صديقٌ ولا أخٌ إذا أنت لم تتغافل عن الأشياء الكثيرة التي تثير شكوكَ وارتيابك والتي تصدر عن أصدقائك وإخوتك.

****

قوة الدهر والأقدار

وقال ضِرار بن الخطاب الفهري من الطويل:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَهرَ يَلعَبُ بِالفَتى   وَلا يَملِكُ الإِنسانُ دَفعَ المَقادِرِ [1]

وهذا صحيح فيوجد الكثير من الأقدار التي لا يستطيع الإنسان دفعها أو تجنبها، ولكن ليس إلى درجة أن الدهر يلعب بالمرء لعبًا.

****

(1) الأمثال والحكم، علي بن محمد الماوردي، تح: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، 1999م، ص136.

شرُّ الناس

وقال ضرار الفهري رضي الله عنه من الطويل:

فَإِنَّ شَقاءَ الظُّلمِ ما قَد جَمَعتُما وَمَن يَتَّقِ الأَقوامَ بِالشَّرِّ يُترَكِ [1]

إنّ الظلم يُشقي صاحبَه، وإنّكما قد جمعتُما من شقاء الظلم غايتَه، كيف لا وقد آذيتُما قومكما حتّىٰ تركوكم اتّقاءً لشرّكم!

****

العيش الحقيقي

قال عدي بن وداع بن عِقي الأزدي رحمه الله من الرجز:

لا عَيشَ إِلّا الجَنَّةُ المُخضَرَّة

مَن يَدخُلِ النارَ يُلاقِ ضَرَّه[2]

يقول إنَّه لا عيش إلا العيش في الجنة المخضرة، وفي هذا تناص مع الحديث الشريف الذي يقول:

"اللَّهُمَّ لا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ، فأَصْلِحِ الأَنْصارَ والمُهاجِرَهْ"، ثم يقول الشاعر إنَّ من يدخل النار فسيمسه النُصب والعذاب.

****

(1) الحماسة، بن البُحتري، ص88.

(2) كتاب المعمَّرين، أبو حاتم السجستاني، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، 1905م، ص38.

قوة الجبال

وقال عدي بن وداع بن عِقي الأزدي رحمه الله من الوافر:

أَرىٰ الأَيّامَ لا يَبقىٰ عليها سِوىٰ الأَجبالِ والرَّملِ الرِقاقِ [1]

إنَّ شعور الشاعر الجاهلي بالزمن ومروره شعورُ اغتراب، فهو يحس بضآلة أثره وتأثيره وحجمه مقابل الجبال، ومردُّ ذلك إلىٰ صلابة الجبال واتساعها وعلوها، وعدم تأثُّرها -فيما يبدو- بمرور السنوات، إلا أنَّ الجبال تتعرض للحت والتعرية، ولكن السبب في أنَّها تبدو لا تتأثر بهذه العوامل هو صلابتها وضخامة حجمها فهي تحتاج إلىٰ مرور مئات السنوات حتىٰ يبدو عليها تأثير الزمن؛ لذلك توهَّم الشاعر الجاهلي بأن الجبال باقية، إذ يقول زهير بن أبي سُلمىٰ:

أَلا لا أَرىٰ عَلىٰ الحَوادِثِ باقِيا وَلا خالِدًا إِلّا الجِبالَ الرَواسِيَا [2]

ولكن الله ينبئ عن حال الجبال يوم القيامة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [3]، أي يقتلعها الله من أصولها، ثم يضرب بعضها ببعض حتىٰ تصبح رملًا بمستوىٰ الأرض لا ارتفاع لها.

****

وصايا عمرو بن الأهتم لولده

وقال عمرو بن الأهتم من الوافر:

1 لَقَــد أَوصَــيتُ رِبعــيَّ بــنَ عَمــرٍو إِذا حَزَبَـــت عَشـــيرَتَكَ الأُمــــورُ

(1) منتهى الطلب من أشعار العرب، ابن ميمون، تح: محمد نبيل الطريفي، ج8، ص317.

(2) ديوان زهير بن أبي سُلمى، ص142.

(3) (طه:105-106-107) .

2	بِـــأَن لا تُفسِــدَن مـــا قَـــد سَــعَينا	وَحِفــــظُ السُّـــــورَةِ العُليـــا كَبـــيرُ
3	وَإِنَّ المَجــــــدَ أَوَّلُـــــهُ وعـــــورٌ	وَمَصـــــدَرُ غِبِّـــهِ كَــــرَمٌ وَخِـــيرُ
4	وَإِنَّـــكَ لَـــن تَنـــالَ المَجـــدَ حَتّـــى	تَجُـــودَ بِـــما يَضـــنُّ بِـــهِ الضَّـــميرُ
5	بِنَفسِـــــكَ أَو بِمالِـــكَ في أُمـــورٍ	يَهـــابُ رُكوبَهَـــا الـــوَرِعُ الـــدَّثورُ
6	وَجـــارِيَ لا تُهِينَنـــهُ وَضَـــيفي	إِذا أَمســـى وَراءَ البَيـــتِ كُـــورُ
7	يَـــؤُوبُ إِلَيـــكَ أَشـــعَثَ جَرَّفَتـــهُ	عَـــــوانٌ لا يُنَهنِهُهَــــا الفُتـــــورُ
8	أَصِـــــبهُ بِالكَرامَــــةِ وَاحتَفِظـــــهُ	عَلَيـــــكَ فَـــإِنَّ مَنطِقَـــــهُ يَســـــيرُ
9	وَإِنَّ مِـــنَ الصَّـــديقِ عَلَيـــكَ ضِـــغنًا	بَـــدا لي إِنَّنـــي رَجُـــلٌ بَصـــيرُ
10	بِـــــأَدواءِ الرِّجـــــالِ إِذا اِلتَقَينـــــا	وَمـــا تَخفـــي مِـــنَ الحَسَـــكِ الصُّـــدورُ
11	فَـــإِنْ رَفَعُـــوا الأَعِنَّـــةَ فارْفَعَنْهـــا	إِلى العُلْيـــا، وأَنْـــتَ بهـــا جـــديرُ
12	وإِنْ جَهَـــدُوا عليـــكَ فَـــلا تَهَـــبْهُمْ	وجاهِـــدْهُمْ إِذا حَمِـــيَ الفَتِـــيرُ
13	فَـــإِنْ قَصَـــدُوا لِمُـــرِّ الحَـــقِّ فاقْصِـــدْ	وإِنْ جـــارُوا فَجُـــرْ حتّـــى يَصِـــيرُوا [1]

يقول:

1. لَقَد أَوصَيتُ رِبعيَّ بِنَ عَمروٍ　　　إِذا حَزَبَت عَشيرَتَكَ الأُمورُ

2. بِأَن لا تُفسِدَن ما قَد سَعَينـا　　　وَحِفــظُ السُّورَةِ العُليا كَبيرُ

أي لقد أوصيت ابني رِبعيًّا بأنَّه إذا أهمَّتك مُهمَّة، أو أصابت عشيرتَك مصيبةٌ فلا تفسدن الانجازات التي حققناها والمآثر التي نفتخر بها، وحافظ على الأمجاد والمنزلة العالية التي وصلنا إليها، لأنَّ المحافظة على هذه الأمجاد وعلى هذه المنزلة أمرٌ جسيم عظيم.

3. وَإِنَّ المَجدَ أَوَّلُهُ وُعورٌ　　　وَمَصدَرُ غِبِّهِ كَرَمٌ وَخِيرُ

(1) شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم، تح: سعود محمود عبد الجابر، ص84.

إنَّ طريق المجد وَعْرةٌ يصعب المشي فيها؛ ولكن مآل المجد وعاقبته الخِصبُ والكرم والخلال الحميدة.

4. وَإِنَّكَ لَن تَنالَ المَجدَ حَتّى تَجودَ بِما يَضِنُّ بِهِ الضَميرُ

5. بِنَفسِكَ أَو بِمالِكَ في أُمورٍ يَهابُ رُكوبَها الوَرِعُ الدَثورُ

إنَّه من أجل الظَّفر بالمجد يجب على المرء أن يبذل مكنوناته حتى لو كان هذا المكنون نفسُه ومالُه، وفي هذا قال رجل من بني أسد من البسيط:

لا تحسب المجد تمرًا أنت آكلُه لن تبلغ المجد حتى تلعقَ الصَّبِرا[1]

فانظر وتأمل المناسبَة الحسيّة بين التمر والصَّبِر، فالتمرُ حلو والصَّبِر عصارة شجرٍ مُرٍّ، فلا تظنَّ أن الوصول إلى المجد سهلٌ، بل يجب تجشُّم المصاعب وركوب الأخطار التي يخاف منها الجبان الخامل من أجل الظَّفر بذلك المجد.

6. وَجارِيَ لا تُهينَنهُ وَضَيفي إِذا أَمسى وَراءَ البَيتِ كُورُ

وأوصيك يا ابني بألا تهين جاري وضيفي إذا تخلى الناس عن مستلزمات الضيف ووضعوها خارج البيت.

7. يَؤُوبُ إِلَيكَ أَشعَثَ جَرَّفَتهُ عَوانٌ لا يُنهنِهُها الفُتورُ

أكرم الجار والضيف إذا أجدبت الأرض وأمحلت وافتقر الناس وأتى إليك ضيفٌ قد أذهبت المصيبةُ أمواله، وهذه المصيبة لا ينفع معها ولا يردها محاولة تجنبها بالسكون وعدم الفعل.

(1) شرح حماسة أبي تمام، أبو القاسم بن علي الفارسي، تح: د. محمد عثمان علي، دار الأوزاعي، الدوحة، الطبعة الأولى، ج3، ص216.

8. أَصِبهُ بِالكَرامَةِ وَاِحتَفِظهُ   عَلَيكَ فَإِنَّ مَنطِقَهُ يَسيرُ

أكرم مَن أتىٰ إليك في المَحل فإنَّك بإكرامك إياه تبني ذخرًا ومُدَّخرًا، ويسير الكلام الحسن أو السيء للضيف في الناس كما يسير الهواء وينتشر؛ لذلك أكرم ضيفك لعلَّه يمدحُ فعلَك وتحصل علىٰ سُمعة جيدة.

9. وَإِنَّ مِنَ الصَّديقِ عَلَيكَ ضِغنًا   بَدا لي إِنَّني رَجُلٌ بَصيرُ

ليس كلُّ من تصاحِبهُ صديقًا؛ فإنَّ من الأصدقاء من يخفي الأحقاد والكره لك، هكذا علمتني الحياة، فأصبحت رجلًا ذا بصيرة يُهتدىٰ بها في الأمور المعاصرة والمستقبلية.

10. بِأَدواءِ الرِجالِ إِذا اِلتَقَينا   وَما تَخفي مِنَ الحَسَكِ الصُدورُ

وأنا بصير بأمراض الرجال القلبية من الضغائن والأحقاد والرِّيَب والكره التي تحوك في الصدر.

11. فإِنْ رَفَعُوا الأَعِنَّةَ فارْفَعَنْها   إلىٰ العُلْيا، وأَنتَ بها جديرُ

مفرد الأعنة العِنان وهو حبل اللجام الذي تقاد به الدابة؛ ويقصد إن سَعىٰ الرجال إلىٰ المجد والسؤدد فاسع أنت أيضًا فأنت تستحق الحصول عليهما.

12. وإِنْ جَهَدُوا عليكَ فلا تَهَبْهُمْ   وجاهِدْهُمْ إِذا حَمِيَ القَتِيرُ

وإنَّ ثابروا في جدٍ وهم يهاجمونك فلا تخفهم، وقاتلهم حتىٰ لو كنت تحت الشمس الحارة التي حمَّت المسامير من الدروع.

13. فإِنْ قَصَدُوا لِمُرِّ الحَقِّ فاقْصِدْ   وإِنْ جارُوا فَجُرْ حتَّىٰ يَصِيرُوا

فإن توجَّهوا إلىٰ الحق وأرادوه مع كونه مرًا في ألسنتهم، وشديدًا علىٰ نفوسهم، فأرد الحقَّ واخضع لِما يمليه هذا الحق، وإن ظلموك فاظلمهم إلىٰ أن تلين قناتهم ويخضعوا للحق،

ويبدو أنَّ هذا الأسلوب متأثِّر بأسلوب القرآن الكريم، ومتناصٌّ معه، فالله تعالى يقول: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [1]، وقوله: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [2]

****

أظنُّ الحلمَ دلَّ عليَّ قومي!

قال قيس بن زهير العبسي من الوافر:

1. ولكنَّ الفتى حَمَلَ بن بدرٍ... بَغَى والبَغْيُ مَرْتَعُه وَخِيم
2. أظنُّ الحِلْمَ دلَّ عليَّ قومي... وقد يُستجهَلُ الرَّجُلُ الحليمُ
3. فلا تَغْشَ المظالمَ لن تراه... يُمتَّعُ بالغِنى الرَّجُلُ الظَّلُوم
4. ولا تَعْجَلْ بأمرك واستَدِمْه... فما صلَّى عصاك كمستديم
5. أُلاقي مِنْ رجالٍ مُنْكراتٍ... فأنكرها وما أَنَا بالغَشُوم
6. ومارَسْتُ الرجال ومارسُوني... فمعوجٌّ عليَ ومُسْتَقِيمُ [3]

يقول في البيت الأول: إنَّ الرجل حَمَلَ بن بدر ظَلَمَ، والظلمُ عاقبته سيئة.

ويقول في البيت الثاني: أرى أنَّ حلمي على قومي جرَّأهم علي؛ لذلك لا تعجب من الحليم إذا أصبح جاهلًا سفيهًا بسبب قومه الذين دفعوه إلى ذلك بسبب جهلهم وسفههم.

(1) الأنفال:61.

(2) الحجرات:9.

(3) الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، ج17، ص134.

ويقول في البيت الثالث: لا تدخُل المظالِمَ وتخض فيها، فإنَّ الظالِم سرعان ما يفتقر أو يُسطى عليه أو يُقتَل.

ويقول في البيت الرابع: لا تعجل عند عملك الأمور، بل اتئد وأنت تعمل بها، واطلب العمل المستديم، فإنَّ الذي يثقِّف الغصن ولم يجد تصليته بالنار لم يستقم له العود كما يريد.

ويقول في البيت الخامس: ألاقي الأمور المستقبحة المعيبة من بعض الرجال فأستغربها وأستعظمها، وما أنا بغشوم كثير الظلم، والغشوم صيغة مبالغة على وزن (فعول)، ويقول القرطبي في تفسيره آية ﴿وما ربُّك بظلَّام للعبيد﴾ [1]، "إذا انتفت المبالغة انتفى ما هو غيرها"[2].

ويقول في البيت السادس: لقد خبِرت جميع أنواع الرجال، وخَبِروني، فمنهم الصالح والفاسد، والجيد والسيء، ومستقيم الأخلاق ومعوجُّها.

****

حسم الظلم يكون من أوَّله

وقال قيس بن زهير من الطويل:

إِذا أَنتَ أَقرَرتَ الظُلامَةَ لِامرِئٍ ... رَماكَ بِأُخرى شَعبُها مُتَفاقِمُ

فَلا تُبدِ لِلأَعداءِ إِلّا خُشونَةً ... فَما لَكَ مِنهُم إِن تَمَكَّنَ راحِمُ [3]

---

(1) فصلت:46.

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، كامل محمد الخراط، غيث الحاج أحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 2006م، ج18، ص432.

(3) شعراء النصرانية قبل الإسلام، لويس شيخو، دار المشرق، بيروت، الطبعة الرابعة، 1991م، ص931.

يقول في البيت الأول: إذا أنتَ رضيت بظُلامة وهي ما أخذه الناس من حقوقك المادية أو المعنوية من رجل ما؛ فإنَّه سيتبعها بظُلامَة أُخرىٰ أكبرُ من الظُّلامة الأولىٰ.

ويقول في البيت الثاني: لا تُظهر للأعداء إلا الغِلظة والشِّدة، فإنَّهم إن تمكنوا منك فلن يستطيع أحدٌ أن يستنقذك منهم ويرحمك.

****

الاتحاد قوة

وقال قيس بن عاصم المنقري من الكامل:

1. بصلاح ذات البين طول بقائكم إن مُدَّ في عُمري وإن لم يُمدَدِ
2. حتىٰ تلين جلودكم وقلوبُكــم لمسوَّدٍ منكــم وغير مســوَّد
3. إِنَّ القِداحَ إذا جُمعن فرامهــا بالكســر ذو حَنَقٍ وبطشٍ أيِّدِ
4. عزت ولم تُكسَر وإن هي بُدِّدت فالـــوهن والتكسير للمتبدِّدِ [1]

يقول في البيت الأول: إنَّ من يضمن لكم طول البقاء اتفاقكم وتواؤمكم، سواءٌ عُمِّرتُ طويلًا أم لم أُعمَّر.

ويقول في البيت الثاني: لن تنالوا طول البقاء حتىٰ تخفضوا جناحكم للعزيز من قومكم والذليل منهم.

(1) ديوان المعاني، أبو الهلال العسكري، شرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1994م، ص147.

ويقول في البيت الثالث والرابع: إنَّ السهام قبل أن تُراش وتنصَّل إذا جُمعن وأراد أن يكسرها امرؤ شديد الغيظ، شديد القوة؛ فإنَّها تعزُّ وتصعب على الانكسار، أما إنْ تفرَّق كلُّ سهمٍ عن الآخر، فإن الضعف والتكسير للمتفرق منها.

****

الخمر أم الخبائث

إنَّ الشاعر قيس بن عاصم المنقري رضي الله عنه عندما كان في الجاهلية ورأى ما تفعل الخمرُ بأصحابها من الفضائح والرزايا والزراية امتنع عنها، فهو ذو تجربة انعكست حكمة في أقواله وتصرفاته فقال أشعارًا عديدة عن الامتناع عن الخمر أولُّها قوله من الطويل:

1. فو الله لا أحسو يَدَ الدهر خمرةً ولا شربة تزري بذي اللُّبِّ والفخرِ
2. فكيف أذوق الخمر والخمرُ لم تزل بصاحبها حتى تكَسَّعَ في الغدرِ
3. وصارت به الأمثال تُضرب بعدما يكون عميد القوم في السر والجهر
4. ويبدرهم في كل أمر ينوبهم ويعصمُهم ما نابَهم حادث الدهرِ
5. فيا شارب الصهباء دعها لأهلها الـ (م) ـغواةِ وسلِّم للحسيم من الأمرِ
6. فإنَّك لا تدري إذا ما شربتَها وأكثرتَ منها ما تريشُ وما تبري [1]

حرَّم هذا الصحابي الخمر على نفسه في الجاهلية فقال في البيت الأول حالفًا بالله ألا يشرب حُسوة من الخمر ولا شربةً أي لن يشرب الخمرَ قليلَها وكثيرَها؛ لأنَّها تحقِّر من شأن شاربها حتى لو كان من أصحاب العقل والمفاخر.

---

(1) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج14، ص310.

ويقول في البيت الثاني: كيف أذوق الخمر والخمر لا تهنأ حتىٰ توصل شاربها وصاحبها إلىٰ سيء الأخلاق من الغدر والخيانة.

ويقول في البيت الثالث والرابع: إنَّ الخمر تؤدي بصاحبها إلىٰ أن يُصبحَ مادةً للسخرية والتندُّر، بعد أن كان يُعدُّ سِرًا وجهرًا من اللذين يُعتمدُ عليهم، وبعد أن كان من اللذين يسارعون في المساعدة إنَّ حدث حادث، ويحميهم إن ألَّمت مُصيبة.

ويقول في البيت الخامس: فيا شارب الخمرة الشقراء اتركها لأصحابها الضالين، وسلِّم للأمر الحاسم الحازم بعدم شربها.

ويقول في البيت السادس: إنَّك ستفقد المحاكمة العقلية الرشيدة ولن تعلم -إذا شربت الخمر- ما الذي تريشه من السهام وما الذي تبريه منها.

وقوله -أيضًا- من الطويل:

1. لعمرك إِنَّ الخمر ما دمت شاربًا لسالبةٌ مالي ومُذهِبة عقلي
2. وتاركتي من الضِّعاف قُواهُمُ ومُورثتي حَرب الصَّدِيق بلا تَبْلِ [1]

يُقسم الشاعر بِعُمر المخاطب بأنَّ الخمر تسرِقُ المال وتُذهِبُ العقل، وبأنَّها تترك الإنسان ضعيفَ القُوىٰ، وتُورِثُ الحرب مع الأصدقاء دون أن يكون هنالك سببٌ للعداوة، وقال أيضًا يبيِّن الصفات السيئة للخمر من الوافر:

1. وجدت الخمر جامحةً وفيها خصالٌ تفضحُ الرَّجُلَ الكريما
2. فلا والله أشربهـــا حياتي ولا أدعو لها أبـــدًا نديما
3. ولا أعطي بها ثمنًا حياتي ولا أُشفـــي بها أبدًا سقيما

---

(1) شعر قيس بن عاصم: تح: هاشم طه شلاش، دار البلاغ، 1975م، ص61.

4. فإنَّ الخمر تفضح شاربيها وتجشمُهُم بها أمــــــرًا عظيما

5. إذا دارت حُميَّاها تعلَّـــت طــوالعُ تُسفهُ الرجلَ الحليما [1]

يقول في البيت الأول: لقد أيقنت وعلمتُ أنَّ الخمر هائجةٌ وفيها صفات تعود بالفضيحة على الرجل كريم الأصل، كريم الأخلاق، عالي المجد.

ويقول في البيت الثاني حالفًا بالله: لن أشربها طولَ حياتي إلى أن أموت، ولن أدعو لشربها جليسًا أبدًا.

ويقول في البيت الثالث: إنَّ الخمر لا تستحق الثمن التي تُشترى به، ولا يُمكن أن يُستشفى بها.

ويقول في البيت الرابع: إنَّ الخمر تفضح الذين يشربونها، وتُظهر السيء من أخلاقهم، وتؤدي بهم إلى وقوعهم في المشقة والحَرَج.

ويقول في البيت الخامس: إنَّ الخمر إذا عمل مفعولها في جسم الإنسان وعقله فإنَّها تُظهر منه أخلاقًا سفيهةً لا تليق بالرجل الحليم الوقور.

****

القوة لله جميعًا

وكما مرَّ بنا قبل قليل بأنَّ المرء إذا شرب الخمر لا يعرف ماذا يريش من السهام وماذا يبري، فكذلك صنم اليعوق ليس لديه الفعالية ولا القدرة فعبَّر الشاعر عن ذلك بنفي

(1) نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري، تح: يحيى الشامي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م، ص86.

القدرة على الإراشة والبري، يقول عن ذلك مالك بن نمط الهمداني رضي الله عنه من الوافر:

يَريشُ اللهُ في الدُنيا وَيَبري وَلا يَبري اليَعوقُ وَلا يَريشُ [1]

فالله هو صاحب القوة المطلقة الكاملة فقد قال عزَّ شأنه: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [2]

****

الله غالبٌ

وقال كعب بن جعيل يمدح معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من الطويل:

فرد ابن هند مُلكَه في نصابه ومن غالبَ الأقدارَ فالله غالبُه [3]

إنَّ من يحاول أن يقاوم ويغالب أقدار الله، فإنَّ الله غالبُه وقاهره لا محالة.

****

لا تهلِك بلا إخوان

وقال كعب بن سعد الغنوي من الكامل:

وَإِذا عَتَبتَ عَلى أَخٍ فَاِستَبقِهِ لِغَدٍ وَلا تَهلِك بِلا إِخوانِ [4]

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج21، ص264.

(2) البقرة: 165.

(3) وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، تح: عبد السلام هارون، ص549.

(4) التذكرة الحمدونيّة، ابن حمدون، تح: إحسان عبّاس وبكر عبّاس، ج4، ص372.

إذا حدث بينك وبين أخ لك عتابٌ فحاول الابقاء علىٰ صداقته وعليه من أجل المستقبل، فإذا أوشكت أن تموت مُتَّ ومعك إخوانٌ يقومون بأمرِ أهلك من بعدك.

****

عورات الكلام

وقال كعب بن سعد الغنوي من الطويل:

إِذا أَنتَ جالَستَ الرِّجالَ فَلا يَكُن عَلَيكَ لِعَوراتِ الكَلامِ دَليلُ [1]

يقول إذا جالست النَّاس فلا يكن لك للكلام السيء داعيًا أو دليلاً، وأضاف إلىٰ العورات الكلامَ، فكأنَّ للكلام عوراتٍ وهذا علىٰ سبيل الاستعارة.

****

ما الكَلِمُ العُورانُ لي بِقَبيلِ

وقال كعب بن سعد الغنوي من الطويل:

1. وَعَوراءَ قَد قيلَت فَلَم أَلتَفِـــــت لَهـا وَما الكَلِمُ العُورانُ لي بِقَبيلِ
2. وَأُعرِضُ عَن مَولايَ -لَو شِئتُ- سَبَّني وَما كُلَّ حينٍ حِلمُهُ بأَصيلِ
3. وَمــا أَنا لِلشَّيءِ الَّذي لَيــــسَ نافِعي وَيَغضَبُ مِنهُ صاحِبي بِقَؤولِ
4. وَلســــــــــتُ بِلاقي المَرءِ أَزعُمُ أَنَّهُ خَليلٌ وَما قَلبي لَهُ بِخَليلِ [2]

---

(1) الدرّ الفريد وبيت القصيد، محمد بن أيدمر المستعصمي، تح: د. كامل سلمان الجبوري، ج2، ص353.

(2) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ج11، ص573.

يقول في البيت الأول: رُبَّ قولٍ أعورٍ قبيحٍ قد قيل فلم أُعره اهتمامًا، لأنَّه لا يليق الكلام القبيح بي.

ويقول في البيت الثاني: وأُعرِض عن صديق إذا شتمني، وما كلَّ من يحلِم فهو أصيل الخُلُق.

وفي البيت الثالث يُقرِّر الشاعر قاعدةً للكلام وهي الابتعاد عن قول كل ما لا ينفع من لغو الحديث، وكل ما يضرُّ كالكلام الذي يُغضب الأصحاب، ونفي المبالغة في قوله (قؤول) على وزن (فعول) يدل على نفي ما هو غيرها وأقل منها.

وفي البيت الرابع يتَّسق ظاهر الشاعر مع باطنه فيقول بأنَّه لا يلتقي بالمرء الذي يزعم أنَّه صديقٌ للشاعر ولكن قلبه يكرهه.

****

الصبر من معادن الكرام

وقال منظور بن زبان رضي الله عنه:

نُبئتُ خولةَ أمسِ قد جزِعت   من أن تنوبَ نوائبُ الدهر

لا تجزعي يا خولَ واصطبري   إنَّ الكرام بُنوا على الصَّبر [1]

يقول في البيت الأول: أُخبِرت البارحة أنَّ خولةَ قد اضطربت وابتعدت عن الصبر وخافت من نوازل الدهر ومصيباته.

ويقول لها في البيت الثاني: لا تبتعدي عن الصبر وتضطربي بل اصبري، لأنَّ بنيان الكرام معمول من لَبِن الصبر.

(1) الأمالي، ابن اسحاق الزجاجي، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، 1987م، ص8.

منطق!

وقال موسى بن جابر الحنفي من المتقارب:

إذا ما علا المرء رام العُلا ويقنع بالدون من كان دونا [1]

إذا كانت طبيعة شخصية المرء وطبيعة نفسه طموحتان متوقِّدتان مُقدِمتان فإنَّه سيقصد العالي من الأشياء، والأفضل والأحسن من الأمور، بينما يقنع بالدنيء من الأشياء من كان دنيئًا، وفي هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ مَعاليَ الأُمورِ، وأَشرافَها، و يَكرَهُ سَفْسافَها"

الثقة بالنفس

وقال موسى بن جابر الحنفي من الرمل:

ما أبالي ألئيمٌ سبَّني أو عوى ذئبٌ بقاراتِ الجبل [2]

إنَّ شتم اللئيم لي وعواء ذئب في جبل كثيرِ الحجارة سواءٌ.

****

الشيخوخة

قال النمر بن تولبٍ يتذكّر زوجته جمرة التي قلَته من الطويل:

فَحُيِّيتِ مِن شَحطٍ فَخَيرٌ حَديثُنا وَلا يَأمَنُ الأَيامَ إِلّا مُضَلَّلُ

يَوَدُّ الفتى بعد اعتدالٍ وصِحَّةٍ ينوءُ إذا رام القيام ويُحمَلُ [3]

---

(1) شرح ديوان المتنبي، أبو البقاء عبد الله العكبري البغدادي محب الدين، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، ج4، ص94.

(2) معجم الشعراء، المرزُباني، تح: عبد الستار أحمد فراج، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص285.

(3) في ديوان المعاني (يُرَدُّ) .

يَوَدُّ الفَتىٰ طولَ السَّلامَةِ وَالغِنىٰ   فَكَيفَ تَرىٰ طولَ السَّلامَةِ يَفعَلُ؟ [1]

يقول الشاعر في البيت الأول: إنَّني أحييكِ مع بُعدك عني، ولا يأمنُ أحدٌ غدر الأيام إلا امرؤ مُضلَّلٌ.

ويقول في البيت الثاني: إنَّ الرجلَ الذي يتصف بالخصال الحميدة يُردُّ -حسب رواية ديوان المعاني- إلىٰ أول العُمر بعد الاعتدال والصحة، فلا يستطيع القيام وإنما يحتاج من يحملُه.

وقال في البيت الثالث: يود الرجلُ حسَنُ الخِصال طولَ السلامة من المصائب، واستمرار الغنىٰ، ولكن طول السلامة مُؤذنٌ بوقوع المصائب.

****

وصايا النَّمِر بن تولب رضي الله عنه

وقال النمِر بن تولب رضي الله عنه من المتقارب:

1	فَـــأَوصي الفَتَـــىٰ بِابتِنـــاءِ العُـــلا	وَأَن لا يَخـــــــونَ وَلا يَـــــــأثَما
2	وَيَلـــــبِسَ لِلـــــدَّهرِ إجلالَـــــهُ	فَلَـــن يَبنِـــيَ النَّـــاسُ مـــا هَـــدَّما
3	وَإِن أَنـــتَ لاقَيـــتَ في نَجـــدَةٍ	فَــــلا يَتَهَيَّبَـــكَ أَن تُقـــدُما
4	فَـــإِنَّ المَنِيَّـــةَ مَـــن يَخشَـــها	فَسَـــوفَ تَصـــادِفُهُ أَيـــنَما
5	وَإِن تَتَخَطّـــاكَ أَســـبابُها	فَـــإِنَّ قُصـــاراكَ أَن تَهرَمـــا
6	وَأَحبِـــب حَبيبَـــكَ حُبًّـــا رُوَيـــدًا	فَلَـــيسَ يَعولُـــكَ أَن تَـــصرِما
7	فَـــتُظلِمَ بِـــالودِّ مَـــن وَصـــلُهُ	رَقيـــقٌ فَتَســـفَه أَو تَنـــدَما

(1) ديوان النَّمِر بن تولب، تح: د. محمد نبيل الطريفي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 2000م، ص98-100-101.

8 وَأَبغـض بَغيضــكَ بُغضًــا رُوَيــدًا إِذا أَنـــتَ حاوَلـــتَ أَن تَحكُـــما

9 فَلَـــو أَنَّ مِـــن حَتفِـــهِ ناجِيًـــا لَأَلفَيتُـــهُ الصَـــدَعَ الأَعصَـــما [1]

يقول:

1. فَأَوصي الفَتىٰ بِابتِناءِ العُلا وَأَن لا يَخونَ وَلا يَأثَما

يقول في البيت الأول: أوصي الرجل الكريم بإعمار مجدٍ وخيرٍ له، وأن يجتنب الخيانة والإثم.

2. وَيَلبِسَ لِلدَّهرِ إجلالَهُ فَلَن يَبنِيَ النَّاسُ ما هَدَّما

ويقول في البيت الثاني: وأوصي الرجل أيضًا أن يعطي الدَّهرَ حقَّه من الإجلال، لأنَّ للدهر أثرٌ في حياة المرء من جهة القوة والضعف، فالذي يهدمه الدهر لا يستطيع الناسُ بناءه، وقد جاء المثل العربي بهذا المعنىٰ في العبارة الشهيرة القائلة: "لا يُصلح العطَّارُ ما أفسد الدهرُ".

3. وَإِن أَنتَ لاقَيتَ في نَجدَةٍ فَلا يَتَهَيَّبكَ أَن تُقدُما

وإذا خضت معركةً عسيرةً كربة شديدةً فلا تخف الإقدام ولا تحجم عنه.

4. فَإِنَّ المَنِيَّةَ مَن يَخشَها فَسَوفَ تَصادِفُهُ أَينَما

فإنَّ الذي يخاف وقوع الموت عليه، فسوف تلقاه وتقضي عليه أينما حلَّ أو ارتحل، وفي هذا المعنىٰ تناصٌ مع الآية الكريمة التي تقول: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ﴾ [2]، وقال الشاعر نفسه من الوافر:

---

(1) ديوان النَّمِر بن تولب، تح: د. محمد نبيل الطريفي، ص116 إلى ص218.

(2) النساء: 78.

وأعلمُ أن ستُدركني المنايا فإنْ لا أتّبعها تتّبعنِي

رَأَيتُ المانِعينَ المالَ يَومًا مَصيرُهُمُ لإلقاءٍ فَدَفنِ [1]

5. وَإن تَتَخَطّاكَ أَسبابُها فَإِنَّ قُصاراكَ أَن تَهرَما

وإذا لم تصبكَ المنية فإنَّ أكثر ما يمكنك فعله هو الهرَم؛ ولكن مهلًا ليس الهرمَ نهاية المطاف بل من بعده الموت.

6. وَأَحبِب حَبيبَكَ حُبًّا رُوَيدًا فَلَيسَ يَعولُكَ أَن تَصرِما

لا تبالغ في حبِّ حبيبك لأنَّك قد تفقده؛ لذلك لا تُكثر التعلُّق به، لأنَّك إذا قطعت علاقتك بمن تحب فإنَّك لن تفتقر، وفي الشطر الأول من البيت تناصٌ مع قول علي رضي الله عنه لابن الكوَّاء: "أحبِبْ حبيبَكَ هَوْنًا ما، عَسىٰ أن يَكونَ بغيضَك يومًا ما، وأبغِض بغيضَك هَونًا مَا، عسىٰ أن يَكونَ حَبيبَكَ يومًا ما". [2]

7. فَتَظلِمَ بِالودِّ مَن وَصلُهُ رَقيقٌ فَتَسفَه أَو تَندَما

فإنَّك إذا تجاوزت الحد المعقول في الحب، وأحببت من وصله لك قليلٌ فإنَّك تضع الحُب في غير موضعه، وهذا يؤدي بك إلى الجهل والنزَق أو الندم.

8. وَأَبغض بَغيضكَ بُغضًا رُوَيدًا إِذا أَنتَ حاوَلتَ أَن تَحكُما

وفي هذا البيت تناص مع الحديث الذي أوردناه في البيت السادس.

9. فَلَو أَنَّ مِن حَتفِهِ ناجِيًا لَأَلفَيتُهُ الصَدَعَ الأَعصَما

---

(1) ديوان النَّمِر بن تولب، تح: د. محمد نبيل الطريفي، ص134.

(2) الأدب المفرد، البخاري، تخريج وتعليق: الألباني، دار الصديق، الجبيل، الطبعة الثانية، 2000م، رقم الحديث: 1321، ص481.

لو كان هناك ناجٍ من الموت لكان الوعل الفتيُّ ذو اليدين البيضاوين.

الشورى

وقال النَّمِر بن تولب رضي الله عنه من المديد:

1. اِعلَمي أَنْ كُلُّ مُؤتَمِرٍ مُخطِئُ في الرَأيِ أَحيانا

2. فَإِذا ما لَم يُصِب رُشدًا كانَ بَعضُ اللَومِ ثُنيانا (1)

يقول في البيت الأول مخاطبًا زوجته: اعلمي أنَّ كلَّ هامٍّ بأمر بغير شورىٰ، سيخطِئ في قراراته أحيانًا.

ويقول في البيت الثاني: إنَّ الذي لم يستشر في أمره أحدًا ثم جانَب الهدىٰ والصواب كان اللوم عليه مُثنّىٰ، فالأول لعدم مشورته والثاني لخطئه.

****

كُلُّ عَيشٍ ونَعيمٍ زائِلٌ

قال عبد الله ابن الزبعرىٰ رضي الله عنه عندما كان كافرًا من الرَمَل:

كُلُّ عَيشٍ وَنَعيمٍ زائِلٌ وَبَناتُ الدَهرِ يَلعَبنَ بِكُلّ (2)

يُفصح الشاعر في هذا البيت عن الرؤية الجاهلية للحياة فهو يُصبِّر نفسه في اللقاء بقوله إنَّ كلَّ عيش ونعيم سينهيه الموت؛ لذا فلتكن الميتة في أرض المعركة فهي أشرف من الميتة علىٰ السرير، وفي الشطر الآخر من البيت يخبر أنَّ مصائب الدهر تلعب بجميع الناس، واللعب يرادف العبَث، ويخالف القصْد، فالجاهليون كانوا يعيشون في حياة عبثية خالية

---

(1) ديوان النَّمِر بن تولب، تح: د. محمد نبيل الطريفي، ص135-136.

(2) شعر عبد الله بن الزِّبعرى رضي الله عنه، تح: د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1981م، ص41.

من أي معنى، أما الشطر الأول من البيت فيذكّرنا بقول لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه من الطويل:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ   وكلُّ نعيم –لا محالةَ– زائلُ [1]

وقول حسان بن ثابت رضي الله عنه من الكامل:

وَأَيُّ جَديدٍ لَيسَ يُدرِكُهُ البِلى   وَأَيُّ نَعيمٍ لَيسَ يَومًا بِزائِلِ [2]

أيُّ شيءٍ جديدٍ لا يلحقه الفناء؟ وأيِّ نعيم لا يناله الزوال؟ لا شيءِ سوى الله تعالى.

****

النمامون أعداء

قال المُزَرِّد بن ضرار الغطفاني من الطويل:

وفي النَّاس أعداءٌ فلا تأمنَّنَهم   وُشاةٌ مُشاةٌ بالأحاديث نُمَّسِ [3]

يقول إنَّ من الناس من هو عدوٌ لك، فلا تأمن جانبهم، لأنَّ هؤلاء الأعداء وُشاةٌ ساعون لإفساد العلاقة بين الناس عن طريق الوشاية بينهم، وهؤلاء الأعداء أيضًا ينقلون الأحاديث عامةً بين الناس، وأيضًا ينمون بينهم، ومن الجميل في هذا البيت الجناس الناقص في كلمتي (وشاةٌ، مُشاةٌ)، الذي أعطى للبيت موسيقى داخلية جميلة، قال تعالى ذامًا النمامين: (هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) [4]

****

(1) ديوان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه، ص132.

(2) ديوان حسان بن ثابت، شرح عبدأ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1994م، ص188.

(3) المزرد بن ضرار الغطفاني برواية ابن السكيت وغيره وشرح ثعلب، تح: خليل إبراهيم العطية، وزارة المعارف، مطبعة أسعد، بغداد، الطبعة الأولى، 1962م، ص61.

(4) القلم:11.

الدنيا أطوارٌ

وقال النابغة الجعدي من الطويل:

وَأَعلمُ أَنَّ الخَيرَ لَيسَ بِدائمٍ   عَلَينا وَأَنَّ الشَّرَّ لا هُوَ يَرتُبُ [1]

إنَّ لهذه الدنيا أطوارًا، فليسَ الخيرُ بدائمٍ، ولا الشرُّ بثابت، وعن هذا المعنىٰ يوجد قصةٌ قصيرة تنقل: (قول ملكٍ لوزيره دُلني علىٰ عبارةٍ إن ذكرتُها وأنا سعيدٌ أحزن، وإذا ذكرتها وأنا حزين أسعَد، فقال له الوزير: هذا الوقت سيمضي).

****

أثر الدهر

وقال النابغة الجعدي رضي الله عنه أيضًا من الوافر:

أَلا يا لَيتَنِي وَالمرءُ مَيتُ   وَما يُغنِي مِنَ الحِدْثَانِ لَيتُ [2]

هنا يتمنىٰ الشاعر الموت والحظ جمال الجملة الاسمية الحالية (المرء ميتُ)، ويقول في الشطر الآخر: إنَّ قولَ كلمة (ليت) لا ينفع، وهنا نلحظ شدِّة وطأة حوادث الدهر علىٰ الشاعر.

****

(1) ديوان النابغة الجعدي رضي الله عنه، د. واضح الصمد، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م، ص30.

(2) ديوان النابغة الجعدي، د. واضح الصمد، ص47.

أرذل العمر

وقال النابغة الجعدي رضي الله عنه أيضًا من الطويل:

إِذا المَرءُ عَلبىٰ [1] ثُمَّ أَصبَحَ جِلدُهُ   كَرَحضِ غَسِيلٍ [2] فالتَّيَمُّنُ [3] أَروَحُ [4]

إذا شاخ المرءُ وتجعد جلده وطعن في السن فالموت أكثر راحةً له.

****

ما البغي إلا على أهله

وقال النابغة الجعدي رضي الله عنه أيضًا من المتقارب:

1. فَذَر ذا وَعدٍّ إِلىٰ غَيرِهِ   فَشَرُّ المَقالَةِ ما يُعتَسَرْ
2. وَما البَغيُ إِلاَّ عَلىٰ أَهلِهِ   وَما الناسُ إِلاَّ كهذي الشَجَرْ
3. تَرَىٰ الغُصنَ في عُنفُوانِ الشَبا   بِ يَهتَزُّ في بَهَجاتٍ خُضَرْ
4. زَمانًا مِنَ الدَّهرِ ثُمَّ التَوىٰ   فَعادَ إِلىٰ صُفرَةٍ فِانكَسَرْ
5. وَكَم مِن أَخِي عَيلَةٍ مُقترٍ   تَأَتَّىٰ لَهُ المالُ حَتَّىٰ اِنجَبَرْ
6. وَآخرَ قَد كانَ جَمَّ الغِناءِ   رَمَتهُ الحَوادِثُ حَتّىٰ اِفتَقَر
7. وَكَم غائبٍ كانَ يَخشَىٰ الرَّدىٰ   فَآبَ وَأَودَىٰ الَّذي في الحَضَر [5]

يقول:

---

(1) اشتدَّ عرقٌ في الرقبة لديه وامتدّ.

(2) القماش البالي من كثرة الغسل.

(3) وضعه على شقه الأيمن في القبر.

(4) ديوان النابغة الجعدي، د. واضح الصمد، ص51.

(5) المصدر السابق نفسه، د. واضح الصمد، ص53-54.

1. فَذَر ذا وَعدِّ إِلىٰ غَيرِهِ فَشَرُّ المَقالَةِ ما يُعتَسَرْ

كان الشاعر يخوض في موضوعٍ ما ثم أضرب إلىٰ غيره وقال: شر القولِ القولُ العسير.

2. وَما البَغيُ إِلاَّ عَلىٰ أَهلِهِ وَما النَّاسُ إِلاَّ كهذي الشَّجَرْ

3. تَرَىٰ الغُصنَ في عُنفُوانِ الشَّبا بِ يَهتَزُّ في بَهَجاتٍ خُضَرْ

4. زَمانًا مِنَ الدَهرِ ثُمَّ التَوىٰ فَعادَ إِلىٰ صُفرَةٍ فانكَسَرْ

نشرح الأبيات الثلاث معًا لترابطهم يقول الشاعر: إنَّ الظُّلم يعود علىٰ الذي مارسه، ثم يشبِّه تشبيهًا تمثيليًا فيقول: إنَّه كما أنَّ الغصن في طور اشتداده يفرح مخضرًّا حينًا من الدهر لكنَّه ما يلبث أن يُلوىٰ ثم يصفر وييبس فينكسر، فكذلك الإنسان وهو يشير في ذلك إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [1] وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [2]

5. وَكَم مِن أَخِي عَيلَةٍ مُقترٍ تَأَتَّىٰ لَهُ المالُ حَتّىٰ انجَبَرْ

كم من منفق المال علىٰ عائلته والآخرين وهو فقير قد رزقه الله مالًا حتىٰ جُبِر كسره.

6. وَآخرَ قَد كانَ جَمَّ الغِناءِ رَمَتهُ الحَوادِثُ حَتّىٰ افتَقَر

وكم من إنسان كان غنيًا جدًا، رمته الحوادث بالمصائب إلىٰ أن صار فقيرًا.

7. وَكَم غائبٍ كانَ يَخشَىٰ الرَّدىٰ فَآبَ وَأَودَىٰ الَّذي في الحَضَر

(1) الروم: 54.

(2) نوح: 14.

وكم من مسافرٍ غائب كان يُخاف عليه من الموت، ولكنه رجع، ومات الذي لم يسافر وبقي في المدينة والقرية.

****

إِنَّ الحَياةَ قَصِيرَةٌ

وقال النابغة الجعدي رضي الله عنه أيضًا من الطويل:

1. وَلاَ تَسأَلا إِنَّ الحَياةَ قَصِيرَةٌ فَطِيرا لِرَوعاتِ الحَوادِثِ أَو قِرا
2. وَإِن جاءَ أَمرٌ لا تُطِيقانِ دَفعَهُ فَلاَ تَجزَعا مِمَّا قَضىٰ اللهُ واصبِرا
3. أَلَم تَعلَما أَنَّ المَلامَةَ نَفعُها قَلِيلٌ إِذَا ما الشَّيءُ وَلَّىٰ فَأَدبَرا
4. تَهِيجُ اللِّحاءَ وَالمَلاَمَةَ ثُمَّ ما تُقَرِّبُ شَيئًا غَيرَ ما كَانَ قُدِّرا
5. لَوىٰ اللهُ عِلمَ الغَيبِ عَمَّن سِواءَهُ وَيَعلَمُ مِنهُ ما مَضىٰ وتَأَخَّرا [1]

ثم يقول بعد أبيات:

6. تَذَكَّرَ شَيئًا قَد مَضىٰ لِسَبِيْلِهِ وَمِن حاجَةِ المَحزُونِ أَن يَتَذَكَّرا [2]

يقول في البيت الأول: لا تطلبا السلامة؛ لأنَّ الحياة قصيرة، فأقدما على الحوادث المخيفة أو قِرا في منزلكما كالنساء.

ويقول في البيت الثاني: وإن أَلَمَّ بِكُما أمرٌ لا تستطيعان مقاومتَه، فلا تفقدا الصبر على قضاء الله، بل صبِّرا نفسيكما.

(1) ديوان النابغة الجعدي، د. واضح الصمد، ص55.

(2) المصدر السابق نفسه، ص57.

ويقول في البيت الثالث: ألم تعلما أنَّ لوم الناس بعد وقوعهم في الأخطاء نفعه قليلٌ، فلماذا تُكثران من الملامة؟

ويقول في البيت الرابع: إنَّ الملامة تبعث الملامةَ والسبَّ والشتم والجفاء والقطيعة، ثم لا تُغيِّر ما قدَّر الله تعالى.

ويقول في البيت الخامس: أخفى الله علم الغيب عن سواه، ويعلم ماضي الغيب ومستقبله.

يقول في البيت السادس: إنَّ هذا الشخص قد تذكَّر شيئًا مضى في طريقه؛ لأنَّ من طبيعة الذي مسَّه الحزن مسًا بليغًا أن يتذكَّر ويعيد تذكُّر ما حدث معه من مصائب.

الحِلم والجهل

وقال النابغة الجعدي رضي الله عنه من الطويل:

1. وَلا خَيرَ فِي جَهلٍ إِذَا لَم يَكُن لَهُ حَلِيمٌ إِذَا ما أَورَدَ الأَمرَ أَصدَرا
2. وَلا خيرَ فِي حِلمٍ إِذَا لَم تَكُن لَهُ بَوَادِرُ تَحمي صَفوَهُ أَن يُكَدَّرا[1]
3. فَفِي الحِلمِ خَيرٌ مِن أُمورٍ كَثيرةٍ وفِي الجَهلِ أَحيانًا إِذا ما تَعَذَّرا
4. كَذاكَ لعَمْرِي الدَّهرُ يومانِ فاعرِفوا شُرورٌ وَخيرٌ لا بَلِ الشَّرُّ أَكثَرا[2]

يقول في البيت الأول: لا خيرَ في السَّفه وربما يقصد هنا (الإقدام) إذا لم يكن هناك حليمٌ يضبطه بطريقة تدل على حسن تصرُّفه في الأمور والمواقف.

ويقول في البيت الثاني: ولا خير في حلمٍ إذا لم يكن فيه إسراع يحميه من كدر البطء.

(1) ديوان النابغة الجعدي، د. واضح الصمد، ص85.

(2) المصدر السابق نفسه، ص86.

ويقول في البيت الثالث: إنَّ في الحلم خيرٌ أفضل من أمور كثيرة، ويكمن في الجهل – أيضًا– الخيرُ –أحيانًا– إذا تعذَّر فعل الحلم.

ويقول في البيت الرابع: إنَّ الدهر يومان، يومٌ للشر ويوم للخير ثم يستدرك برؤية واقعية للحياة فيقول بل الشر أكثر.

****

عِزَّة النَّفْس

وقال النابغة الجعدي رضي الله عنه من الطويل:

إِذا المَرءُ لَم يَطلُب مَعاشًا يَكُفُّهُ   شَكا الفَقرَ أَو لامَ الصَديقَ فَأَكثَرا [1]

إذا المرءُ لم يسعَ في طلب رزقٍ يمنعه عن السؤال وعن أكل أموال الآخرين بالباطل، فإنَّه سيشكو الفاقة والحاجة، أو سيكثر من لوم الصديق، وهذه حكمةٌ غاليةٌ ثمينةٌ تدل على خبرةٍ يمتلكها الشاعر في تحليل نفسية الناس.

****

طول العيش

وقال النابغة الجعدي رضي الله عنه أيضًا من مجزوء الكامل:

1. المَرءُ يَرغَبُ في الحَيا   ةِ وَطولُ عَيشٍ قَد يَضُرُّهُ
2. تَفنى بَشاشَتُهُ وَيَبقى   بَعدَ حُلوِ العيشِ مُرُّهُ
3. وَتَسوؤُهُ الأَيّامُ حَتّى   ما يَرى شَيئًا يَسُرُّهُ

---

(1) ديوان النابغة الجعدي، د. واضح الصمد، ص88.

4. كَم شامِتٍ بِي إِن هَلَكـ ـتُ وَقَائِلٍ للهِ دَرُّهُ [1]

يقول في البيت الأول: إن المرء يودُّ أن يُعمَّر في الحياة، ولكنَّ الشيخوخة قد تَضُرُّ الإنسان.

ويقول في البيت الثاني: إنَّ آثار الفرح التي تبدو على المرء بعد عيشه عيشًا جميلًا تفنى وتذهب، ويأتي بعدها العيش المُرُّ.

ويقول في البيت الثالث: إنَّ الأيام إذا ساءت شخصًا ما فإنَّه يجحد وينكر بقية الأشياء الجميلة التي يمكن أن تُسعِدَه.

وكأنَّ الشاعر في البيت الرابع ينتقد المرء الذي تسودُّ عيشتَه لأدنى مصيبة، فيقول كما أنَّني عندما أموت سيشمت بي بعض الناس، وسيثني عليَّ بعضهم الآخر فكذلك يجب أن ننظر إلى الجانب المشرق من الحياة وليس جانبًا واحدًا؛ لأنَّ الحياةَ لها جانبان.

****

النفع والضر

وقال النابغة الجعدي رضي الله عنه أيضًا منه الطويل:

إِذا أَنتَ لَم تَنفَع فَضُرَّ فَإِنَّما يُرَجَّى الفَتَى كَيما يَضُرُّ ويَنفَعُ [2]

إذا أنت لم تنفع أقاربك فَضُرَّ أعداءك، فإنَّه حريٌّ بالفتى أن يَضُرَّ وينفع.

****

(1) ديوان النابغة الجعدي، د. واضح الصمد، ص92-93.

(2)المصدر السابق نفسه، ص106.

فضل السؤال

قال النابغة الجعدي رضي الله عنه من الرَمَل:

سَأَلَتْنِي جارَتي عَن أَمَتي وَإِذا ما عَيَّ ذُو اللُّب سَأَل [1]

إنَّ جارتي سألتني عن أمَتي، وأنا أرىٰ أن في جارتي ذكاءً فهي لم تتحمل أن تجهل مكان أمَتي فسألت.

****

العَصَبية نُصرة

وقال أمية بن أبي الصلت أيضًا من البسيط:

1. مَن كانَ ذا عَضُدٍ يُدرِك ظُلامَتَهُ إِنَّ الذَّليلَ الَذي لَيسَت لَهُ عَضُدُ
2. تَنبو يَداهُ إِذا ما قَلَّ ناصِرُهُ وَتأنَفُ الضَّيمَ إِن أَثرىٰ لَهُ عَضُدُ [2]

إنَّ الذي لديه من يساعده ويناصره فسيدرك ما أخذه الناسُ منه، معنويًا وماديًا، وبناء علىٰ هذا، فإنَّ الذليل هو الذي ليس له نصيرٌ، والعزيز هو صاحب الأنصار الكُثُر.

****

الأنام رعايا الله

وقال أمية بن أبي الصلت (ولم يُسلم) من البسيط:

1. إِنَ الأَنامَ رَعايا الله كُلَّهُمُ هوَ السَّلَيطَطُ فَوقَ الأَرضِ مُستَطِرُ

(1) ديوان النابغة الجعدي، د. واضح الصمد، ص118.

(2) ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع: بشير يموت، ص30.

2. وَلَيسَ يَبقىٰ لِوجهِ اللهِّ مُختَلَقٌ   إلاّ السَّماءَ وَإلّا الأَرضِ وَالكَفَرُ

3. لَو كانَ مُنفَلِتٌ كانَت قَساقِسَةٌ   يُحِييهُمُ اللهُّ في أَيديهِم الزُبُرُ

4. وَلَيسَ ذو العِلمِ بِالتَّقوىٰ كَجاهِلِها   وَلا البَصيرُ كأَعمىٰ ما لَهُ بَصَرُ

5. فَاِستَخبِرِ النَّاسَ عَمّا أَنتَ جاهِلُهُ   إِذا عَميتَ فَقَد يَجلو العَمىٰ الخَبَرُ [1]

يقول في الشطر الأول من البيت الأول: إنَّ الخلق رعايا الله، وهذا المعنىٰ ورد في الحديث الشريف الضعيف الذي يقول: "الخَلْقُ عيالُ اللهِ فأحَبُّ عيالِه ألطفُهم بأهلِه" [2]، ثم يقول: إنَّ الله هو الخالق المسيطر ذو السطوة والغَلَبة.

ويقول في البيت الثاني: إنَّه لن يبق مع الله مخلوقٌ في الكون إلا السماء والأرض والزرع، وفي هذا إشارة ناقصة إلىٰ الآية الكريمة التي تقول: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [3].

ويقول في البيت الثالث: لو كان هناك من يستطيع الإفلات من الموت لكانوا القساوسة الذين يقرؤون الزَّبور.

ويقول في البيت الرابع: ليس الذي خَبِرَ التقوىٰ وعاشها أسلوبَ حياةٍ مثل الذي لا يعرف معنًىٰ للتقوىٰ في حياته، فالمتقي كالبصير، والفاجر كالأعمىٰ.

ويقول في البيت الخامس: اسأل الناس واطلب المعرفة عما تجهله، وكنىٰ عن الجهل بالعمىٰ فقال: إذا عميت، فقد يوضِّح ويبصِّر العمىٰ وهو الجهلُ، الخبرُ وهو السؤال.

****

(1) ديوان أمية بن أبي الصلت، ص33.

(2) شعب الإيمان، البيهقي، رقم الحديث:7047، ص523.

(3) الرحمن:26-27.

هدى الله تعالى

وقال أمية بن أبي الصلت أيضًا من مجزوء البسيط:

1. مَن يَطمسُ الله عَينيهِ فَلَيسَ لَهُ نورٌ يُبيِّنَ بِهِ شَمسًا وَلا قَمَرا [1]

فمن يُغلق الله على نورِ عَينيه فليس له من نور يُفرِّقُ به بين الشمس والقمر، وفي هذا المعنى إشارةٌ إلى الآية الكريمة التي تقول: "وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ". [2]

****

من هو الفتى الحق؟

وقال أمية بن أبي الصلت أيضًا من الطويل:

1. إِذا اِكتَسَبَ المالَ الفَتى مِن وجوهِهِ وَأَحسَنَ تَدبيرًا لَهُ حينَ يَجمَعُ
2. وَمَيَّزَ في إِنفاقِهِ بَينَ مُصلِحٍ مُعايَشَةً فيما يَضُرُ وَيَنفَعُ
3. وَأَرضى بِهِ أَهل الحُتوفِ وَلَم يَضَع بِهِ الذُّخرَ زادًا لِلَتي هيَ أَنفَعُ
4. فَذاكَ الفَتى لا جامِعُ المالِ ذاخرًا لِأَولادِ سوءٍ حَيثُ حَلُّوا وَأَوضَعوا [3]

يقول في البيت الأول: إذا اكتسب الرجلُ المالَ بالطَرائق المشروعة، وجمَّعَه بحكمة. ويقول في البيت الثاني: وميَّز في إنفاقه بين من يُصلِح أمورَه بإنفاقها في محلها، وبين من يفسدها بتبذيرها.

(1) ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع: بشير يموت، ص36.

(2) النور:40.

(3) ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع: بشير يموت، ص40.

ويقول في البيت الثالث: وأرضى بالمال أصحاب الديَّات ولم يدِّخر هذا المال لما هو أنفع من ذلك.

ويقول في البيت الأخير: فإنَّه إن فعل هذه الأشياء بالمال فهو الرجل الشهم الماجد الكريم وليس الذي يجمع المال مدخرًا إياه لأولاده السيئين حيث أقاموا وساروا.

****

حَدَثان الدَّهر

وقال أمية بن أبي الصلت أيضًا من البسيط:

1. يا نَفسُ مالَكِ دونَ اللهِ مِن واقِ وَما عَلى حَدَثانِ الدَّهرِ مِن باقِ [1]

يقول مخاطبًا نفسه: يا نفسي ليس لكِ غيرُ الله من واقٍ، أو قد يكون المعنى ليس لك أحدٌ يحميك من الله، وهذا المعنى أقرب لقرينة الشطر الآخر الذي يقول: لا أحد يبقى سليمًا أو حيًّا بعد مصائب الدهر الجسام العظيمة.

****

إنَّ يومَ الحِسابِ يومٌ عَظيمٌ

وقال أمية بن أبي الصلت أيضًا من الخفيف:

1. كُلُ عَيشٍ وَإِن تَطاوَلَ دَهرًا مُنتَهى أَمرُهُ إِلى أَن يَزولا
2. لَيتَني كُنتُ قَبلَ ما قَد بَدا لي في رُؤوسِ الجِبالِ أَرعى الوعولا
3. فَاِجعَلِ المَوتَ نُصبَ عَينِكَ وَاِحذَر غَولَةَ الدَهرِ إِنَّ لِلدَهرِ غَولا

(1) ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع: بشير يموت، ص43.

4. إنَّ يومَ الحِسابِ يومٌ عَظيمٌ شابَ فيهِ الصَغيرُ شَيبًا طَويلًا [1]

يقول في البيت الأول: إنَّ كلَّ عيشٍ مهما طالَ وامتدَّ به الزمن فإنَّ منتهاه أن يزول ويَنتهي ويُمحىٰ.

ويقول في البيت الثاني: ليتني كنت قبل ما ظهر لي من المصائب والأحداث أرعىٰ الماعز في رؤوس الجبال.

ويقول في البيت الثالث: اجعل الموت أمام عينيك أي تذكَّره دائمًا واحذر أذىٰ الدهر ومصائبه فإنَّ له مصائبَ عظيمةً.

ويقول في البيت الرابع: إنَّ يوم القيامة يومٌ جليلٌ يشيب فيه الأطفال لهوله وشدَّته، وفي هذا تناص مع قوله تعالىٰ: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [2].

****

الاستعداد للمصائب

قال أمية بن أبي الصلت أيضًا من الكامل:

1. وَلَكِنَّ مَن لا يَلقَ أَمرًا يَنوبُهُ بِعُدَّتِهِ يَنزِل بِهِ وَهو أَعزَلُ [3]

إنَّ من لا يلق الأمر وهو متجهزٌ له بالسلاح فإنَّ هذا الأمر أو المصيبة تنزل به وهو أعزلٌ من الجَهاز، وهو ما يؤدي إلىٰ خسائر كبيرة بسبب عدم الاستعداد للأمر.

****

(1) ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع: بشير يموت، ص45.

(2) المُزَّمِّل: 17.

(3) ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع: بشير يموت، ص46.

التوسُّط خيرٌ

وقال أمية بن أبي الصلت أيضًا من البسيط:

1. لا يَذهَبنَّ بِكَ التَفريطُ مُنتَظِرًا طولَ الأَناةِ وَلا يَطمَع بِكَ العَجَلُ

2. فَقَد يَزيدُ السُّؤالُ المَرءَ تَجرِبَةً وَيَستَريحُ إِلى الأَخبارِ مَن يَسَلُ [1]

يقول في البيت الأول: لا يجوز أن يصل بك التطرف أن تنتظر كثيرًا وتتأنى طويلًا، وفي الوقت نفسه لا تطمع كثيرًا بتعجلك.

ويقول في البيت الآخر: لذا احرِص على السؤال والاستزادة من العلم والبحث عن الحكمة عند غيرك؛ فإنَّ ذلك يزيد من تجرِبتك في الحياة و(قد) هنا للتحقيق، فهي مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ [2] أي قد علِم، ثم يقول الشاعر في الشطر الآخر: إنَّ الذي يسأل كثيرًا يطمئن إلى صحة ما وصل إليه من أنباء، وعن قتل السؤالِ الجهلَ قال أيضًا من الطويل:

1. وَقَد يَقتُلُ الجَهلَ السُؤالُ وَيَشتَفي إِذا عايَنَ الأَمرَ المُهِمَّ المُعاينُ

2. وَفي البَحثِ قُدْمًا وَالسُؤالُ لَذي العَمى شِفاءٌ وَأَشفى مِنهُما ما تُعاينُ [3]

يقول في البيت الأول: إنَّ من يسأل ويستفسر عن الأمور فإنَّه بذلك يقتلُ جهلَه، ويشتفي فؤادُه، وترتاحُ نفسه؛ لأنَّه في سؤال الآخرين واستخلاص التجربة منهم وأخذها ما يغني عن معايشتها واقعًا ومعاينتها عَيانًا.

---

(1) يوان أمية بن أبي الصلت، جمع: بشير يموت، ص46.

(2) الأحزاب: 18.

(3) جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر القرطبي، تح: فواز زمرلي، مؤسسة الريان، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 2003، ج1، ص178.

ويقول في البيت الآخر مُستدركًا ومغيِّرًا رأيه: إنَّ في البحث بلا توقُّف، وفي السؤال شفاءٌ، وأكثر شفاءً من هذا هو المعاينة.

****

المُعمَّرون

وقال أمية بن أبي الصلت أيضًا من الوافر:

فَكُلُّ مُعَمَّرٍ -لا بُدَّ يومًا- وَذي دُنيا يصيرُ إلىٰ زَوالِ

وَيَفنىٰ بَعدَ جِدَّتِهِ وَيبلىٰ سِوىٰ الباقي المُقَدَّسِ ذي الجَلالِ [1]

يقول في البيت الأول: إنَّ كلَّ من طال وامتد به العُمْر، وكلَّ صاحب مالٍ وجاهٍ لا محالةَ أنَّهما سيزولان من الوجود، ويفنيان بعد أن كانت النضارة والحداثة تنضح منهما. ويقول في البيت الآخر: وسيفنىٰ الكلُّ ويبقىٰ الله الباقي المنزَّه عن النقائص وحده حيًّا، وفي هذا تناصٌ مع قوله تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [2].

****

المكابرة على الآلام

وقال تميم بن أبي بن مقبل العجلاني التميمي رضي الله عنه من الطويل:

1. إِذَا النَّاسُ قَالُوا كَيْفَ أَنْتَ؟ وقَدْ بَدَا ضَمِيرُ الَّذِي بِي قُلْتُ لِلنَّاسِ صَالِحُ
2. لِيَرْضَى صَدِيقٌ أَوْ لِيَبْلُغَ كَاشِحًا ومَا كُلُّ مَنْ سَلَفْتَهُ الوُدَّ نَاصِحُ [3]

---

(1) ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع: بشير يموت، ص49.

(2) الرحمن:27.

(3) ديوان ابن مقبل، تح: د. عِزَّة حَسَن، دار الشرق العربي، بيروت، حلب، 1995م، ص49.

إذا سألني الناس كيف حالك قلت لهم إنَّني صالحٌ جيِّدٌ بخيرٍ وذلك في اللحظة التي ظهر فيها عليَّ ما أحاولُ تخبئته من السوء، وأفعل ذلك ليرضى الصديق ويُسرَّ، أو من أجل أن يبلغ خبرُ أنَّني بخيرٍ إلى مضمر العداوة لي.

****

رُدِّي فؤادي

وقال تميم بن أبي بن مقبل العجلاني التميمي رضي الله عنه من الطويل:

فَرُدِّي فُؤَادِي أَوْ أَثِيبِي ثَوَابَهُ   فَقَدْ يملكُ المَرْءُ الكَرِيمُ فَيُسْجِحُ [1]

يقول مخاطبًا حبيبته: رُدِّي فؤادي إليَّ أو أعطني جزاءً جزيلًا عليه من الحب والوُد، فمن المعروف أنَّه عندما يملك الشخص الكريمُ الحقَّ فإنَّه يلين ويعفو.

****

الصحبة تكشف الأخلاق

وقال تميم بن أبي بن مقبل العجلاني التميمي رضي الله عنه من الطويل:

1 فَإِنَّكَ لاَ تَبْلُو امْرَأً دُونَ صُحْبَةٍ   وحَتَّى تَعِيشَا مُعْفِيَيْنِ [2] وتُجْهَدَا [3]

2 وقَدْ يَبْعَثُ الشَّرَّ الضَّعِيفُ ولاَ تَرَى   إِذَا غَابَتِ الأَحْسَابُ عَنْهُنَّ مِذْوَدَا

3 فَلِلْعَفْوِ أَقْوَامٌ ولِلْجَهْلِ غَيْرُهُمْ   إِذَا لَمْ تُوَفِّ البُزَّلُ الكُومُ مِرْفَدا

4 خَلِيلَيَّ لاَ تَسْتَعْجِلاَ وانْظُرا غَدًا   عَسَى أَنْ يَكُونَ المُكْثُ في الأَمْرِ أَرْشَدَا

5 لَعَلَّكُمَا أَنْ تَخْزَيَا قَرْضَ مِثْلِهَا   عَلَى حَاجَةٍ إِنْ نَائِبُ الدَّهْرِ أَطْرَدَا [4]

---

(1) ديوان ابن مقبل، ص53.

(2) المعفى: هو الذي لا ينال من معروف صاحبه شيئًا.

(3) أُجهِد الرجل: بذل الوسع والطاقة حتى بلغ المشقَّة.

(4) أطردَ: جاء بعد آخر سبقه.

6 دَعَـا الـدَّهْرَ يَفعَـلْ مَـا أَرَادَ فَإِنَّـهُ   إِذَا كُلِّـفَ الإِفْسَـادَ بِالنَّـاسِ أَفْسَـدَا [1]

يقول في البيت الأول: إنَّك لا تستطيع أن تختبر المرءَ دون أن تختبِر صُحبَتَه في الرخاء والشِّدة، وقريب منه قول الجاهلي عبيد بن الأبرص من الطويل:

وَلا تُظهِرَن حُبَّ اِمرِئٍ قَبلَ خُبرِهِ   وَبَعدَ بَلاءِ المَرءِ فَاذمُم أَوِ اِحمَدِ [2]

فالبيتان يدوران حول معنى الابتعاد عن الأحكام المُسبقة، ومن ذلك قصة ذلك الرجل الذي أتى الفاروق عمر رضي الله عنه يريد الشهادة على أمرٍ ما: "شهد رجلٌ عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشهادةٍ فقال له: لست أعرفك ولا يضرك أن لا أعرفك، ائت بمن يعرفك، فقال رجلٌ من القوم: أنا أعرفه قال بأيِّ شيء تعرفه قال بالعدالة والفضل فقال: فهو جارُك الأدنى الذي تعرف، ليله ونهاره ومدخله ومخرجه قال: لا، قال: فمُعاملك بالدِّينار والدِّرهم الّلذين بهما يُستدلُّ على الورع قال: لا، قال: فرفيقك في السَّفر الذي يُستدل على مكارم الأخلاق قال: لا، قال: لست تعرفه ثمَّ قال للرجل: ائت بمن يعرفك!". [3]

ويقول في البيت الثاني: قد يبدأ الضعيف بنشر الشرِّ مع أنَّه ضعيفٌ، وربما أنَّه من المعتاد في الجاهلية أنَّ من كان ضعيف القوَّة العسكرية فهو ضعيف القوة المعنوية الكامنة في الحسب الرفيع والمجد التليد، فإذا لم تكن قبيلةٌ ذاتُ حَسَبٍ رفيع، فلا يوجد شيءٌ يستحِقُّ

(1) ديوان ابن مقبل، تح: د. عِزَّة حَسَن، ص60.

(2) ديوان عَبيد بن الأبرص، شرح: أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطّبعة الأولى، 1994م، ص60.

(3) السُّنن الكبرى، البيهقيّ، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الثالثة، 2003م، ج10، ص213-214.

الدفاعَ عنه بنظرهم، وعن معنى أنَّ الضعيفَ القليلَ قد يبعثُ القويَّ الكثيرَ قال الجاهليّ طرفة بن العبد أيضًا من الكامل:

قَد يَبعَثُ الأَمرَ العَظيمَ صَغيرُهُ حَتّى تَظَلَّ لَهُ الدِّماءُ تَصَبَّبُ [1]

فقد تشتعل الحرب من أجل فوز ناقةٍ على أخرى في سباق! فقد يؤدي الأمرُ الصغير إلى أمرٍ عظيم، ومن ذلك قول الشاعر:

كلُّ الحوادثِ مبداها من النظر ومعظمُ النَّار من مستصغر الشرر

كم نظرةٍ بلغت من قلب صاحبها كمبلغ السهم بين القوس والوتر [2]

والتشبيه هنا تمثيلي، فكما أنَّ النَّارَ العظيمة تبدأ وتزكو وتكبُر بسبب الشرارة الحقيرة، فكذلك الزنا -وهو من الكبائر- يبدأ بالنَّظَر، وفي هذا قال أحمد شوقي:

نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ فكلامٌ فموعدٌ فلقاءٌ [3]

ويقول في البيت الثالث: إنَّ للعفو أقوامٌ يليق بهم العفوُ، وللجهل والطيش والحمق أقوامٌ يليق بهم ذلك، ولكنَّ الكِرام يزيدون في العطاء حتى عند القحط والجدب، فقال في الشطر الآخر حتى عندما لا تستطيع الناقة التي بلغت التاسعة من عمرها وهي عظيمة السنام أن تملأ القدح المخصص للأضياف ويسمّى المِرفد.

ويقول في البيت الرابع منتقلًا إلى النصح: يا صديقيَّ اللذين تشمتان بي الآن، اتئدا وتأنَّيا وبطِّئا وانتظرا الغد، فلربما يكون التمهُّل أقرب للرشَد والسداد.

---

(1) ديوان طرفة بن العبد، شرح: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، الطّبعة الأولى، 2003م، ص13.

(2) الداء والدواء، ابن قيّم الجوزية، الهدي المحمدي، عين شمس، الطبعة الأولى، 2010م، ص178.

(3) الشوقيات، أحمد شوقي، مؤسسة هنداوي، مصر، ص507.

ويقول في البيت الخامس: أنتما تشمتان بي الآن ولكن مهلًا، فلربما تُفضحان أو تُذلَّان إن وقعتما في مثل ما وقعت به من مسيس الحاجة.

ويقول في البيت الأخير: اتركا الدهر يفعل ما يريد فإنَّه إذا أُلزِم بأمرٍ فإنَّه يفعله إن خيرًا وإن شرًا.

****

لا تقاعد عن عمل الخيرات

قال تميم بن أبي بن مقبل العجلاني التميمي رضي الله عنه من البسيط:

1. وفي الفَتَىٰ بَعْد شَيْبِ الرَّأْسِ مُعْتَمَلٌ   في الصَّالِحِينَ وإِفْضَال علَىٰ الجَارِ [1]

يحتمل البيت أحدَ معنيين، الأول: أنَّ المرء بعدَ أن يشيب تقل عنده وساوس الشيطان والنفس، فيتَّجِه إلىٰ الأعمال الصالحة، ومن ذلك إكرام الجار، وأما المعنىٰ الثاني -وهو الأقرب- هو: إنَّ الرجل الماجد لا تتوقَّف أعماله الخيرة بعد أن يكتهل ويشيخ بل تزيد هذه الأعمال في هذه الأوقات.

****

ذم الكِبر

وقال تميم بن أبي بن مقبل العجلاني التميمي رضي الله عنه أيضًا من الطويل:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ البَحْرَ يَضْحَلُ مَاؤُهُ   فَتَأْتِي عَلَىٰ حِيتَانِهِ نَوْبَةُ الدَّهْرِ [2]

(1) ديوان ابن مقبل، تح: د. عِزَّة حَسَن، ص89.

(2) المصدر السابق نفسه، ص92.

ألم تنظر أنَّ البحر يقلُّ ماؤه فيميت الدهرُ أسماكَه؛ إذن لا تتكبَّر، وقال أيضًا ناقدًا الكِبْر من الطويل:

1. ومُسْتَكْبِرٍ مَنْ بَاتَ حَاجِبَ بَابِهِ   مِنَ الناسِ إلاَّ ذَا المَهَابَةِ يُحْجَبِ [1]

رُبَّ ملكٍ مستكبرٍ صار حاجب بابه يمنع جميع الناس من الدخول على باب الملك إلا أصحاب الوجاهة والهيبة.

*****

نار الحي

وقال تميم بن أبي بن مقبل العجلاني التميمي رضي الله عنه من البسيط:

1. إِنْ تُؤْنِسَا نَارَ حَيٍّ قَدْ فُجِعْتُ بِهِمْ   أَمْسَتْ عَلَى شَزَنٍ مِنْ دَارِهِمْ دَارِي
2. عَلَى تَبَـــــاعُدِهِمْ يَنْزِلْ ثَوَابُكُمَا   والدَّهْرُ بِالنَّاسِ ذُو نَقْض وإِمْرَارِ
3. لاَ يُعْتِبُ الدَّهْرُ مَنْ أَمْسَى يُعَاتِبُهُ   ولاَ يَزَالُ عَلَيْهِ سَاخِطًا زَارِي [2]

حتى يُفهم النص أثبتنا البيت الأول مع أنَّه ليس من شعر الحكمة، ويقول فيه: إن تريا نارَ حي من الأحباب قد أصيبوا أو رحلوا وصارت هذه النار التي تزيل الوحشةَ -لأنَّها نار الأحباب- بعيدةً، وجواب الشرط محذوف وتقديره فأخبراني، فإذا أخبرتماني فإنَّ الله سيثيبكما من عنده، وأنتما لا تعلمان ماذا يمكن أن يحدث لكما لأنَّ للدهرِ نقضٌ وهو الرخاء والنكث، والإمرار وهو الشِدَّة والإحكام.

---

(1) ديوان ابن مقبل، تح: د. عِزَّة حَسَن ، ص29.

(2) المصدر السابق نفسه، ص96.

ويقول في البيت الأخير: إنَّ الدهر لا يرضى عمَّن يريد إرضاءه، بل يبقى غاضبًا من الذي يرجو رضاه، عائبًا ومنتقصًا إياه.

****

علو الهمة

قال تميم بن أبي بن مقبل العجلاني التميمي رضي الله عنه من الطويل:

رُقَادًا بِهِ العَجْلاَنُ ذُو الهَمِّ قَانِعٌ ومَنْ كَانَ لا يَسْرِي بِهِ الهمُّ حَاقِرُهْ [1]

إنَّ النومَ الذي أصبنا منه نومٌ قليلٌ يقنعُ به المرءُ العجولُ صاحب الهمةِ، أمَّا من كان لا يؤرِّقه الهمُّ ولا يجعله يسير ليلًا -أي من لم يكن ذا همَّة عاليةٍ- فإنَّه يحقِر هذا النوم القليل الذي نمناه.

****

الكَرِيمُ عَلَى عِلاَّتِهِ وَرِعُ

قال تميم بن أبي بن مقبل العجلاني التميمي رضي الله عنه من البسيط:

1. بَلْ مَا تَذَكَّر مِنْ كَأْسٍ شَرِبْتَ بِهَا وقَدْ عَلاَ الرَّأْسَ مِنْكَ الشَّيْبُ والصَّلَعُ
2. مِنْ أُمِّ مَثْوىً كَرِيمٍ هَابَ ذِمَّتَهَا إِنَّ الكَـــــــــرِيمَ عَلَى عِلاَّتِهِ وَرِعُ [2]

لكنك ألا تتذكر نفس محبوبتك عندما تشرب وقد كبُرتَ وشخت وسقط شعر رأسك، ألا تتذكَّر تلك المرأة صاحبة البيت الكريم التي خاف النَّاسُ أن يغمطوها حقَّها، وتقول الحكمة في الشطر الأخير إنَّ كريم الأخلاق يتجنَّب يرتكب القبائح والمحارِم.

****

(1) ديوان ابن مقبل، تح: د. عِزَّة حَسَن، ص126.

(2) المصدر السابق نفسه، ص136.

المال

قال تميم بن أبي بن مقبل العجلاني التميمي رضي الله عنه من الطويل:

1. أَلَمْ تَرَ أَنَّ المَالَ يَخْلُفُ نَسْــــلُهُ ويَأْتِي عَلَيهِ حَقُّ دَهْرٍ وبَــــاطِلُهْ

2. فَأَخْلِفْ وأَتْلِفْ إِنَّمَا المَالُ عَارَةٌ وكُلْهُ مَعَ الدَّهْرِ الَّــذِي هُوَ آكِلُهْ

3. وأَهْوَنُ مَفْقُودٍ وأَيْســـَرَ هَالِكٍ عَلَى الحَيِّ مَنْ لاَ يَبْلُغُ الحيَّ نَائِلُهْ [1]

يقول في البيت الأول: ألم تر أنَّ المال يأتي غيرُه بعد أن يفنى، وينزل به الخير والشر.

ويقول في البيت الثاني: عوِّض المال بمالٍ غيره، فالمال عاريةٌ مستردَّةٌ، ثم يقول: (كُله) أي اشتر به ما تأكلُه، وهذا الاستخدام مجاز مرسل باعتبار ما سيكون أي أن المال سيُشترى به طعامٌ يؤكل ومثلُ ذلك قوله تعالى: "قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا"، والخمرُ لا يُعصر وإنَّما أراد الفتى القولَ إنَّني أعصر العنب فيوضع في الشمس حتى يصير خمرًا، ثم يقول الشاعر: "مع الدهر الذي هو آكله" ويقصد إنَّ الدهرَ يأتي على الأموال والأعيان والناس فيتلفهم؛ لذلك يقول كُل مالكَ قبل أن يأكله الدهرُ.

ويقول في البيت الثالث: إنَّ أحقر إنسان يُفقد ويهلك هو الإنسان الذي لا ينفق على قبيلته.

****

(1) ديوان ابن مقبل، تح: د. عِزَّة حَسَن، ص180-181.

الإنسان هدفٌ منصوب للدهر

وقال تميم بن أبي بن مقبل العجلاني التميمي رضي الله عنه من البسيط:

1 إِنْ يَنْقُصِ الدَّهْرُ مِنِّي فَالْفَتَىٰ غَرَضٌ ... لِلدَّهْرِ مِنْ عُودِهِ وَافٍ ومَثْلُومُ

2 وإِنْ يَكُنْ ذَاكَ مِقْدَارًا أُصِبْتُ بِهِ ... فَسِيرَةُ الدَّهْرِ تَعْوِيجُ وتَقْوِيمُ

3 مَا أَطْيَبَ العَيْشَ لَوْ أَنَّ الفَتَىٰ حَجَرٌ ... تَنْبُو الحَوادِثُ عَنْهُ وَهْوَ مَلْمُومُ

4 لاَ يُحْرِزُ المَرْءَ أَنْصَارٌ ورَابِيَةٌ ... تَأْبَىٰ الهَوَانَ إِذَا عُدَّ الجَرَاثِيمُ

5 لاَ تَمْنَعُ المَرْءَ أَحْجَاءُ البِلاَدِ ولاَ ... تُبْنَىٰ لَهُ فِي السَّمَواتِ السَّلاَلِيمُ

6 فَقَدْ أُكَثِّرُ لِلْمَوْلَىٰ بِحَاجَتِهِ ... وقَدْ أَرُدُّ عَلَيْهِ وَهْوَ مَظْلُومُ

7 حَتَّىٰ يَنُوءَ بِمَا قَدَّمْتُ مِنْ حَسَنٍ ... إِنَّ المَوَالِي مَحْمُودٌ ومَذْمُومُ

8 قَدْ أَيْقَنُوا أَنَّ مَالَ المَرْءِ يَتْبَعُهُ ... حَقٌّ عَلَىٰ صَالِحِ الأَقْوَامِ مَعْلُومُ [1]

يقول الشاعر في البيت الأول: إن أنقصت مصائب الدهر مقوّماتي المادية والمعنوية فهذا أمرٌ فطريّ طبيعيّ؛ إذ إنَّ الإنسان كالشيء الذي يُنصب ويتَّخذ بغرض رمايته أو التدرب علىٰ رمايته، فينجو مرةً ويسلَم، ويُصاب أُخرىٰ فيألَم.

ويقول في البيت الثاني: وإن يكن ما أُصبت به قدرًا فدأب الدهر وعادته أن يسايرَ ويُغايرَ ويُسرَّ ويحزن ويُضحك ويبكي بإذن الله تعالىٰ.

ويقول في البيت الثالث: ما ألذَّ العيش وما أهنأه لو كان الفتىٰ حجرًا صلدًا قاسيًا يرتدُّ عنه ما يُضرَب به من سيوف الحوادث وذلك لاجتماع شمل هذا الحجر بعضه إلىٰ بعض فهو ملمومٌ ملتمٌّ.

(1) ديوان ابن مقبل، تح: د. عِزَّة حَسَن، ص198--199-200.

ويقول في البيت الرابع: لا يحمي المرءَ ويعصِمُه من الموتِ أنصارٌ يبقون بعد فرار الأبطال وفي هذا كناية عن شدة شجاعتهم ولا يحميه الجبل المرتفع الشاهق.

ويقول في البيت الخامس: لا ينفع المرء أن يدَّخل في المغارات والملاجئ وأن يُبعِد إلى أطراف البلاد ولا ينفعه أن تبنى له السلالم ليهرب من الموت والمصائب.

ويقول في البيت السادس: وكثيرًا ما أكثرت من الإنفاق على الأصحاب والأصدقاء، وصددت عنهم الأذى والضرر عندما يكونون مظلومين.

ويقول في البيت السابع: لقد أعطيتهم حتى يصعب عليهم حمل ما وهبتهم من عطاء قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ [1]

ويقول في البيت الثامن: قد أيقن الناس أنّ على المرء في مالِه حقًّا معلومًا تجاه صالح قومِه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (24) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ(25)﴾[2]

****

المداراة من حسن الخُلُق

وقال تميم بن أبي بن مقبل العجلاني التميمي من المتقارب:

فَدَاجِ أَخَـــــــاكَ إِلَىٰ يَوْمِهِ　　فَإِنْ عَــزَّ غَيْرَ مُسِيءٍ فَهُنْ

سَيُشْوِي الفَتَىٰ بَعْضُ أَوْجَالِهِ　　ويَفْجَعُهُ بَعْضُ مَا قَدْ أَمِنْ [3]

(1) القصص:76 .

(2) المعارج.

(3) ديوان ابن مقبل، تح: د. عِزَّة حَسَن، دار الشرق العربي، بيروت، حلب، 1995م، ص211.

يقول في البيت الأول: فدار أخاك إلى أن يموت، فإنَّ لم تنفع المداراة وأوغل في الاعتزاز بنفسه دون أن يُسيء إليك فهن أنت.

يقول في البيت الآخر: سيصيب الفتى بعضُ ما يخافه، ويقصد سيُخطئ الفتى بعضُ مخاوفه ولن تصيبه، بينما ستناله المصائب الموجعة المؤلمة من المكان الذي يظنُّ أنَّه أمِنَ منه، وهذا المعنى مأخوذ من القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ ﴾[1].

****

أثر الشيب

وقال تميم بن أبي بن مقبل العجلاني التميمي أيضًا من الكامل:

1. وتَنَكَّرَتْ شَيْبِي فَقُلْـــتُ لَهَا ... لَيْسَ المَشيبُ بِنَاقِصٍ عُمْرِي
2. سِيَّانِ شَيْبِي والشَّبَـــابُ إِذَا ... مَا كُنْتُ مِنْ أَجَلِي عَلَى قَــدْرِ
3. مَا شِبْتُ مِنْ كِبَرٍ ولكِنِّي امْرُؤٌ ... قَارَعْتُ حَدَّ نَوَاجِذِ الدَّهْرِ[2]

قال في البيت الأول: وجدت زوجتي شيبي قبيحًا فكرهته وأرادت لو أنَّه لم يوجد، فقلت لها لا يُنقص المشيب من عُمْري شيئًا، لأنَّ أجلي مُقدَّرٌ.

قال في البيت الثاني: بما أنَّ أجلي مكتوب ومحتومٌ فلا فرق بين أن أكون عجوزًا وبين أن أكونَ شابًا، لأنَّ الموت سيأتي في موعده الذي ضُرب له.

---

(1) (الحشر:2) .

(2) ديوان ابن مقبل، تح: د. عِزَّة حَسَن، ص258.

وقال في البيت الثالث: لم أشِب لأنَّني كبير في السن بل لأنَّني جالدتُ وكافحتُ أسنان الدهر التي تلي الأنياب أي جاهدت مصائب الدهر، وقال تميم بن أبي بن مقبل العجلاني التميمي أيضًا من البسيط:

لَقَدْ تَقَوَّسَ لحَيْيِهِ ولِمَّتَهُ   شَيْبٌ وذلِكَ مِمَّا يُحْدِثُ الزَّمَنُ [1]

لقد أحاط بحنك المخاطَب ورأسه الشيبُ، وهذا من أثر الزمن فيه.

****

ربما يُستكثَر العاتب.

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه من مجزوء المديد:

1. فَابكِ ما شِئتَ عَلىٰ ما انِقَضىٰ   كُلُّ وَصلٍ مُنقَضٍ ذاهِبُ
2. لَو يَرُدُّ الدَمعُ شَيئًـــــا لَقَد   رَدَّ شَيئًا دَمعُكَ الساكِبُ
3. لَم تَكُن سُعدىٰ لِتُنصَفُـــني   قَلَّ ما يُنصِفُني الصاحِبُ!
4. كَأَخٍ لي لا أُعـــــــــاتِبُهُ   رُبَّما يُستَكثَرُ العاتِبُ [2]

يقول حسان رضي الله عنه في البيت الأول: أكثر من البكاء علىٰ ما مضىٰ أو لا تكثر، فكل وصل بالحبيبة منتهٍ وسيذهب.

ويقول في البيت الثاني: لو كان الدمع -وأراد الحزن- يعيد شيئًا قد ذهب منك وفاتك لأعاد إليك هذا الدمعُ ذلك الشيء.

---

(1) ديوان ابن مقبل، تح: د. عِزَّة حَسَن، ص283.

(2) ديوان حسان بن ثابت، ص33.

ويقول في البيت الثالث: لم ينبغ لسعدىٰ إنصافي؛ لذا قل أيَّها الصاحب إنَّ هذا منطقيٌ، لأنَّه قل أن يُنصف الصاحب.

ويقول في البيت الرابع: لا أُكثر من عتاب الإخوان لأنَّ من طبع المعاتِب أن يَملَّه ويستثقلَه الناس.

****

الإسعاد الرباني

وقال حسان رضي الله عنه من الطويل:

لِيَهْنَ أبا بكرٍ سَعادةُ جَدِّهِ بِصُحبتهِ مَن يُسْعِدِ اللهُ يُسْعَدِ [1]

فليهنأ الصديق أبا بكر حسن حظه وسَعده وطالِعه، وذلك لصحبته الرسول صلىٰ الله عليه وسلم في الهجرة، ومَن يُسعدِه الله فإنَّه يُسعَد لا محالة.

****

عُنجهية العيش!

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه أيضًا يصف شظف العيش في الجاهلية من الطويل:

وَمَن عاشَ مِنّا عاشَ في عُنجُهِيَّةٍ عَلىٰ شَظَفٍ مِن عَيشِهِ المُتَنَكِّدِ [2]

إنَّ من يعيش منا ممن أبقت عليه المصائب والحروب يعيشُ في خشونة في المطعم والملبس والحياة النَّكِدة العسيرة.

---

(1) ديوان حسان بن ثابت، ص60.

(2) المُحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تح: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2000م، ج2، ص387.

حكم تُكتب بماء الذهب لحسان بن ثابت رضي الله عنه

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه أيضًا من الطويل:

1. إِنَّ اِمرَأً أَمسىٰ وَأَصبَحَ سالِمًا مِنَ الناسِ إِلّا ما جَنىٰ لِسَعيدُ
2. وَإِنَّ اِمرَأً نالَ الغِنىٰ ثُمَّ لَم يُنِل قَريبًا وَلا ذا خُلَّةٍ لَزَهيدُ
3. وَإِنَّ اِمرَأً عادىٰ الرِجالَ عَلىٰ الغِنىٰ وَلَم يَسأَلِ اللهَ الغِنىٰ لَحَسودُ [1]

يقول في البيت الأول: إذا مرَّ يومٌ على المرء وسَلِمَ فيه من يبتدئ الناسُ أذاه فهو سعيدٌ.
ويقول في البيت الثاني: وإنَّ المرء الذي يصيبُ الثراء ثم لم يُعط من هذا المال أحدَ أقربائه أو أصحاب الحاجة والفقر، فهو حقيرٌ.

ويقول في البيت الثالث: إنَّ الذي يعادي الناس بسبب غناهم ولم يطلب من الله ويدعوه أن يُغنيَه فهو إذن كثير الحسد ضيق الصدر.

****

الدين والأخلاق يعصمون من الظلم

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه من الطويل:

فَمَن يَكُ مِنهُم ذا خَلاقٍ فَإِنَّهُ سَيَمنَعُهُ مِن ظُلمِهِ ما تَوَكَّدا [2]

والخلاق هنا الدين والصلاح فمن يكن منهم ذا دين فإنَّه سيمنعه من أن يَظلمَ الناسَ هذا الدينُ بمقدار ترسُّخه في نفسه.

---

(1) ديوان حسان بن ثابت، ص89.

(2) المصدر السابق نفسه، ص95.

الكريم عزيز والذليل هيِّن

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه من البسيط:

كَم مِن كَريمٍ يَعَضُّ الكَلبُ مِئزَرَهُ ثُمَّ يَفِرُّ إِذا أَلقَمتَهُ الحَجَرا [1]

كم من كريم الأخلاق يحاول الدنيء أن يحطَّ من قدره، ثم يخنس هذا الدنيء عند أبسط مواجهة تجمعه مع الكريم، وقريب منه قول الشافعي:

كم عالمٍ متفضِّل قد سبَّه...... من لا يُساوي غرزةً في نعله!

****

وصايا ثمينة من حسان بن ثابت رضي الله عنه

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه من الكامل:

1	أَعرِض عَنِ العَوراءِ إِن أُسمِعتَها	وَاقعُد كَأَنَّكَ غافِلٌ لا تَسمَعُ
2	وَدَعِ السُؤالَ عَنِ الأُمورِ وَبَحثَها	فَلَرُبَّ حافِرِ حُفرَةٍ هُوَ يُصرَعُ
3	وَاِلزَم مُجالَسَةَ الكِرامِ وَفِعلَهُم	وَإِذا اِتَّبَعتَ فَأَبصِرَن مَن تَتبَعُ
4	لا تَتبَعَنَّ غَوايَةً لِصَبابَةٍ	إِنَّ الغَوايَةَ كُلَّ شَرٍّ تَجمَعُ
5	وَالقَومُ إِن نُزِروا فَزِد في نَزرِهِم	لا تَقعُدَنَّ خِلالَهُم تَتَسَمَّعُ
6	وَالشُربَ لا تُدمِن وَخُذ مَعروفَهُ	تُصبِح صَحيحَ الراسِ لا تَتَصَدَّعُ
7	وَاِكدَح بِنَفسِكَ لا تُكَلِّفُ غَيرَها	فَبِدَينِها تُجزىٰ وَعَنها تَدفَعُ
8	وَالمَوتُ أَعدادُ النُفوسِ وَلا أَرىٰ	مِنهُ لِذي هَرَبٍ نَجاةً تَنفَعُ [2]

(1) ديوان حسان بن ثابت، ص136.

(2) المصدر السابق نفسه ، ص158-159.

يقول الشاعر في البيت الأول: تغافل عن الكلام السيءِ والمعيب والفاحش إن سمعت به واقعد كأنَّك غير متفطِّنٍ لما يقال وغير سامعٍ له.

ويقول في البيت الثاني: اترك المفاتشة وتعقب الأمور التي ليس لك بها علم لتضرَّ غيرك فتكون النتيجةُ ضررَك وهلاكَك وهذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [1].

ويقول في البيت الثالث: اجعل لك قدوةً من الكرام تقتدي بأفعالهم وجالسهم كي تتشرَّب منهم أخلاقَهم الفاضلة، وإذا أردت اتِّباع شخصٍ فأنعم النظر فيمن تتبع ويبدو أنَّ المعنى مأخوذ من الحديث الشريف الضعيف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ هذا العلمَ دينٌ، فانظروا عمَّن تأخذونَ دينكم) [2].

ويقول في البيت الرابع: إياك أن تتَّبعَ الضلال والغَي وغالبًا ما يكون ذلك بسبب الهوى والشهوات، لأنَّ الغواية والضلال واتباع النفس هواها، تجمع هذه الأشياء كلَّ شرٍّ.

ويقول في البيت الخامس: إذا قل الناس عند الإعطاء أو الحرب فزد في العطاء وانزل إلى الهيجاء، وإياك أن تقعد لتستمع لحججهم الواهية المانعة من الكرم والشجاعة.

ويحتمل البيت السادس معنيين: الأول لا تكثر من شرب الخمر واشرب ما اعتاد الناس على شربه منها كي لا تسكر كثيرًا وتُضرِّ برأسك، والمعنى الآخر للمعروف: أي اشرب الشراب الحلال وابتعد عن الشراب الحرام ونرجح هذا المعنى أو أنَّ المعنى الأول وارد وقد قيل هذا البيت قبل الإسلام.

(1) المائدة: 101.

(2) ضعيف الجامع الصغير وزيادته، ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، رقم الحديث: 2023، ص294.

ويقول في البيت السابع: اعمل بنفسك ولا تفوِّض غيرك بأعمالك، فإنّ نفسَ كلّ امرئٍ هي وديعةٌ عنده من الله، فهي كالدَّين عليه، وهو المسؤول عنها لا غيره، وهو أولى بها أن يدفع عنها الغوائل والشرور.

ويقول في البيت الثامن: إنَّ الموت بعدد الأنفاس وأجزم أنَّه لا يمكن لأحدٍ أراد منه الهربَ الهربُ ولا تنفع كلُّ محاولاته بذلك.

****

الصدق معيار الشعر

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه من البسيط:

1. وَإِنَّما الشِّعرُ لُبُّ المَرءِ يَعرِضُهُ عَلىٰ المَجالِسِ إِن كَيسًا وَإِن حُمُقا
2. وَإِنَّ أَشعَرَ بَيتٍ أَنــتَ قائِلُهُ بَيتٌ يُقالَ إِذا أَنشَدتَهُ صَدَقا [1]

يقول في البيت الأول: إنَّ الإنسان عندما يقول الشِّعر إنَّما يعرض لُبَّه علىٰ مستمعيه وجُلَّاسه فيبدو لهم ويظهر ما خفي عنهم منه من خير وحكمةٍ أو طيش وحمقٍ؛ لذا اختار حسانُ كلمة اللبُ ولم يختر العقل ليُناسبَ بين الخفاء واللُّب، فلُبُّ كل شيء داخله وجوهره المخفي.

وفي البيت الآخر يضع حسَّانُ رضي الله عنه معيارًا إسلاميًّا للشعر ألا وهو الصدق، مخالفًا بذلك المقولة السائدة عند النُقَّاد التي تقول: "إنَّ أعذب الشعر أكذبُه".

****

(1) ديوان حسان بن ثابت، ص174.

المال وأثره

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه أيضًا من البسيط:

1	لَقَد عَلِمتُ بِأَنّي غالِبي خُلُقي	عَلى السَماحَةِ صُعلوكًا وَذا مالِ
2	وَالمالُ يَغشى أُناسًا لا طَباخَ لَهُم	كَالسَّيلِ يَغشى أُصولَ الدِّندِنِ البالي
3	أَصونُ عِرضي بِمالي لا أُدَنِّسُهُ	لا بارَكَ اللهُ بَعدَ العِرضِ بِالمالِ
4	أَحتالُ لِلمالِ إِن أَودى فَأَجمَعُهُ	وَلَستُ لِلعِرضِ إِن أَودى بِمُحتالِ
5	وَالفَقرُ يَزري بِأَقوامٍ ذَوي حَسَبٍ	وَيُقتَدى بِلِئامِ الأَصلِ أَنذالِ [1]

يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه في البيت الأول: لقد أيقنت أنَّ خُلُقي وسجيتي المطبوعان على السماحة يغلبانني، سواءٌ أكنت فقيرًا أو صاحب مال.

ويقول في البيت الثاني: إنَّ المالَ غيرُ حكيمٍ فهو يدخل على الذين لا عقل لهم ولا قوةً كما يدخل السيل على الأوراق العفنة ويشملها.

ويقول في البيت الثالث: أحمي شرفي وحوضي وعرضي بمالي كي يسلموا، فليُمحق المال ويذهب إن لم يحمِ العِرضَ.

ويقول في البيت الرابع: يُمكن إذا فني مالي أن أجد حيلةً فأجمعَ غيرَه، ولست بقادرٍ على ابتناء عِرضٍ جديدٍ إن دُنِّسَ عِرْضي.

ويقول في البيت الخامس: والفقر يُقلِّل من قيمة الأشخاص ذوي الحسب والنسب ويرفع الأنذال اللئام فيجعل الناس تقتدي بهم.

وعن عظيم أثر المال قال حسان بن ثابت رضي الله عنه من الخفيف:

رُبَّ حِلمٍ أَضاعَهُ عَدَمُ الما ... لِ وَجَهلٍ غَطّى عَلَيهِ النَعيمُ [2]

---

(1) ديوان حسان بن ثابت، ص192.

(2) المصدر السابق نفسه، ص223.

كثيرًا ما تضيع الأخلاق والمزايا إذا لم تتوفر الفُرص لها لتظهر ومن ذلك ضياع الحِلم إذا لم يصحبه المال، وكذلك المال يُغطي كثيرًا من العيوب ومنها الجهالة والنَّزق والطيش.

****

الأصدقاء الحقيقيون والأصدقاء المزيفون

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه من الوافر:

1. أَخِلَّاءُ الرَّخاءِ هُمُ كَثيرٌ... وَلَكِن في البَلاءِ هُمُ قَليلُ
2. فَلا يَغرُركَ خُلَّةُ مَن تُؤاخي... فَما لَكَ عِندَ نائِبَةٍ خَليلُ
3. وَكُلُّ أَخٍ يَقولُ أَنا وَفِيٌّ... وَلَكِن لَيسَ يَفعَلُ ما يَقولُ
4. سِوىٰ خِلٍّ لَهُ حَسَبٌ وَدِينٌ... فَذاكَ لِما يَقولُ هُوَ الفَعولُ [1]

يقول في البيت الأول: إنَّ أصدقاءك عندما تكون في سعةٍ ورخاء وبُلهنيةٍ من العيش كثيرون، ولكنهم يقلُّون عندما تقع في المصائب والرزايا.

ويقول في البيت الثاني: فلا تنخدعنَّ بصداقة من تصادقه فإنَّه عند أول مصيبة تصيبك لن يبق من أصدقائك أحدٌ معك.

ويقول في البيت الثالث: وكل أخٍ لك يقول إنِّي وفي لك، ولكنهم كاذبون ويخالف قولُهم فعلُهم، وقريب منه قول الشاعر:

وكلٌّ يدَّعي وصلًا بليلىٰ ولكنَّ ليلىٰ لا تُقرِّ لهم بذاكا [2]

ويقول في البيت الرابع مستثنيًا: سوىٰ الصديق له مجدٌ تليدٌ ودِين لصيقٌ فذلك هو الصديق الذي يفعل ما يقول.

(1) ديوان حسان بن ثابت، ص199-200.

(2) ديوان الصبابة، شهاب الدين بن حجلة المغربي، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1989م، ص4.

المراجع

1. القرآن الكريم.
2. السُّنَّة المُطهَّرة.
3. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م.
4. الأدب المفرد، البخاري، تخريج وتعليق: الألباني، دار الصديق، الجبيل، الطبعة الثانية، 2000م.
5. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوَّض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1995.
6. الأصمعيات، الأصمعي، تح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، بيروت، الطبعة الخامسة.
7. الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ.
8. الأمالي، ابن اسحاق الزجاجي، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، 1987م.
9. الأمثال والحكم، علي بن محمد الماوردي، تح: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، 1999م.
10. البداية والنّهاية، ابن كثير، ت: عبد الله التركيّ، دار هجر، القاهرة، 2003م.
11. بردة المديح المباركة، البوصيري، منشورات الدار العالمية، بيروت، 1993م.

12. التاريخ الكبير، البخاري، تح: هاشم الندوي وآخرون، دائرة المعارف العثمانية.
13. تاريخ دمشق، ابن عساكر، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، 1995م.
14. التذكرة الحمدونيّة، ابن حمدون، تح: إحسان عبّاس وبكر عبّاس، دار صادر، بيروت، الطّبعة الأولى.
15. التيجان في ملوك حِميَر، وهب بن منبه، تح: مركز الدراسات للأبحاث اليمنية، صنعاء، الطبعة الثانية، 1979م.
16. الجامع الكبير - سنن الترمذي، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 م.
17. جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر القرطبي، تح: فواز زمرلي، مؤسسة الريان، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 2003.
18. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، كامل محمد الخراط، غيث الحاج أحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 2006م.
19. جمهرة الأمثال، أبو الهلال العسكري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، دار الجيل ودار الفكر، بيروت، 1988م.
20. حلية المحاضرة، الحاتميّ، تح: د. جعفر الكتّاني، دار الرشيد، العراق، 1979م.
21. الحماسة البصريّة، أبو الفرج بن الحسن البصريّ، تح: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت.

22. الحماسة، ابن البحتري، تح: د. محمَّد إبراهيم حُوَّر، أحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، 2007م.

23. الحماسة، ابن البحتري، تح: د. محمَّد إبراهيم حُوَّر، أحمد محمد عبيد.

24. خزانة الأدب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، 1996م.

25. خزانة الأدب، عبد القادر عمر البغدادي، تح، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1997م.

26. الداء والدواء، ابن قيِّم الجوزية، الهدي المحمدي، عين شمس، الطبعة الأولى، 2010م.

27. الدرّ الفريد وبيت القصيد، محمد بن أيدمر المستعصمي، تح: د. كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، 2015م.

28. ديوان ابن مقبل، تح: د. عِزَّة حَسَن، دار الشرق العربي، بيروت، حلب، 1995م.

29. ديوان أبو بكر الصديق رضي الله عنه، تح: محمد شفيق البيطار، دار شراع، دمشق، الطبعة الأولى، 1993م.

30. ديوان أبو ذؤيب الهذلي، تح: أنطونيوس بطرس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 2003م.

31. ديوان أبي العتاهية، دار بيروت، بيروت، 1986م.

32. ديوان الأعشى الكبير، تح: د. محمد الحسين، مكتبة الآداب، جماميزت.

33. ديوان الأعشى الكبير، تح: د. محمود إبراهيم محمد الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة.

34. ديوان الإمام الشافعيّ، إعداد: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة.

35. ديوان الشافعي، د. محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1985.

36. ديوان الصبابة، شهاب الدين بن حجلة المغربي، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1989م.

37. ديوان المتنبي، دار بيروت، بيروت، 1983م.

38. ديوان المسيَّب بن عَلَس، تح: د. عبد الرحمن محمد الوصيفي، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003م.

39. ديوان المعاني، أبو الهلال العسكري، شرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1994م.

40. ديوان النابغة الجعدي رضي الله عنه، د. واضح الصمد، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م.

41. ديوان النَّمِر بن تولب، تح: د. محمد نبيل الطريفي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 2000م.

42. ديوان الهذليين، الدار القومية، القاهرة، 1965م.

43. ديوان امرئ القيس، تح: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الخامسة، 2004م.

44. ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع: بشير يموت، المطبعة الوطنية، بيروت، الطبعة الأولى، 1934م.

45. ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، جمع: عبد العزيز الكرم، الطبعة الأولى، 1988م.

46. ديوان بشر بن أبي خازم، شرح: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1996م.

47. ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت،1981م.

48. ديوان حسان بن ثابت، شرح عبدأ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1994م.

49. ديوان حُميد بن ثور الهلالي رضي الله عنه، تح: د. محمد شفيق بيطار، دار الكتب الكتب الوطنية، أبو ظبي، الطبعة الأولى، 2010م.

50. ديوان دريد بن الصمة، تح: د. عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة.

51. ديوان ربيعة بن مقروم الضبي، تماضر عبد القادر فياض حرفوش، دار صادر، بيروت، 1999م.

52. ديوان زهير بن أبي سُلمى، شرح علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م.

53. ديوان سُحيم عبد بني الحسحاس، تح: عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، 1950م.

54. ديوان طرفة بن العبد، ش: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 2002م.

55. ديوان طرفة بن العبد، شرح: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، الطّبعة الأولى، 2003م.

56. ديوان عامر بن الطفيل، دار صادر، بيروت، 1979م.

57. ديوان عَبيد بن الأبرص، شرح: أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطّبعة الأولى، 1994م.

58. ديوان عنترة بن شداد، الخطيب التبريزي، مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1992م.

59. ديوان قيس بن الخَطيم، تح: د. ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت.

60. ديوان كعب بن زهير، تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

61. ديوان كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، تح: مجيد طراد، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1997م.

62. ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت.

63. ديوان مسكين الدارمي 89هـ، تح: عبد الله الجبوري، خليل إبراهيم العطية، دار البصري، بغداد، الطبعة الأولى، 1970م.

64. ديوان معن بن أوس المزني، تح: د. نور حمودي القيسي، حاتم صالح الضامن، دار الجاحظ، بغداد، 1977م.

65. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1996م.

السُّنة المُطهَّرة

66. سنن ابن ماجه، ابن ماجة، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

67. سنن أبي داود، أبو داود، تح: شعَيب الأرنؤوط، مِحَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 2009م.

68. السُّنن الكبرى، البيهقيّ، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الثالثة، 2003م.

69. السيرة النبوية، ابن هشام، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

70. شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بشير يموت، المكتبة الأهلية، بيروت، الطبعة الأولى، 1934م.

71. شرح أدب الكاتب، الجواليقيّ، تح: د. طيبة حمد بودي، مطبوعات جامعة الكويت، 1995م.

72. شرح الأصمعيات، تح: د. سعدي ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م.

73. شرح حماسة أبي تمام، أبو القاسم بن علي الفارسي، تح: د. محمد عثمان علي، دار الأوزاعي، الدوحة، الطبعة الأولى.

74. شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، أبو علي المرزوقي الأصفهاني، غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2003م.

75. شرح ديوان المتنبي، أبو البقاء عبد الله العكبري البغدادي محب الدين، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت.

76. شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل، الأعلم الشنتمري، د. حنّا نصر الحتّي، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطّبعة الأولى، 1993م.

77. الشريف المرتضى، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1954م.

78. شعب الإيمان، البيهقي، تح: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، 2003م.

79. شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم، تح: سعود محمود عبد الجابر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1984م.

80. شعر خداش بن زهير العامري، د. يحيى الجبوري، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، 1986م.

81. شعر زيد الخيل الطائي، تح: د. أحمد مختار البزرة، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، 1988م.

82. شعر ساعدة بن جؤية الهذلي، تح: ميساء قتلان، كلية الآداب، دمشق، 2003م.

83. شعر شعراء المسيحية في العصر الجاهلي، صباح إيليا القس، دار غيداء، عمّان، 2016م.

84. شعر عبد الله بن الزِّبعرى رضي الله عنه، تح: د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية.

85. شعر عبدة بن الطبيب، تح: د. يحيى الجبوري، دار التربية، بغداد، 1971م.

86. شعر عمرو بن شأس الأسدي، د. يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، 1983م.

87. شعر قيس بن عاصم: تح: هاشم طه شلاش، دار البلاغ، 1975م

88. شعر هُدبة بن الخشرم العُذريّ، تح: د. يحيى الجبوريّ، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، 1986م.

89. الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، تح: د. مفيد قميحة، محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.

90. شعراء النصرانية قبل الإسلام، لويس شيخو، دار المشرق، بيروت، الطبعة الرابعة، 1991م.

91. شعراء مذحِج، تح: مقبل التام الأحمدي، مجمع العربية السعيدة، صنعاء، 2014م.

92. الشوقيات، أحمد شوقي، مؤسسة هنداوي، مصر.

93. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة، 1407 هـ - 1987 م.

94. صحيح ابن حبان، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر.

95. صحيح البخاري، البخاري، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، الطبعة الأولى، 2002م.

96. صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، 1988م.

97. صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى: 1997م.

98. صحيح سنن أبي داود، ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1998م.

99. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، 1374هـ.

100. ضعيف الجامع الصغير وزيادته، ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

101. عشرة شعراء مُقلّون، د. حاتم صالح الضامن، كلية الآداب، بغداد، 1990م.

102. العقد الفريد، ابن عبد ربّه الأندلسي، تح: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1983م.

103. عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، تح: أحمد شاكر، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الثانية، 2005م.

104. العُمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، ت: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

105. عيون الأخبار، ابن قُتيبة الدينوريّ، تح: منذر أبو شعر، المكتب الإسلامي، بيروت، عمّان، الطبعة الأولى، 2008م.

القرآن الكريم

106.كتاب الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي، تح: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، 1411هـ.

107.كتاب المعمَّرين، أبو حاتم السجستاني، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، 1905م.

108.لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.

109.مالك ومتمِّم ابنا نويرة اليربوعي، تح: ابتسام الصفّار، مكتبة الإرشاد، بغداد، 1968م.

110.مجمع الحكم والأمثال، أحمد قبش، الطبعة الثالثة، دار الرشيد، 1985م.

111.المُحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تح: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2000م.

112.المزرد بن ضرار الغطفاني برواية ابن السكيت وغيره وشرح ثعلب، تح: خليل إبراهيم العطية، وزارة المعارف، مطبعة أسعد، بغداد، الطبعة الأولى، 1962م.

113.مسند الشهاب، أبو عبد الله حكمون القضاعي، تح: حمدي بن عبد المجيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1986م.

114.معجم الشعراء، المرزُباني، تح: عبد الستار أحمد فراج، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

115.المُفضلّيات، المفضّل الضبّيّ، تح: أحمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة.

116. المفضليات، المفضَّل الضَّبِّيّ، تح: عمر فاروق الطبَّاع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1998م.

117. منتهى الطلب من أشعار العرب، محمد بن المبارك، تح: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1999م.

118. موسوعة اللآلي من شعر الحكمة في العصر الجاهلي، عبد القادر زينو، دار الكتب العلمية، بيروت، 2020م.

119. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ابن المقرّي التلمساني، تح: إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، 1968م.

120. نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد شهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1423 هـ.

121. نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري، تح: يحيى الشامي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م.

122. وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، تح: عبد السلام هارون.

المُحتَويات